

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق



# تراجم الأعيان

من أبناء الزمان

تأليف

الحسن بن محمد البوريني

١٦١٥/١٠٢٤

الجزء الثاني

تحقيق

الدكتور صلاح الدين المنجد

دمشق

١٩٥٩



مَطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ بِدِمَشْقٍ



# تراجم الأعيان

من أبناء الزمان

تأليف

أحسن بن محمد البوريني

١٦١٥/١٠٢٤

الجزء الثاني

تحقيق

الدكتور صلاح الدين المنجد

دمشق

١٩٦٣



## ٧٨

صاحبنا المرحوم سيدي الشيخ ابراهيم بن  
محب الدين الدمشقي الأصل والمنشأ والوفاة<sup>(١)</sup>

هو الشيخ ابراهيم بن محمد بن منصور بن ابراهيم بن محب الدين [ناظر  
الجيش] <sup>(٢)</sup> . ومحب الدين هذا هو جدُّهم الأعلى الذي أسلم أولاً من  
هذا البيت . وكان سامرياً قاطناً بمحلة السامرة في نواحي دمشق .  
وكان قبل الإسلام يسمّى سلامة ، والى ذلك أشار مَنْ قال :

الأَسْلَمِيُّ سَلامَهُ      لا صادَفْتَهُ سَلامَهُ  
محبُّ دينِ أبيهِ      لا تَرْتَجِي إِسلامَهُ

قلتُ : وما أنصفه صاحبُ هذا الشعر . فإنه قد شاع وذاع أنه  
كان صالحاً ديناً متجنباً المحارم قبل الإسلام وبعده . حتى أخبرني حفيده  
محمد والد صاحب الترجمة أنه ما شرب الخمر لا قبل الإسلام ولا بعده .  
مع أنه يجوز قليله الذي لا يُسكر في دين السامرة .

قلتُ : ومحبُّ الدين هذا هو صاحب الفتنة التي اقتضت أن العلماء  
أُخِذُوا من الشام الى مصر مقيمين في أواخر دولة الجراكسة . وبيانُ  
ذلك إجمالاً أن محب الدين هذا بنى لولده ابراهيم حين مات في حياة أبيه

---

(١) العنوان في هـ ، ب « ابراهيم بن محمد بن منصور » ونص هذه الترجمة هنا يختلف  
عما هو عليه ترتيباً في هـ ب . ونصها ناقص ، والنص هنا أتم .  
(٢) الزيادة من هـ .

قبة خلف مزار سيدي الشيخ أرسلان<sup>(١)</sup> 'قدس سره العزيز . وباب القبة الى الآن موجود . فثار الناس لذلك وقالوا : كيف بُدئى قبة في مقبرة مُسَبَّلَةٍ ؟ وهذا لا يجوز . واستفتوا على ذلك مفتي الشافعية إذ ذاك ، وهو السيد كمال الدين بن حمزة الحسيني مفتي دار العدل ، واستفتوا على ذلك أيضاً شيخ الإسلام تقي الدين بن قاضي عجلون شيخ الشافعية في زمانه<sup>(٢)</sup> . وسعى في ذلك جماعة من المتعممين أيضاً . فأفتى السيد كمال الدين باستحقاق القبة المذكورة الهدم لكونها بُنِيَتْ في مقبرة مُسَبَّلَةٍ . وبلغني أن التقي ابن قاضي عجلون أفتى بعدم استحقاق القبة الهدم . فعند ذلك ثارت فرقة من العوام وأخذوا الفؤوس والمعاول وذهبوا الى القبة المذكورة فهدموها . فاستشاط لذلك محب الدين المذكور . وكان من كبار أرباب الدولة في زمانه ، لأنه كان ناظر الجيش . وأخذ معه عظام الموتى الى باب السلطان الغوري بمصر وقال له : يا مولانا ! وجدت لك كنزاً موقوفاً على بخور . فقال له السلطان : عندي بخور . فألقى بين يديه كثيراً من العظام وقال : هذه عظام والدي استخرجها فلان وفلان ، بمساعدة فتوى فلان وفلان ، وأعانه في ذلك فلان وفلان . وما فعلوا ذلك إلا لكوني منسوباً إليك ومعتمداً عليك .

فرسم السلطان بأن يؤتى بالجماعة كلهم مقيدين الى مصر . فأخذوا كذلك . فأمّا وصولوا الى مدينة مصر نزل كل واحد عند صاحب له من

---

(١) في شرق باب توما . ما يزال المزار قائماً . انظر ذيل ثمار المقاصد ، ٢٣٣ ؛ المنجد ، مخطط دمشق القديمة .

(٢) ذكر الفري هذه الحادثة في ترجمة تقي الدين بن عجلون . انظر الكواكب السائرة<sup>٤</sup> ١١٦/١ ، ثم أشار اليها في ترجمة علي بن ميمون . المصدر السابق ٢٧٦/١ .

مشايخ الإسلام . وعقد السلطان لذلك مجلساً عظيماً حضره شيخ الإسلام قاضي القضاة زين الدين زكريا شارح «الروض» و «البهجة» ، وغيره من فقهاء عصره ، وعلماء مصره . وعلماء الشام المذكورون حاضرون . فسأل السلطان العلماء عموماً عن هذه المسألة وقال : كيف ساغ هدم عمارة رجل مسلم في مكان مباح للنخاص والعام من أهل الإسلام؟ ومع ذلك كيف شاع في الدين الحمدي إخراج عظام مَيِّتِ مُسْلِمٍ من قبره بعد دفنه ؟

فعوّل الجميع في الجواب على شيخ الإسلام القاضي زكريا . فاتفق أنه قال : هذه مسألة وقع عليها الإجماع باستحقاق القبة المذكورة الهدم ، لأنّ في بنائها تحجيراً على بقية المسلمين ، لكل واحد منهم فيها استحقاق خاص . فلزم أن بقية الجماعة الحاضرين وافقوا القاضي زكريا على جوابه . فاستشاط السلطان لذلك غيظاً وقال : كلّكم متفقون على الباطل ومتعصبون مع بعضكم .

وقام من مجلسه مُغْضَباً ، ودخل الى داخل حرمه . فرسم على الجماعة حتى حملوا ما يقدرون عليه من الدنيا الوافرة . بحيث أن بعضهم أخذ منه ما يزيد على عشرة آلاف دينار . ولكن ما أخذ من أحد شيئاً إلاّ وجبر خاطره بمنصب يليق به . فرجعوا إلى أوطانهم بدمشق .

ويقال ان هذه القصة أوجبت زوال ملك الجراكسة لما فيها من إهانة العلماء .

وانضم إليها مثلها أيضاً ، وهي إهانة شيخ الإسلام قاضي القضاة البرهان ابن أبي شريف بقتل رجل على بابيه . كان ذلك الرجل أقرم بالزنا وهو مُحْصَن . ثم ادّعي أنه أقرم كاذباً . فحكّم قاضي القضاة المذكور

بحقن دمه . لأنّ الحدود تُدْرَأُ بالشبهات . ودعواه أنّه أقرّ كاذباً  
يورث شبهةً في إقراره بالفعل . فحقن لذلك دمه . فما رضي السلطانُ  
بحقنِ دمه بل أمر بإتلافه على باب قاضي القضاة المذكور فكأيةً فيه (١) .  
قلتُ : وقد وقع الانفاقُ على أنه ما أهينتِ العلماءُ في دولةٍ إلاّ  
ذهبتُ وزالتُ وما أكرّموا في سلطنةٍ إلاّ ثبتتْ وزادت . ويشهد  
لذلك وإن كان فيه خروجٌ عن الصدد - إلاّ أنّ الحديثَ ذو شجون -  
ما ذكره الحافظُ أبو بكر البغداديّ في تاريخه أنّ الفقيه المروزيّ ذهب  
إلى مجلس الأميرِ اسماعيل السامانيّ ، وكان سلطانَ وقتِه . فقام إليه  
الأميرُ اسماعيل واستقبله ومشى له سبع خطواتٍ في توديعه . وكان الأميرُ  
اسحاق أخو الأمير اسماعيل المذكور حاضراً عند أخيه . فلما رأى  
ما فعل أخوه من إكرام الفقيه المروزيّ قال له : لهذا تستخفك رعايك ،  
ولا تبقى لك هيبةٌ عندهم . هذا رجلٌ من رعيتك يأتي اليك فتعظّمه  
وتمشي له سبع خطواتٍ؟ هذا لا يناسب حشمة الملك ولا حرمة السلطنة .  
فتحيّر الأمير اسماعيل لمقال أخيه ، وقال : والله أنا ما عظمتُ  
إلا علمه .

فنام في تلك الليلة الأميرُ اسماعيل ورأى النبي ﷺ في نومه وهو  
يقول له : يا اسماعيل ! أكرمت الفقيه المروزيّ لكونه حاملاً شريعتي ،  
ومشيتَ له سبع خطوات ، فلك على ذلك أن جعل الله - جلّ وعلا - في  
ذريّتك سبعة بطون يتولون السلطنة . ولو زدّتَ زدناك . وأما أخوك  
اسحاق فلا يصيرُ من ذريّته سلطاناً أبداً لتحقيره العلم وأهله . اه بمعناه .

(١) انظر هذه الحادثة في ترجمة « ابراهيم بن محمد بن أبي شريف » في الكواكب السائرة  
١٠٣/١ . وقال الفري : « وكانت هذه الوقعة سبباً لتكدر دولة الغوري  
وتبادي انحلال ملكه » .



ومثلُ هذا على السنة الفضاء المذكور .

قلتُ : ولقد أفرطنا في الخروج عما نحن بصدده ، ولكنّ الشيء

بالشيء يُذكر . والحديثُ شجونٌ ، والكلامُ يسوق الكلام .

فلنرجع لي ذكر صاحب الترجمة ، وهو سيّدي ابراهيم بن محمد الشهير  
بابن محب الدين . نشأ في تربية والده . وكان ملازماً على طلب العلم من  
حين تمييزه إلى حين وفاته . تفقه أوّلاً على والده محمد المذكور . وقرأ  
عليه بعض المقدمات النحويّة والصرفيّة . فترعرع ومهر ، وظهر بين  
إخوانه واشتهر . وحضر مجلس شيخ الإسلام النجم البهنسيّ الحنفيّ سنين  
عديدة ، يقرأ عليه من فروع وأصولٍ ومقدماتٍ وتاريخ . وقرأ أيضاً  
علم البلاغة على شيخنا شيخ الإسلام العماديّ الحنفيّ ، وكان شريكاً لي في  
شرح « التلخيص المختصر » للعلامة السعد التفتازاني . واشتهر بالفضائل ،  
وصار معدوداً من جملة الأماثل . ونظم الشعر الحسن ، ودرّس بالمدرسة  
الشريفيّة (١) بدمشق ، وكذا درّس بالغزاليّة . وكان لي رفيقاً ، ومحبّاً  
صديقاً . وراسلني وراسلته ، وكاتبني وكاتبته . ولم يزل يخدم العلم بهمةٍ  
سامية ، وعزيمة نامية ، حتى اشتهر في الآفاق ، وفات على أقرانه وفاق .  
فبينما هو صاعد في تلك السعادة إذْ أفلتْ شمسُ كاله . وأدبرتْ نجومُ  
إقباله . ففارق دنياه ، وواصل أخراه . وعمره ما زاد على ثلاثٍ  
وثلاثين سنة .

وكانت وفاته في سنة ثمانٍ وثمانين وتسع مئة . ودُفن في مقبرتهم

المشركة بينهم وبين بني تاج الدين قبليّ المدرسة الصابونيّة (٢) . وكانت له

(١) انظر الدارس ١ : ٢١٦ .

(٢) الدارس ١ : ١٣ ؛ المنجد : دور القرآن بدمشق ص ٤٢ .

جنازة<sup>١</sup> جامعة للكبير والصغير ، والمأمور<sup>٢</sup> والأمير . وطال عليه تأسف<sup>٣</sup> الناس . ووجدوا من فراقه غاية الباس ، وخلف أولاداً غالبهم ذهب ، وماتوا صغاراً ، إلا أحمد جلي فإنته باقٍ إلى اليوم .  
وابراهيم جلي صاحب الترجمة ، له شعرٌ لطيفٌ . من ذلك سلسلة شاعت بين الناس .

ولما حجَّ نظم قصيدةً تائيّةً في منازل الحج . وقد وازنته في ذلك ، ونظمت<sup>٤</sup> عندما حججت<sup>٥</sup> قصيدةً تائيّةً في المنازل أيضاً .  
ومن محاسن هذه القصيدة قوله :

وما بعد عبادان<sup>(١)</sup> يا صاحِ قرية فأسأل من سكاّنها عن أحبّتي

وكان شيخنا العلامة العماد الحنفي متزوجاً خالة ابراهيم جلي المذكور ، فيكون ابن خالة الفاضل العلامة الشيخ عبد الرحمن الحنفي . ولد شيخنا المذكور .

وقد طلعتنا مرّةً إلى المرج في صحبة شيخنا العلامة العماد ، وكان ابراهيم جلي صاحب الترجمة معنا . فأنشد كلٌّ منا شيئاً يتعلق بندهاب رونق دمشق وانقضاء الصفاء لفسادِ الأمور بها .  
فقال الأستاذ العماد :

أما دمشق فوجهها البسامُ لم يبقَ فيه بشاشةٌ تُستامُ  
وقلتُ :

كسيت دمشق كآبةً وسامةً وغدا بها بعد الضياء ظلامُ  
فغدوت أنشدها ودعيت سائل<sup>٦</sup> يدارُ ما صنعتُ بك الأيامُ؟

(١) لم أعتد إلى أيّ عبادان يقصد .

فقد ضمن شيخنا المصراع الثاني ، وضمنتُ المصراع الأوّل .  
والبيت لأبي نواس .

وقال ابراهيم جلي صاحب الترجمة :

أما أنا فإن أستمرو الحال في جور الهوى فعلى دمشق سلامُ  
وطلب مني وقد نظم قصيدةً فريدةً مطلعها :

من ذا الذي يا كحيل العين أفتاكا بأن تكون برمح القد فتاكا  
وأرسلها إليّ وطلب مني موازنتها فقلت :

بحق منظومٍ دُرٍّ من ثناياكا رفقاً ، فإني عبدٌ من رعاياكا  
وأكملتُها وأرسلتها إليه .

قلتُ : ومن نظم ابراهيم صاحب الترجمة هذه الأبيات من بحر السلسلة :

من يوم فراقى لأهل رامة والبان واصلت سهادي، وفرط هجري<sup>(١)</sup> قد بان  
فالطرف غريق، بفيض دمع جفوني والقلب حريق، من الغرام وأشجان  
سقياً لليالٍ، مضت كطيف خيالٍ مع بدر كمال، وما تُشان بنقصان  
والحب قريب ، وليس ثم رقيب يخشاه حبيب، يزور منزل وآنهان  
هل كان مناماً ، أم الزمان غلاماً او ثقت زماماً ، يجيء منه بحرمان  
والآن لبعدي ، من الديار وصدّي أمسيت بوجدٍ، على الحبيب وأوطان

والصبرُ قليل، ودمع عيني غُدران  
أَوْ صِدْقِ خَلِيل، يِثَّ عَنِي أَحْزَان  
أَوْصِيْتُ سَقِيًّا، وَقَلْتُ قَوْلَةَ هِيَامِ  
عَرَّضَ بِنَجْوِي، عَلَى مَسَامِعِ نِشْوَانِ  
وَأَعْتَبَهُ طَوِيلًا، عَلَى الصَّدُودِ وَهَجْرَانِ  
مَعَ حَفْظِ زَمَامٍ، وَذَكَرِ سَالِفِ أَرْزَامِ  
بِاللَّهِ عَلَى مَا، هَجَرْتَ صَبَّكَ يَا جَانِ  
غَالِطُهُ مَقَالًا، وَغَضَّ عَنِي أَجْفَانِ  
تَسْعَى بِمَمَاتِ، إِلَى الْحَبِّ وَخَسْرَانِ  
فِي وَصْفِ مَلِيحٍ، وَفَضْلِ سَيِّدِ أَكْوَانِ  
كَمْ مَا زَحْرَامًا، عَنِ الْحَلَالِ بِيْرَهَانِ  
مَنْ غَيْرَ خَفَاءٍ، عَنِ الْعِيُونِ لِيَقْظَانِ  
مَنْ بَعْدَ ظَمَاءٍ، بِكَفِّ سَيِّدِ عِدْنَانِ  
أَرْضٌ وَظَبَاهَا، وَشَقٌّ شَاهِقٌ إِيْوَانِ  
مَعَ طَيْبِ كَلَامٍ، بِقُرْبِ حَضْرَةِ رَحْمَنِ

والجسْمُ عَلِيلٌ، وَفِي الْفُؤَادِ غَلِيلٌ  
مَنْ لِي بِسَبِيلٍ، إِلَى لِقَاءِ جَلِيلِ  
مُذْبِتِ كَلِيمًا، وَقَدْ بَعَثْتُ نَسِيمًا  
بِاللَّهِ رَسُولِي، إِذَا وَصَلْتُ لِسُورِي  
إِنْ شِمْتُ <sup>(١)</sup> قَبُولًا، فَتَقُلُّ أُنْتِ رُسُولًا  
وَإِبْدَاءِ بِسَلَامٍ، يَفُوقُ سَحَّ غَمَامِ  
وَأَسْأَلُ <sup>(٢)</sup> إِذَا مَا، فَهَمَّتْ مِنْهُ غَرَامَا  
أَوْ صَدْمًا لَالًا، وَلَمْ يَجِبْكَ سُؤَالَا  
وَأَحْذَرُ هَفْوَاتِ، تَدِيمِ طَوْلِ فِوَاتِ  
وَإِنْعَمِ بِصَرِيحٍ، مِنَ الْمَقَالِ فَصِيحِ  
مَنْ كَانَ إِمَامًا، وَفِي الْحُرُوبِ هَمَامَا  
أَغْنِي بِعَطَاءٍ، وَشَقِّ بَدْرِ سَمَاءِ  
وَالجَيْشِ أَتَاهُ، مِبَادِرًا فَسْقَاهُ  
وَالعَيْنِ شَفَاهَا، وَكَلِمَتَهُ شِفَاهَا  
أَسْرَى بِظَلَامٍ، بِهِ لِنَيْلِ مَقَامِ

(١) ص « سمعت » ، أثبتنا رواية هـ ، ب .

(٢) هـ « وأسأله »

واختم بصلاة ، على شفيح عصاةٍ تأتي بصلات ، لدي الحساب وميزان  
مَنْ خُصَّ بقربٍ ، من الإله وحبِّ والآل وصحب ، وتابعيه بإحسان  
قلتُ : والقصيدةُ التي نقلها صاحب الترجمة في بيان منازل الحج  
مطلعها قوله :

لك الحمدُ يا ربي على كلِّ نعمةٍ      وشكرٌ لما أوليتَ من غيرِ نعمةٍ  
وأزكى صلاةٍ مع سلامٍ تتابعا      على خيرٍ مبعوثٍ إلى خيرِ أمةٍ  
وبعدُ فإنَّ اللهَ أوجبَ حمدَه      عليَّ بتوفيقٍ لأوفرِ حجةٍ  
وأجزل لي النعماءِ لما تعدَّدتْ      منازلُها فضلاً بقدرِ المشقةِ  
وما كنتُ أهلاً كي أنالَ ثوابها      بمالٍ ولا جاهٍ ولا فضلِ همّةٍ  
ولكنَّ فضلَ اللهِ يؤتِيه من يشاء      ويغمرُه جوداً بوسعِ رحمةٍ  
وكنتُ أشدَّ الناسِ شوقاً لأن أرى      بعيني ضريحاً حلَّ أشرفَ بقعةٍ

فلما دنا من أن تسرَّ ركبنا  
ترحلتُ من أرضِ الشامِ ولم أبتُ  
وأصبحتُ في «ذالنون»<sup>(٢)</sup> صباً متياً  
وكادتُ دموعي أن تسيلَ بمهجتي  
كما بات بعضُ الركبِ في أرضِ «قبة»<sup>(١)</sup>  
وأصبحتُ ذا وجدٍ بأرضِ «كتيبة»<sup>(٣)</sup> (٢٩٣)

(١) قبة : صوابها (قنية) وهي من قرى حوران شمال (كتيبة) بناحية الصنمين

بمنطقة ازرع ، على بعد (٣٠) كم شمال درعا (أذرعات) .

(٢) لعله يريد دير أيوب ، قرية بجوران زعموا أن أيوب صاحب الحوت كان بها

وبها ابتلاه (انظر : مرصد الاطلاع ٢ - ٥٥٢) .

(٣) كتيبة : جنوب قنية بناحية مركز منطقة درعا ، على بعد (١٩) كم من درعا .

وعيني بتقطير «المزيريب»<sup>(١)</sup> جانست تقاطر دمعي مُذْ تَوَالَتْ وَوَالَتْ  
 ومدت سر يعاً بالسرى «أذرعاتها»<sup>(٢)</sup> فلاح لها نورٌ «بمفرق»<sup>(٣)</sup> جبهة  
 ومرت على «الزرقاء»<sup>(٤)</sup> ففاضت عيونها وحلت من «البلقاء»<sup>(٥)</sup> فؤاداً فأروت  
 وقلعة «قطران»<sup>(٦)</sup> الطريق «تأوتت» لذلك نيراناً من «الجوف»<sup>(٧)</sup> ألقّت  
 وأرض «الحساء»<sup>(٨)</sup> فيها الحشازاد ووقده فأحرق حتى عشب أرضٍ عزيزة  
 وبت «معاناً»<sup>(٩)</sup> حيث بت معاينا لوجدٍ وتبريحٍ وشوقٍ وفرقةٍ

(١٠) | وبالجملة فقد كان من محاسن الزمان . ولو بلغ من العمر مبلغ أبيه ،  
 لفاق كلُّ فاضلٍ نبيه ، لكنَّ الدهرَ أسرع بأخذه وهو شاب ، وما  
 ابيض عارضه ولا شاب . فعليه الرحمة والرضوان ، من الملك الرحمن | (١٠) .

(١) مزيريب : غرب درعا وتبعد عنها ( ١٥ ) كم ، وكانت من منازل ركب  
 الحج الشامي .

(٢) اذرعات : مدينة في حوران تبعد عن دمشق ١١١ كم جنوباً ، وهي درعا اليوم ،  
 وهي مركز محافظة حوران . ( انظر التسميات الإدارية ص ٢٠ ) .

(٣) مفرق : تقع على الطريق ما بين درعا وعمان في شرق الأردن .

(٤) الزرقاء : بلدة بناحية معان ( معجم البلدان ) وهي في المملكة الأردنية اليوم .

(٥) البلقاء : كورة كانت بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان ( معجم البلدان ) .

(٦) قطران الطريق : وهي ( قطرانة ) في الأردن وهي محطة على طريق القطار

دمشق - المدينة ، وعلى بعد ( ٣٢٧ ) كم من دمشق و ( ٩٧٦ ) كم من المدينة .

(٧) الجوف : ناحية في شمال جزيرة العرب على الحدود السعودية الأردنية قاعدتها  
 دومة الجندل .

(٨) بالفتح والقصر موضع قرب الكرك أظنه وادي ( معجم البلدان ) .

(٩) معان : مدينة في طرف بادية الشام تلاء الحجاز من نواحي البلقاء ( معجم البلدان ) .

(١٠) ما بين الخطين ساقط من ه ، ب .

٧٩

ابراهيم<sup>(١)</sup> بن أبي اليمن الحلبي البتروني

فاضلٌ وابن فاضل ، كاملٌ وابنٌ كامل . أنشدني له الفاضلُ العلامة  
لطفي چليبي الشهير بابن المنقار الحلبي ثم الدمشقي مضمناً ، في منزلي  
بدمشق ، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف من الهجرة | النبوية ، على  
صاحبها ألفاً ألف صلاةٍ وتحيّةٍ | (٢) :

ولي<sup>(٣)</sup> رشاً أحوى إذا ماس في الرشيبي وهزّ قواماً منه تحتجبُ القضبُ  
علقتُ به حتى هلكتُ صباةً ومَنْ ذا يرى هذا الجمالَ ولا يصبُو

ولوالده الشيخ أبي اليمن على ما أنشدنيه المذكور في التاريخ المزبور :  
يلوموني في حبٍّ مَنْ بجماله صَبَوْتُ ولا لَوْمٌ عليّ ولا عَتْبُ  
وكيف يلوم العاذلون أخا الهوى ومَنْ ذا يرى هذا الجمالَ ولا يصبُو

(١) هذه الترجمة كتبت مرتين متتابعتين في هـ .

(٢) ساقط من ب .

(٣) ب ، س « وبني » خطأ .

## ٨٠

سيدي الشيخ ابراهيم الحلبي

الشهير بابن الملا<sup>(١)</sup>

هو الشيخ الفاضل ، جامع أشات الفضائل ، الأصيل العريق ، وارث علوم الأسلاف بالتحقيق ، نتيجة البيت القديم ، صاحب الفضل الجسيم . اجتمعت به لما وردت الى حلب المحروسة في سنة سبع عشرة بعد الألف ، ففضل علينا بلطفه ، وإحسانه أولى . وكتب إليّ أولاً هذا اللغز في حسن رعاية لإسم الفقير ، وهذا نظمه الخطير ، وكتب قبل النظم قوله :

هذا ما سمح به خاطر الفاتر ، مهدياً ذلك الى العلامة الفهامة ، من افتخرت به على الأوائل الأواخر . والمرجو منه والمسئول ، الإقبال عليه تفضلاً والنظر اليه بعين القبول .

قال ذلك وكتب من لا يُدرك بين أهل العلم والأدب ، ابراهيم بن أحمد بن الملا تغمده الله برحمته ولوالده وأولاده . ( ٩٣ ب ) ولأحبابه وأحفاده . آمين . آمين .

---

(١) ه ، ب « الشيخ ابراهيم الشهير بابن الملا الحلبي » . وهذه الترجمة المثبتة هنا أوسع بكثير مما هي عليه في ه ، ب . وهي تبدأ في ه كما يلي : « هو ابراهيم الذي ورت الفضائل ، كابرأ عن كار ، وروى خبر الفتوى ، عن جهايزة أكابر . حجّ في سنة عشرين بعد الألف . . . » وقوله حجّ في سنة عشرين سيأتي في ترجمتنا فيما بعد . وكل ما ورد هنا قبله فهو ساقط من ه ، ب .



عفا الله ما مدح حب بَسَنُ      بل فرضُ عَدِينِ والوجه فيه حسن  
فَعِينُ فرضِ حَمْدُ مَوْلَى أَتَى      عبداً تَمَنَّى طَيْفَهُ في الوَسْنِ  
فمرحباً أهلاً وسهلاً بَمَنْ      قد عقد الألسنَ منه اللِّسَنُ  
قدمتَ بالأيمان واليمن إذ      قديمَ فَضْلِ كُنْتَ في كلِّ فن  
لكنني عن سوقِ شوقِ بدا      مَنِي رَمَزُ فيه لُغزُ رَعَن  
فانعم وأمعن ابن يجلو فمن      سواك نرجوه لذا القَصْدِ مَنْ  
يا عَدَمُ مفهومُه عالمٌ      ولفظُه بالفضلِ منه اقترن  
أبعاضه في الحسن قد رُكِبَتْ      وذكرُه في كلِّ قطرٍ حَسَن  
وآخرُه مقلوبه المستوى      صحف بالمدح بنسخِ إذن  
وإن تشقَّ قلبه تَلَقَّه      بَخْساً كذا في سرِّه والعلَن  
وحرْفُه الثاني إذا أنت قد      اسقطته مع ذا ترى ذلك حن  
فهل لِحَلِّ حِلُّ لُغزِ أَتَى      وأنتَ أَوْلَى مَنْ بذا الحِلِّ مَنْ  
بقيتَ آدابَ الأئلي مُحِيماً      منها فُروضاً مُحِيَّتْ والشَّنْ

فكتبتُ إليه الجواب بعون الملك الوهاب . وقد اجتنبتُ الإجابة  
على أسلوب رويته ، لكن الروي المقيّد يَرِدُ فيه الكلامُ مختلفاً ركيكاً  
فاًسداً بحسب قبول الطبيعة المستقيمة . فأجبتُه في رويّ النون ، لكن  
من بحر البسيط ، مع تحريكِ حرفِ الروي ليرد النظم فيه مستقيماً .

وقد سبقني الى هذا الصنيع بعينه الشريف الأجل أبو محمد الرضا الموسوي الفاضل ذو المجدين وصاحب المنقبتين ابن الشريف الأجل السيد الحسن بن ابراهيم الحسيني البغدادي رحم الله روحه ، ونور ضريحه ، عندما كتب اليه الأديب البليغ أبو اسحاق الصابي الشير بان هلال قصيدة من البحر الطويل ، لكن أورد نظمه على قافية مقيّدة ، فجاء نظمه ركيكاً فغيّر الأسلوب الشريف في نظم الجواب .

فأما قصيدة أبي إسحاق الصابي فمطلعها :

أبا كلُّ شيء قيل في وصفه حسنٌ      لذلك يُعني من كُنّاك أبا الحسن<sup>(١)</sup>  
وأما جواب الشريف الرضي فمطلعه :

دَع من دموعك يومَ البينِ الدّمَنِ      غداً لدارهمُ واليومَ للظعنِ<sup>(٢)</sup>  
واعتذر اليه بما اعتذرتُ به .

وهذا جوابي :

سرّي غدا بدموع العين كالعلنِ      وكان سرّاً قبيلَ البينِ لم بينِ  
وأظهرتُ زفّراتي ما أكتّمه      كَيْتَ الهوى زال عن قلبي ولم يكنِ  
بعضي لبعضي مذيّعٌ ما يُستتره      فكان طرفي لقلبي جالبَ المحنِ  
يا منزلَ الحيّ حيتّك الهنا وبكتُ      على طُلولك أجفانُ الحيا الهتنِ  
كم في فنائك من وقتٍ نعمتُ به      وليلةٍ أخرجتُ من ناظري وسني

(١) انظر القصيدة في رسائل الصابغ والشريف الرضي ص ٢٧ وفيه :

إلى ذاك ينحو من كُنّاك أبا الحسن

(٢) انظر القصيدة في رسائل الصابي والشريف الرضي ص ٣٢ .

ما إن نسيتُ زماناً فبك قد ضحكتُ  
والدهرُ يضحكُ لي بالسعد مبتسماً  
دهر مضي بريب في الصبا قشِب  
ما إن أسفتُ على ما كان حين مضي  
يأليت شعري وهل في لبت لي أرب  
والأذن تُسمع ما تهواه من فرح  
أبي فؤادي سوى ذكري لما سلفتُ  
سقاك دفتق الحيا مغنى الهوى وعَلتُ  
ولا عدتها غوادي الموزن وانسكبت  
وحيث كان بعيني سحب مدمعها  
إذا سقى الدمعُ أطلال الديار فلا  
دمشقُ داري وأوطاري بساحتها  
وفي موطنها ما رُمّت من منج  
أقمتُ في ظلها جذلان أرقل في  
لا أختشي من رقيب ما يُزخره  
والآن زالت ومالي بعد فرقتها

ثغوره كابتسام الزهر في الغصن  
وكان بالوعد قبل اليوم يملني  
ونسمة الخطّ في الأسحار توقظني  
ولا على سكني في ذلك السكن  
هل يسمع الدهرُ لي بالجمع في وطني  
والعين تُبصر ما تختار من حسن  
من الليالي وأشواق تورثني  
على الممالك من مصر ومن يمن  
دموع عيني بما تربو على المزن  
فكيف حملي يداً للسحب تُثقلني  
أكون ممن يرى للسحب من منن  
أدواحها منعشاتُ الروح في البدن  
تريح روحي من الأكدار والحزن  
أرجائها خالعاً بين الورد رَسني  
من الحديث الذي يدعو إلى الفتن  
سوى المديح لربّ الجود والفطن

للكامل المرتضى في كل ما رضيت به المكارم من فرضٍ ومن سنن يعطي<sup>(١)</sup> الهدى والندى والمجد من غرست برهان كل دليل للكمال فقد أرسلت تسألني عني فواعجباً أوضحت لغزك تسهياً لسامعه اللفظ بين الوري إن رفته حسن من أين لي حسن معني يتغنى ويرى أعانقُ الهم في ليل وأسفح من (٩٤ ب) قد أشرق الحسن عقد أفي محاسنكم جاءت قصيدتكم للخل ضامنة أخرجتها من محار الفكر غالية جازت إلى خاطري عفواً ومتعني وقد وجدت لها صفو الوداد على فأسلم وكن سابقاً في كل مكرمة وألبس جديداً من الحظ الجديد وسر ملاح برق وما هبّ النسيم وما

(١) في الأصل : يهب ، وبها لا يستقيم الوزن .

قلتُ : وكان جوابي المذكور تأخر عن الشيخ ابراهيم وتقدم مني  
جواب للشيخ أبي الوفاء ابن شيخ الإسلام الشيخ عمر الفرضي وسيأتي ذكره .  
فكتب إليّ الشيخ ابراهيم المذكور هذه الأبيات عتاباً على تأخر جوابه فقال :  
سألتك أيها المولى المهابُ      وكان القصدُ منك هو الجوابُ  
لنحبي سنةَ الأدياءِ قِدماً      ويُفتحُ بيننا من ذاك بابُ  
ونسقي من ربي الآداب ما قرأ      ذوى شحاً به سخّ السحابُ  
وتحركُ الطباعِ بعذبِ نظمٍ      له يجلو السماعُ ويُستطابُ  
فلم أرَ جاءني منكم جوابٌ      فزاد بيّ الجوى والالتهابُ  
فأشبهتُ الصدىّ قِلاًّ وحالاً      وكنْتُ أنا الجيبُ كذا المجابُ  
إذا هضمٌ لقدري ليت شعري      وإلا البالُ مشغولٌ مُعابُ  
وليس العزُّ أولى باعتناء      لترجيحِ ولي معَ ذا عتابُ  
فحقٌّ بأن أقول مضمناً ما      لبعضهمُ وذلك لا يعابُ  
وفيه بعضُ تغييرٍ للفظٍ      وتعبيرٌ به المعنى صوابُ  
إذا انقطع الخطابُ فليس ودٌ      ويبقى الودُّ ما بقي الخطابُ

فكتبت إليه معتدراً عن جوابه ، محبباً عن عتابه ، وتأخير خطابه :

عتابٌ منك قولٌ مستطابٌ      وفرض أن يُراد لك الجوابُ  
أيرضى عاقلٌ فطنٌ لبيبٌ      بأنك عن سؤالك لا تُجابُ

معاذَ الله يا ابن شهابِ فضلٍ  
إلى نحوي نظامٍ منك أعلى  
نظامٍ ما نظام الدرِّ يبدو  
نعم مرآة فك النظم تحفى  
(٢٩٥) وقد يستفتح الأبواب مثلي  
فصبراً فالغناء إلى افتقارٍ  
ومَن هو مثلكم في وصفِ فضلٍ  
ومَن هو يدني منكم بدعوى  
ظننتم بالفقير ظنونَ خيرٍ  
وما أبديتُ في عمري قصوراً  
أنا الراعي عهدَ الصَّحْبِ دهري  
نعم أنا حافظُ الطائفِ خلي  
ومَن يرعى ودادَ الخللِ مثلي  
فيامولُ رقى رتبَ المعالي  
لكَ المجدُ القديم يرف منه  
ومنك كمالُ من يبغى كمالاً

علا حتى دنا منه الشهابُ  
وأعلى أن يقاس به الشبابُ  
على نحرٍ تُزان به الكعابُ  
بكرةٍ غربةٍ وهي الحجابُ  
فِيُغَلِّقُ دونَه في السعي بابُ  
ومرجعُ ما نَعَمَّره خرابُ  
مناهلُهُ يروقُ بها الشرابُ  
مزخرقةٍ وليس لها صوابُ  
وجاء بذاك لي منكم كتابُ  
فينشأ عنه في الدنيا عتابُ  
وعُذري ما شكنا منه الصَّحَابُ  
بها عندي وإن قلت حسابُ  
ويحفظهُ ولو نُسي الثوابُ  
وأضحى دونَ مرتبه السحابُ  
على العذباتِ نشرٌ مُسْتَطَابُ  
وأوصافُ الدواء لمن يصابُ

لقد مَلَّاتُ دَفَاتِرَ كُلِّ مَدْحٍ      مَنَاقِبِكُمْ وَلَيْسَ بِهَا نِقَابُ  
جَرَّرْتُمْ فَوْقَ مَتْنِ النُّجْمِ ذِيلاً      عَلَى مَتْنِ السَّحَابِ لَهُ انْسِحَابُ  
فَدَامَ لَكُمْ ثَنَاءٌ لَيْسَ يُنْسَى      وَمِنْ سَعْدِ السُّعُودِ لَكُمْ خِطَابُ  
مَدَى الْأَيَّامِ مَا لَاحَتْ بَرُوقُ      وَمَا هَمَعَتْ بِمَنَادِيكُمْ سِحَابُ

قلتُ : وقد كان الشيخ ابراهيم المذكور عرض عليّ كتاباً منظوماً  
نظمه وهو كتاب « الدرر والغرر » في مذهب الإمام الأعظم  
أبي حنيفة رضي الله عنه . وهو شرح ومتمن . ونظمها معا . وعندني  
أنه لو نظم المتن فقط لكان أولى وأحرى ، وكان ينفع في الدنيا  
والآخرة . لكنه اختار ذلك فنظم من بحر الرجز ، ولعلّ الله أن  
ينفع به ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

ولما عزمت على النظم المذكور لوائح بطلب الكتابة عليه ، على عادة  
العلماء في تعريف ما يقفون عليه من المصنفات . فكتبت هذه الأبيات  
من بحر الرجز طالبا للمناسبة ، فإن نظمته للكتاب المذكور من بحر الرجز  
أيضاً فقلت :

حمداً لمن جلّ عن الأشباه      سبحانه من أمرٍ وناه  
تقدست صفاته القديمه      وعظمت هباته العميمه  
فهو الإله الصمد القديم      وهو الرؤوف الخالق العظيم  
ثم الصلاة والسلام سرمداً      على شفيع المذنبين أحمداً  
وآله وصحبه الكرام      ما ظهرت عجائب الأيام

وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ عَظِيمُ النِّفْعِ - مَنْوَرٌ لِنَاظِرٍ وَسَمْعٍ -  
قَدْ اصْطَفَى اللهُ لَهُ الْخِيَارَا - وَأَظْهَرَ الْحَقُّ بِهِ الْأَسْرَارَا -  
فَعَالِمٌ مِنْ أُمَّةِ الرَّسُولِ - مُحَمَّدٍ مِثْلَ النَّبِيِّ الْجَلِيلِ -  
كَمَا أَتَى فِي صَادِقِ الْأَخْبَارِ - مَسَالِمًا مِنْ وَصِيَّةِ الْإِنْكَارِ -  
وَإِنْ مِمَّنْ حَفِظَ الْعُلُومَا - وَحَقَّقَ الْمَنْطُوقَ وَالْمَفْهُومَا -  
الْعَالِمَ الْمُحَقِّقَ الْمُنْطِيقَا - مَنْ لَمْ يَزَلْ بِسُودٍ خَلِيقَا -  
نَجَلِ الْمَوَالِي <حَايَةِ> الْأَيَّامِ - عَيْنِ الْمَعَالِي وَوَحْدِ الْأَنْامِ -  
هُوَ الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ الْفَاضِلُ - وَهُوَ الَّذِي دَانَتْ لَهُ الْأَفْاضِلُ -  
فَاقَ عَلَى النَّاسِ بِحَسَنِ الْفَهْمِ - وَكَثْرَةِ الْعِلْمِ وَوَصْفِ الْحِلْمِ -  
وَهُوَ الشَّهِيرُ فِي حَمِي الشُّهْبَاءِ - بِالْجُودِ وَالْكَهَالِ وَالصَّفَاءِ -  
وَالدُّهُ أَحْمَدُ نَجَلُ الْمَالِ - وَهُوَ الَّذِي لِكُلِّ فَضْلٍ أَمَلِي -  
وَنَجَلُهُ الْبِرْهَانُ الْإِبْرَاهِيمُ - وَهُوَ الْجَوَادُ الصَّادِقُ الْكَرِيمُ -  
وَمَنْ غَدَا مَحْرَّرَ الْأَحْكَامِ - نَظَّمَ فِيهَا عُمْدَةَ الْحُكَّامِ -  
أَبْرَزَهُ عَقْدًا مِنَ الْجَوَاهِرِ - مَنْوَرًا فِي سَائِرِ الْمَظَاهِرِ -  
دَلَّ عَلَى التَّحْقِيقِ لِلْعُلُومِ - مَحْرَّرَ الْحُدُودِ وَالرُّسُومِ -  
لَيْسَ بِهِ مِنْ تَخَلُّلٍ حَاشَاهُ - مَحْرَّرًا مَهْدَبًا أَبْدَاهُ -



رأيتُه جراً غزيراً الدرر  
يكاد من عذوبة الألفاظ  
ليس له في دهره مثيل  
فهو فريد دره الثمين  
صفاته مثل النجوم الزاهرة  
يمدحه العدو والصدیق  
لا يبصر الناقد فيه عيباً  
فكلُّ ناطقٍ له مدائح  
أقسمت بالله العظيم الباري  
لقد أتى بالعجب العجائب  
وفاه بالتحقيق والصواب  
ولم يدع من قدرة للبشر  
ومذ وردت حلب الشهباء  
وعندما رأيتُه بالبصر  
وشمته فوق الذي قد قالوا  
لأنه محرر مذهب  
فأسأل الله تعالى رحمه

وفي سماء المجد شمس الغرر  
تشربه مسامع الحفاظ  
وما له في لطفه عدیل  
وهو بما تمدحه قمين  
وكالعقود المئتمنات الباهرة  
ويبتغيه الضد والرفیق  
ولا يرى الحاسد فيه ريباً  
قد أنست بلطفه الأرواح  
رب البرايا مظهر الأسرار  
وبين القشر من الأبواب  
مبيناً نتائج الأبواب  
في غرر نظمها ودرر  
حققت في مديحه الأنباء  
علمت أن الوصف فوق الخبر  
وحق فيه الوصف والمقال  
منقح مقرر مرتب  
من جوده وأن يديم النعمه

وَأَنْ يُدِيمَ نِعْمَةَ الْمُؤَافِ وَيَجْزِي الإِحْسَانَ لِلْمُصَنِّفِ  
وَأَنْ يُدِيمَ رَحْمَةَ الآبَاءِ مَكْثَرًا مُوَاهِبَ النِّعْمَاءِ  
وَقَلْتُهُ فِي لِحْظَةٍ مُرْتَجِلًا مُعْتَذِرًا مِنَ الْقُصُورِ خُجْلًا  
فِي حَلَبِ الشُّهْبَاءِ دَارِ الْخَيْرِ لَا مَسَّهَا طَوْلُ الْمَدَى بِضَيْرٍ<sup>(١)</sup>  
وَبَقِيْتُ عَامِرَةً الأَوْطَانَ مَا غَرَّدَ الطَّيْرُ عَلَى الأَغْصَانِ

قلت : وقد كان الشيخ ابراهيم المذكور قد عرض عليّ « شروح والده  
لمغني اللبيب » ، ( ٩٦ آ ) وهو في الحقيقة من محاسن الآثار ، ولطائف  
الأسفار . وطلب مني ولده المذكور الكتابة عليه . فكتبت عليه هذه  
الآبيات مرتجلا :

لَقَدْ سَعِدْتُ لَوَاحِظُنَا بِشَرْحِ يَنْهَضُ هِمَّةَ الْفِطَنِ اللَّيْبِيبِ  
حَوَى كُلَّ الدَّقَائِقِ وَالْمَعَانِي مُصِيبًا سَهْمَهُ غَرَضَ الْمُصِيبِ  
تَفَرَّدَ بِالْمَحَاسِنِ حَيْثُ أَضْحَى كِتَابًا جَامِعًا أَدَبِ الأَدِيبِ  
إِذَا اعْتَلَّتْ فَهُومٌ مِنْ عُلُومِ يَعَالِجُهَا بِأَدْوِيَةِ الطَّبِيبِ  
بِدَايَتِهِ نِهَائِهِ كُلُّ فَضْلِ نَعْمَ هُوَ مُنْتَهَى أَصْلِ الأَرِيبِ

وعرض عليّ لنفسه كتابه الذي سبق ذكره ، وكتب عليه ما ظهر  
نشره . فأرسل إليّ قصيدة أخرى من نظمه ملتزماً للوزن والقافية من  
قصيدي التي كتبتها له جواباً . ورأيت تغيير نظم سؤال له صواباً .  
وهذا ما كتبه إليّ وعرضه عليّ . ومن خطه نقلت :

(١) الأصل : من ضير ، وجاء ( في محيط المحيط ) أن من : ( يندى الى ثن )  
بحرف نقول مسست الجسد جاء ) .

لابدعَ إذ لجوابٍ منك لاح سنى  
فكم جلا إذ حلا لي أن أكرّره  
انزلته من سويدا القلب منزلةً  
وقلت يكفيك ذاممّن شغفت به  
ولا أقول كمن قد قال من شجنٍ :  
الأَّ أُجِلُّ رسولاً عزّ مرسله  
لله ما نشرت هذي الرسالة من  
نعم رسائل اخوان الصفا سلفاً  
فهي التي تبتغي إكرامَ وافدها  
وللغنيّ من الآداب<sup>(٢)</sup> لم أر من  
وما درى أنّ من بالفضل يكرمه  
لكن خطابي لكَفوَ خاطبٍ فإذا  
فلا يعي كل ما يعنى اللبيب سوى

إن قلت يا حسناً قد جاء من حسنٍ  
لما انجلي في حلى الآداب من حزنٍ  
وصنته في عيوني صون مؤتمن  
مذكراً مؤنساً في السرّ والعلن  
(بالله ربّكها عوجا على سكني<sup>(١)</sup>)  
وفي سويدا الحشا، لاعاد، إن أضن  
مطوي آداب أرباب أولي فطنٍ  
كذا، وفي خالفٍ من سابغ المنن  
وصون شان لها عن شين مهمتهن  
غبيّ طبعٍ حسودٍ ضيق العطن  
مولاه حاسده ماضر إن يهن  
خاطبت أعني بقولي واعى الأذن  
أبناء نوعٍ وجنسٍ من ذوي اللون

(١) في الأصل « سكن » والحقيقة انها : سكنى مع الياء ، وهي من أيات جنت  
ها أيات للوأواء الدمى وجاء قبل هذا الشطر قوله : « فيانما وبرفأ هجا  
شجنى » ومفهوم ان الشاعر يقصد نفسه في الشجن والسكن .  
(٢) أصل الشطر « وللفتى من الآداب كم أر من » والتصنيف ظاهر .

لا يعرف الفضل إلا من تعرفه  
واحيرتني كم أرى للعلم مدعياً  
فهل جبانٌ بحقّ السيفِ قام وهل  
فما احتيالي لهم ممن <sup>(١)</sup> جفا زمي  
(٩٦ ب) إذ كنت لم أره بي سالكاً أبداً  
والدهر مع فاضل كالريح مع سفنٍ  
وإنّ في بعضِ ألفاظٍ تخيل لي  
<sup>(٢)</sup> (ما كل ما يتبغي ذو اللب يدركه  
لكنّ عن ذألسلي النفس صرت بما  
أقول عيبٌ قديمٌ ظاهرٌ علان  
وما أرى أنّ في شكوى الأنام اه  
هذا وعدُّ بنا عن ذا الجواز وعدُّ  
هل هذه الدار دار المؤمنين الكبي  
وهل رأيت بها من كان ذا خطرٍ  
وهل بها مؤمنٌ إلا على سفرٍ

بالجد والرسم ممن قد وعى وغنى  
وفي امتحانٍ لمعنى اللفظ لم يُبين  
يقوّم الدرّ إلا عارف السنن  
أقام والخلّ لم يسعف ولا زمي  
إلا على عوجٍ عن أعدل السنن  
وشاهدي قول ذي فضل وممتحن  
تصرفاً فيه عنه لم أكن بغني  
تجري الرياح على عكس اشتها السفن  
شكاه من سلفوا من دائه الزمّن  
وذاك داءٌ عقيمٌ الطبّ لم يكن  
جدوى سوى بثّ حزن القلب والشجن  
الى الحقيقة تلق الروح في البدن  
يصفو بها عيشتهم من غصّة الفتن  
أو قد سمعت به خلواً من المحن  
وهل بها غيرُ مسجونٍ ومرتمنٍ

(١) في الأصل « من » .

(٢) واضح ان هذا البيت مأخوذ من بيت النبي :

ما كل ما يتبغي المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

ففيهم هذا العنا والقطن مع كفنٍ فغاية أو بقاء<sup>(١)</sup> بالمات هني  
فقد كفى واعظاً هذا لمتعظ يقول قطني قطني أو كفى كفي  
وكتب بخطه بعد تمام كتابة النظم : حرر ذلك بعد أن نظمه  
وكتب الخَجِيلُ الوَجِيلُ مما جنى واكتسب ، ابراهيم بن أحمد بن الملا  
الشافعي العباسي الحلبي تغمده الله برحمته فرعاً وأصلاً .  
و<sup>(٢)</sup> حج في سنة عشرين بعد الألف من جهة الشام . كان الفقير قاضياً  
بالركب الشريف الشامي ، وكان يكتبني ويراسلني وكنت أجيبه عن  
مكاتبتة وأراسله في مخاطبته .

ولما سافرتُ الى حلب الشهباء في سنة سبع عشرة بعد الألف لأمرٍ  
مهمٍّ ، وخطبُ مِلم - وذلك لإخبار الوزير الأعظم مراد باشا المرحوم  
بما صدر من علي بك ابن جانبلاط في دمشق ، وعدم موافقة عسكر  
دمشق له ، بل خالفوه وقتلوه وقابلوه - وجدتُ ابراهيم جلي المذكور  
في حلب . فسلمتُ عليّ في مكانٍ نزولي وأضافني ، وحمل إليّ هدية .  
فلما صادفتُهُ في الحج كنتُ الأطفية عندما أصادفه . ولعمري إنه لأهلٌ لذلك ،  
وإنه يمتن سلك في طريق الصالحين أقوم المسالك . ووالده الشيخ أحمد  
مذكور<sup>(٣)</sup> في تاريخنا هذا وله ترجمة خاصة ، وعلى بعض أفعاله الكريمة ناصتة .  
وولده هذا شافعي كأبيه وجدّه ، لكونهم أكراداً واستقرّوا بحلب ،  
وصاهرُوا فصارت لهم أوقافٌ وصلوا إليها من بعض من انتسبوا إليه بالمصاهرة .  
وقد كتب إليّ ( ٩٧ آ ) هذه العبارة وما بعدها من الأبيات المسطورة ،  
وذلك قوله ومن خطه نقلت :

بإمه سبحانه ، نرجو إحسانه .

(١) الأصل : عيش ، ومعها لا يستقيم الوزن .

(٢) كل ما سبق ساقط من ه ، ب .

(٣) ه ، ب « ... الشيخ أحمد تقدمت له ترجمة خاصة »

يقول كاتب هذه الأحرف السقيمة ، الراجي من مولاه أن يكون على طريقة مستقيمة ، الحاج ابراهيم بن الملا ، أحمد الشهير بابن الملا . وفقه الله تعالى وسدده .

هذه تجربة خاطر فاتر من وَعَثَاء السفر ، واستنطاق فكر جامد خامد عسى أن يأتي بِمُسْتَمْلِحٍ من نتائج الفِكر ، للعرض على حضرة مولانا زبدة العلماء الموالى ، ونخبة أكابر الدين الأعالي ، أفضى القضاة العاملين بين العالمين ، البدرى الحسنى ، الشهير كالبدر المنير ، بحسن افندي البوريني ، لزال ملحوظاً محفوظاً بنظر أحكم الحاكمين . فذلك قولى فيه مادحاً :

أيا بدرَ دينٍ قد قضى فرضَ حجةٍ      وأصبح مرضياً لدى الحقِّ راضياً  
وزان قضاء الحجِّ إذ كان مُسنداً      إليه وعن ماشأته مُتغاضياً  
فيا حسناً في حالتيه ومُحسناً      بعدلٍ وفضلٍ صرت للحجِّ قاضياً

قلتُ : وقد حكم بذلك البيت الثالث لطافة لا نظير لها . وذلك أن قضاء الحج بالنسبة إلينا معنيان : قضاء النسك لأن حجتنا هذا كان حج الإسلام ، والقضاء بين الخصوم في الركب الشامي ، وفيه أيضاً اللف والنثر حيث قال : بعدلٍ ، وهو يرجع للقضاء ، بمعنى الحكم بين الخصوم . وقال : بفضلي ، وهو يرجع للقضاء ، بمعنى قضاء النسك . وقد كتبت له الجواب مرتجلاً ورسوله واقف . غير أن جوابي بتمامه ليس في خاطري وإنما استحضرت منه هذين البيتين وهما من جملة الجواب :

فيا سيدي الأعلى ويا نجل سيدي      غدوت لأثواب الشيبية ناضياً  
وجئتُ اغسل الجسم من ماء رحمةٍ      فيا ليتني لا كنت في الركب قاضياً  
انتهى .

وبيني وبينه مراسلة<sup>(١)</sup> كانت قد صدرت سابقاً حين رحلتي إلى حلب في سنة سبع عشرة بعد الألف ، والكلُّ مذكورٌ في « رحلتنا الحلبية » .  
بعون الله رب البرية .

وهو الآن من أحسنِ خلقِ اللهِ سلوكاً ، وأفضلهم وأكملهم وأعلمهم .  
وفقنا الله تعالى وإياه ، لما يحبُّه ويرضاه ، إنه سبحانه سامع الأصوات  
مجيب الدعوات .

والشيخ ابراهيم هذا من محاسن أهل حلب ومن قضى من طلبه الأرب .  
وقد بلغني أنه منزوٍ عن الناس ، وأنه يرى الوحشة بالانفراد خيراً من  
الجميعة والاستئناس . وقد نظّم الكتاب الشهير بين فقهاء الحنفية  
« بالدرر والغرر » المنسوب للمولى مولانا خسرو أفندي من بحر الرجز  
| كما تقدم<sup>(٢)</sup> | ورأيتُه بحلب . وقرّظتُ له عليه مع أنه شافعي .  
ولعمري إنه دخل في لجنة النظمِ بالتعرض لنظم الكتاب المذكور ،  
مع أنّ العادة في ما يُنظم أن يكون مختصراً مفيداً . ثم إنّ الغالب  
عليه معرفة الآداب ، وتحقيق البلاغة وفصل الخطاب . وهو الآن مقيمٌ  
بحلب الشهباء . أسمعنا الله عنه محاسن الأنباء .

(١) ب ، هـ « مراسلات » .

(٢) ساقطة من هـ ، ب .

## ٨١

### الشيخ ابراهيم بن كسابي العمادي المقرئ

هو (١) الشيخ الذي وقع الاجماع بدمشق على أنه مقرئاً درايةً وروايةً ،  
وأنه المطلع على وجوه القراءات الى الغاية . وكان مشاركاً (٢) في غير  
القراءات من بقية العلوم كالنحو والصرف ، وكان يتكلف نظم الشعر  
فيقع شعره مضحكاً . سمعت من لفظه مواليا بلسان التركيّة ، وهذا  
من العجب العجائب ، الذي لم يُسمع بمثله فيما مضى من الأحقاب .  
بل لا يتخيله عاقل ولا مجنون ، ولعمري إنّ الجنون فنون . والمواليما  
هو قوله بهجو امرأة بدمشق ، وكان متلفئاً الى طاقات الغُرف بدمشق  
متطلعاً الى صواحب يوسف وعواديه . ووقع من ذلك في البلاء الذي  
لا يُقال من عثر فيه . وذلك المواليا هو ما وعدنا به :

بِرَبِّقَسْمَاطِجِي قِزِي حَظُّ اَيْتَمَدِمِ اَنْدَانِ

آيُ بِيَقْلِي | سَمَقْلِي نِيَجَهْ اُولُورْ شَرْدَانِ

دُوغُورْدِي كَدِي سَن سَنُورْسَن بُوأُوغُلْ سَنْدَانِ

سَكْسَانِ سَكِينِ | كَرْدَانِ حَاصِلِ دَخِي بَنْدَانِ (٢)

(١) تبدأ الترجمة في ه ، ب بما يلي : « هو الشيخ الفاضل العالم الكامل المقرئ  
المحدث . ولد بدمشق الشام ، وانشأ في طلب العلم . وقرأ على شيخ الإسلام  
الطبي الكبير المتقدم ذكره . ومهر في علم القراءات حتى صار منقطع النظر في  
ذلك العلم . وكانت له مشاركات في غير القراءات ... » .

(٢) ومعناها :

لم آخذ حظاً من بنت بائع الكمك

ذي الشارين الفوسين كالمهلان وهو غير شرير

لقد ولدت هرة مولوداً يشبه صاحبها

وصاحبها قد حمل مني ثمانين وثمانين مرة



وكان قليلَ العقل قطعاً ، بل كان عديمه . لأنّه ذكر بيتين ما أظن أن في الدهر أحداً لا يعرفهما ونسبهما الى شعره ، وزاد في واحدٍ من المصاريح ألفاظاً تُخرِجُه عن الوزن ، وكتبها بخطه . ونسبتهما الى نفسه بضبطه . وكانت كتابتُهُ لهما في مجموع المرحوم القاضي محب الدين الحموي نزيل دمشق الآتي ذكره إن شاء الله تعالى . ولعمري إن للقاضي المذكور اطلاعاً على الشعر الحنفيّ ، فما بالك بالجليّ . وهذان البيتان من أجلّ الجليّ ، وكتابتهما عجيبة ، والزيادةُ فيها ما يخرجها عن الوزن أعجب ، وكونها في مجموع هذا الرجل الموصوف بكمال الاطلاع من أعجب العجب . وهما قول الشاعر :

مَثَلُ | الرزق | <sup>(١)</sup> الذي تطلبُه      مثل الظلّ | الذي يمشي معك  
أنت لا تدركُه متبِعاً      وإذا وُلّيت عنه تبعك

| الزيادة انه كتب المصراع الأخير : وإذا أنت قد وليت عنه تبعك <sup>(١)</sup> | .  
والمجموع موجودٌ الى الآن عند أولاد المرحوم القاضي محب الدين . وكان يعرض ذلك على غالب الطلبة عند دخولهم اليه بمكانه . وهو ابن عم شيخنا العماد الحنفي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .  
وكسباني جدّه كان من العسكرية بدمشق في زمن سلطنة الجراكسة . ( ٩٨٨ آ ) وهو في الحقيقة كان صالحاً في حدّ ذاته ، تبع في آخر عمره الصلاح ، وسلك طريقَ الفلاح . ولازم تدريس القراءات في الجامع الأمويّ غالباً ، ودرّس بدمشق في العادليّة الكبرى ، وكان ذلك بطريق الفراغ مني له لما درّستُ بالمدرسة الناصريّة الجوانيّة .

(١) ما بين الخطين القائمين ساقط من ه .

وتوفي رحمه الله تعالى | بدمشق | (١) في سنة سبع عشرة بعد الألف  
في ما أظن . ودُفن بالقرب من قبر أوْس بن أوْس الصحابي في مقابلة  
المدرسة الصابونية رحمه الله تعالى .

وخطب مدّةً طويلةً في المدرسة السبائية (٢) خارج دمشق في  
باب الجابية .

قلتُ : وكان شيخنا الطيبي الصغير قد توفي وانحلت عنه وظيفةُ  
مشيخة القراء بالجامع الأموي . فطلبها الشيخ ابراهيم المذكور ، والشيخ  
شمس الدين الميداني ، وتنازعا في طلبها عند قاضي قضاة دمشق عبد الغني  
أفندي الرومي (٣) . وكان القاضي المذكور عالماً كبيراً ، لكنه كان  
لا يُحسن القراءات المختلفة كما اعترف بذلك لما تنازعا بين يديه . فأرسلها  
الى منزلِ المرحوم شيخ الإسلام الشمس بن المنقار الحلبي الحنفي ، نزيلِ  
دمشق ، رحمه الله تعالى ، ليفصل بينهما ولينظر الأحق فيها (٤) بهذه  
الوظيفة . ففتح لها بحث التعريف للقراءة التي يكون ما وراءها شاذاً  
في اصطلاح القوم . وهذه المسألة لها طَرَفٌ أصوليٌّ وطَرَفٌ من جانب  
القراء . وصاحبنا الشمس الميداني يجيدُ الفقه وأصوله أكثر من الشيخ  
ابراهيم . فلما استفتحا الكلام على ذلك جرّه الشيخ شمس الدين الى الجانب  
الفقهي من جهة أن المصلي لو قرأ في صلاته بالقراءة الشاذة هل تصحُّ  
صلاته أم لا ، وهل تجوزُ القراءةُ بالشاذِّ خارج الصلاة أم لا . وهلمَّ جرّاً .

(١) ساقط من هـ .

(٢) نسبة الى سبائي نائب الشام . انظر الدارس ١ : ٥٣٠ .

(٣) انظر الباشات والقضاة ص ١٨ و ١٩ .

(٤) هـ « منها » .

هو قف الشيخ ابراهيم وظهرت عليه امارات الانقطاع : فندد به وقرءه  
ووبخه المتداعي لديه الشمس المنقاري . وكان في الباطن لا يحبه ، لأنه  
كان قد كتب اليه قديماً قصيدة مطلعها :

### أمنقار درّ في العلا عاد مشرفاً<sup>(٢)</sup>

فتخيّل من الدمّ قوله<sup>(٢)</sup> « منقار درّ » . ثم بعد ذلك أرسلت إلى الشيخ  
شمس الدين المنقاري ورقة شفاعة تتضمن مدح الشيخ ابراهيم بعلم القرآءات  
وذكره بالفقر وكثرة العيال ، وذلك لاستحقاقه في حدّ ذاته لذلك ،  
وليقرب به من شيخنا العمادي الحنفي قدّس الله سرّه . فأرسل إلى  
قاضي القضاة يقول له : إنّ الصواب عندي أن تُشرك بينهما في الوظيفة .  
فإنّ كلاًّ منها عنده صفة استحقاق لذلك . ففعل ما أشار به وقسمها  
بينهما . وهي إلى الآن مقسومة ، وما وصل إلى واحدٍ منها إلاّ ما قسم  
له ، والرزق مقسوم ، والمقدّر محتوم . والله تعالى أعلم . ( ٩٨ ب )

(١) « مشرفاً » .

(٢) الأصل : بقوله .

## ٨٢

### الشيخ أسد الدين بن معين الدين التبريزي ثم الدمشقي الشافعي

|(١) قدم من تبريز مع والده الخواجه معين الدين التبريزي الى ديار بكر ،  
ثم الى دمشق الشام . فسكن مع والده في صالحية دمشق مدة ، وترك  
ولده في دمشق وسافر الى باب السلطنة قسطنطينية . فصدرت من أبيه  
أحوال مخالفة لقانون الاستقامة من تلبس في المعاملة ، وتزوير في  
المكاتبة في زمن وزارة الوزير الأعظم رستم باشا . فلزم أن الوزير المذكور

(١) تبدأ الترجمة في ه ، ب بما يلي :

« الشيخ العلامة ، الكامل الفهامة ، فريد زمانه ، ووحيد أقرانه . الشيخ  
أسد الدين بن معين الدين التبريزي .

« ورد دمشق مع والده معين الدين المذكور من تبريز الى ديار بكر ثم الى حلب  
ثم الى دمشق ، واستوطنها ، وسار والده الى قسطنطينية دار السلطنة العثمانية  
حماها الله تعالى من كل بلية . فجرى عليه أمر اقضى صلبه ، ولم يجد خلاصه  
من هاتيك النكبة الصعبة . واستمر ولده أسد الدين المذكور بدمشق الشام ،  
فقرأ بها على العلماء الأعلام ، ولازم تحصيل العلم على العلماء الكرام ، ومهر في  
العربية والبلاغة والكلام . وصار مدرّساً بعدة مدارس ، وقرأ عليه بها كل  
طالب دارس . الى أن درس بالمدرسة الشامية البرانية بعد موت شيخنا الشيخ  
اسماعيل النابلسي مفتي الشافعية بدمشق . كتب إليّ وكتب اليه ، ورد عليّ  
ورددت عليه . فمن جملة ما كتبت . . . . . »

وقوله فمن جملة ما كتبت اليه . . سيأتي في ترجمتنا فيما بعد . وكل ما ورد

هنا في النص قبله فهو ساقط من ه .

عرض أمره على حضرة السلطان فأمر بصلبه . فصلب في قسطنطينية .  
وورد خبره إلى ولده ملاّ أسد ، فقطع رجاءه من غير صلب . فمتر  
عن ساق الاجتهاد ، ولازم الاشتغال فأفاد واستفاد . واشتهر صيته  
بالفضل بين العباد ، في جميع البلاد . حتى إنه كان يُضرب به المثل في  
فصاحة اللسان العربيّ مع أنه كان مولده في تبريز ، وكان أعجميّ الأصل .  
وكان يُحسن الألسن الثلاثة العربيّ والفارسيّ والتركي . وكان نظمته  
بالعربية وكتابته بها فوق العربيّ الأصيل ، بحيث أنه لا تشمّ منه في  
ذلك رائحة التعجّم أصلاً .

كتب إليّ وكتبت إليه وراسلني وراسلته .

قرأ العربية والمعاني والبيان على المحقّق الشيخ علاء الدين بن عماد الدين  
الآتي ذكره إن شاء تعالى . وقرأ الفقه على الشيخ نور الدين السنفي  
المصري نزيل الشام . وقرأ بعض الفنون على شيخ الإسلام الشهاب الطيبي  
الكبير المتقدّم ذكره . وقرأ المنطق على المحقّق الشيخ أبي الفتح الشبستري<sup>(١)</sup>  
نزيل الخانقاه الشُمَيْصَاتِيَّة<sup>(٢)</sup> . ودرّس وأفاد وأفق وحرّر ، ونظم  
ونثر ، ودرّس في دمشق بعدة مدارس منها الناصريّة البرانية ، ودرّس  
في بقعةٍ بجامع بني أميّة . قرأ عليه الشيخ أحمد المنقاري السابق ذكره ،  
وكان زوج عمته ، واستفاد منه كما سبق ذكره . وقرأ عليه الشيخ محمود  
العدوي خطيب الماردانية<sup>(٣)</sup> بصاحبة دمشق ، وكذا الشيخ محمود الدوماني  
الصالح . وكان ملازماً على الإقرآء بجامع الأمويّ . انتفع به خلق

(١) نسبة إلى شَبِيسْتَر قرية في آذربيجان قرب تبريز .

(٢) انظر النعمي ، الدارس ٢ : ١٥١ .

(٣) انظر النعمي ١ : ، وهي من مدارس الحنفية .

كثيراً من الطلبة لأنه كان ملازماً على الإقراء في غالب أيامه . وحصل له نفع كبير من مصاحبة المرحوم الأمير ابراهيم بن منجك السابق ذكره . فوقف عليه وعلى أولاده وذريته بيتاً حسناً لانطير له في باب الجامع الأموي من الجهة الشرقية ، ووقف عليه حوانيت من محلة ميدان الحصا (١) ، وبستاناً في جهة الشرف الأعلى ، في مقابلة القصر الأبلق (٢) . وكان إحسانه إليه في حال حياته متصلًا لا منفصلاً . ومدحه بعدة قصائد توجد في تذكروته . وحصل له في آخر عمره نوع من التغفل أضر بإدراكه كثيراً . فمنهم من نسب ذلك لطعم النساء ، ومنهم من نسبه الى سحر ، ومنهم من نسبه إلى كبر سن ، والله أعلم بحقيقة حاله .

كتبتُ إليه في سنة إحدى ( ٩٩٩ آ ) وتسعين وتسع مئة هذه القصيدة اشارة الى نكايه من نكايه صدرت من أبناء الزمان (٣) | فمن جملة ما كتبت إليه مادحاً لأمر اقتضى ذلك ، وهو أنه سلك من مدحي عند قاضي دمشق الشام أقوم المسالك فقلتُ مادحاً جزاءً لمدحه ، وتحقيقاً لرجه ، في حدود سنة تسعين وتسع مئة من هجرة خير الأنام ، عليه من الله الصلاة والسلام . وهي :

يا صاحٍ ما بال رسوم الاطلاعٍ      قضت على العين بدمعٍ هطالٍ  
وما لثوبِ الربعِ أضحى أسمالٍ      وحاله بعد انتظام (٤) قد حالٍ

( ١ ) هو محلة الميدان اليوم عند جامع المصلّى .

( ٢ ) هو القصر الذي بناه الملك الظاهر بيبرس . وقام مقامه التكية السليمية .

( ٣ ) إلى هنا ينتهي ما هو ساقط في هـ .

( ٤ ) هـ ، ب « التيام » .

ياربَّ يومٍ ماله من أمثال<sup>(١)</sup> قطعته فيه نجومٌ مكسألٌ  
ألبسها شرف التصابي سربالٌ فهي به بين البرايا تختالٌ  
سعيًا لعيشٍ مرَّ حلو الوصالٌ لكن أبى الدهر البقا على حالٌ  
وعُدَّ الليالي بالأمانى كالآلِ فلا تثقُ منه بظلِّ مِيالٍ  
حَمَلتُ من جور الليالي أحمانٌ تكلُّ منها راسياتُ الأجبانِ  
عليّ هذا الدهرُ ظلمًا قد مالٌ فلم يدع لي جسداً ولا مالاً  
عَوَّضتُ من بعد السرور البلبالِ ولا صفالي خاطرٌ ولا بالاً  
أسامرُ النجم بدمعٍ سيالٍ وبين عيني والمنام أميالٌ  
يا قلب صبراً في جميع الأحوالِ فالصبرُ مذخور لوقت الأهوالِ  
واجنحْ لمدح ابن المعين<sup>(٢)</sup> المفضلِ تنلُ به ما ترتجي من آمالٍ  
فهو إمامٌ ما له من أمثالٍ في مُعضلٍ تكثُرُ فيه الأقوالُ  
وهو أخو فكرٍ صحيح جوالٌ سارت به بين البرايا الأمثالُ  
تراه في معركٍ بحثٍ إن قالَ بلا ارتيابٍ أسداً به جالٌ  
يا طالباً ما حاز هذا الرئبالِ أقصرُ فقد قصّر عنه الأبطالُ

(١) هـ ، ب « أشكال » .

(٢) هـ « معين » .

ما كلُّ مَنْ رامَ الكمالَ قد نال  
يا أسدَ العلمِ وَقِيَتَ الأوجالَ  
باللهِ قلْ لي والحريصُ سألَ  
مُعَرَّى باعلاءِ مقامِ الجُهالِ  
حظَّ أخي الفضلِ، سلمتَ، الانكمالِ  
أحلَّ أهلَ الفضلِ دارَ الأعمالِ  
لكن يميناً بالنبي والآلِ  
بقيت يا من حاز خيرَ الأفعالِ  
ما ناح طيرٌ في ضحىٍّ وآصالِ  
قلتُ : وقد كتبَ إليَّ الجوابَ ناطقاً بالصوابِ ، فاتحاً من المدحِ  
خير باب :

سقى ربوع الحب غيثٌ هطَّالٌ  
وأنبتت من كلِّ غصنٍ ميالٌ  
عادت إليها الخودُ بعد ترحالٍ  
لحاظها مثلُ لحاظِ الآجالِ  
متصلاً بالغدواتِ والآصالِ  
وأثمرت ما ترتجيه الآمالِ  
يزينها اثنان : وفاءٌ وإقبالٌ  
| ترمى القلوبَ بسهامِ الآجالِ |<sup>(٢)</sup>

(١) هـ « لا يرعى » .

(٢) ساقط من هـ ، ب .



قوامها غصنٌ بروضٍ يَحْتالُ  
وعمّ ذاك الخد حُسنٌ بالخال  
الشعرُ ليلٌ للحب قد طالُ  
كلامها يفعلُ فعلَ الجريالِ  
تعود للوصلِ وتنسى البلبالِ  
لم تضع وقتاً لكلام العذالِ  
يا حَسَنَ الاسمِ كذاك الأفعالِ  
أدررٌ قد صغتمها وأشكالِ  
أم سُكَّرٌ كورته وأعسالِ  
أم جَوْهَرٌ في نحرِ رودِ مكسالِ  
أو روضةٌ من بعد قطرٍ همّالِ  
إذا حويت العلم يا ذا الأفضالِ  
حاشاك من جورٍ مرّبي الأندالِ  
بلغت في الفضل محلّ الآجالِ  
كم من فتى عليه بُردٌ أسمالِ

أو أسمر من الوشيج العَسالِ (٩٩ ب)  
والكوثرُ العذبُ بفيها سلسالُ  
والوجهُ صبحٌ مُشرقٌ لضلالُ  
والطرفُ مكحولٌ بغير كخالُ  
وتبدل الهجرَ بوصلٍ في الحالِ  
وما ثناها عنه قيلٌ أو قالُ  
بالله قل لي كيف هذي الأقوالُ  
ليس لها في الدهرِ وقتاً أمثالُ  
ما دنستها قطُّ أيدي نحالِ (١)  
تعطر الأرض بجرِّ الأذيالِ  
تفتَرُ ضحكاً من بكاه السبالِ  
لا تتأسف بعده على مالِ  
هذا الزمان المعتني بالجهالِ  
قد قصرت عن نيل ذلك الأبطالِ  
بالعلم يعلو فوق رأسِ الأقيانِ

وحزت سبقاً في العلا وإكهاراً  
إن بان في الدين القويم إشكالاً  
بينته حتى وعاه الأطفال  
ومن فاته العلى وحاز الأموال  
أبقاك ربّي أي هذا المفضل  
ما هدرت على الأراك والضال  
وبعد ذا قفلته بأقفال  
ولم يجيء جوابه على بال  
بذهنك الذاكي وفهمك العال  
فهو مهانٌ في جميع الأحوال  
مسرّ بلاً بالعلم أيّ سربال  
قمرية تبكي على دروس الأطلال

قلت: وقد كتبت له سؤالاً عن نحو قاضٍ إذا أُضيف إلى ياء  
المتكلم فإنه في حالة النصب تقديرًا بحركة على الياء منع من ظهورها  
اشتغالها بالسكون العارض للادغام . فيقال لنا اسمٌ منقوصٌ "قدرٍ إعرابه  
في حالة النصب للاشتغال فقلت :

إمام المعالي والمعاني ومن رقى  
وحيداً الليالي جامع الفضل ماجداً  
ملاذوري ربح الذرى عالي الذرى  
سألت ومثلي من يكون مسألاً  
بهمته فوق الشهب والنعام  
روت عن أياديهِ ثقال الغنائم  
عزير القرى ليث الشرى في العزائم  
بثلثك يا بحر العلى والمكارم  
له النصب يا كنز الغنا والغنائم  
ولكن لأمرٍ عارض للمكالم  
وما ذاك لاستثقاله عند نطقهم

ومنك تُفادُ المشكلاتُ تحملها<sup>(١)</sup> فإنك حلالُ الأمورِ العظامِ  
ويا أسداً في جسمه روحٌ ضيغمٌ ويامن ثناهُ مُنتحى كلِّ ناظمِ (١٠٠ آ)  
بقيتَ بقاءَ الدهرِ كهفاً اطالبُ وأمناً لذي خوفٍ وعلماً لعالمِ  
فكتبَ إلي الجوابَ مرتجلاً ، وأرسله نحوي عَجِلاً . وهو هذا :  
إمامَ البرايا عربها والأعاجمِ وقدوةَ أهلِ الفضلِ قطبِ الأعظمِ  
إليك أنتهى في العصرِ حلُّ لمشكلِ ومنك استفادَ الناسُ طرقَ المكارمِ  
فإن قلتُ بحرٌ أنتَ فالدرُّ التي قدفتَ بها يشهدنَ عندَ التحاكمِ  
وإن قلتُ طودٌ أنتَ فضلاً فشاهدي عليه علومٌ لا تُعدُّ لناظمِ  
أدرُ بنحرِ الخودِ نظمتَ أو رنتَ نجومُ الدياجي منك يا خيرَ عالمِ  
أو التبرُّ قد سواه في العينِ حاذقٌ فحلى به جيدَ الحسانِ النواعمِ  
أو السحرُ هذا غيرُ أن سماعه حلالٌ ولا يُلقى الورى في المآثمِ  
فعادةُ بدرِ الدين كشفٌ لمعضلٍ وإيضاحٌ صعبٍ مُشكلٍ متفاقمِ  
فما باله يُخفي علينا مسائلًا هي النجمُ قدراً في الهدى والمعالمِ  
فلغزك إن لم أعرفه فإني حقيقٌ به بين الورى والعوالمِ  
ولكن بحسنِ الوصفِ منك عرفته فممنك استفدتُ اللغزَ يا ذا المغانمِ

فَلْعَزُكَ فِي قَاضِيٍّ مِنْ بَعْدِ نَاصِبٍ إِذَا مَا أَضْفَتَ أَسْمَاءَ لِيَاءِ الْمُكَلِّمِ  
لِإِدْغَامِهِمْ فِي مِثْلِهِ الْحَرْفَ قَدَّرُوا لَهُ النَّصْبَ يَا شَيْخَ الشُّيُوخِ الْأَكْلَامِ  
فَدُمُ فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ عُمْدَةٌ طَالِبِ تَجْرُ ذِيُولَ الْفَخْرِ فَوْقَ النَّعَائِمِ  
تَفِيدُ الْوَرَى الْأَلْغَازَ فِي كُلِّ مُشْكَلٍ مَعْرَى عَنِ النَّقْصَانِ جَلْدَ الْعِزَائِمِ  
مَدَى الدَّهْرِ مَا غَنَى عَلَى الْأَيْكِ صَادِحٌ وَمَا افْتَرَّ رَوْضٌ عَنِ ثُغُورِ بَوَاسِمِ

وكتبت إليه سؤالاً عن الفرق بين أمس وغد . وذلك أنهم قالوا  
إنَّ أمس بُني لتضمينه معنى -حرف التعريف ، لأنه عبارة عن اليوم الذي  
قبل يومك . ولا شك أن غداً بمعنى اليوم الذي بعد يومك ، فهما من  
جهة تضمين معنى حرف التعريف سواء . فليَمَ بُني أمس ولم يُيَنَّ  
غد ؟ وهذا السؤال من بنات فكري ومستولدات فهمي . فقلت في  
المعنى المذكور :

يَا وَاحِدَ الدَّهْرِ يَا ذَا الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ وَيَا إِمَاماً إِلَيْهِ مُنْتَهَى الطَّلَبِ (١)  
يَا أَشْرَفَ النَّاسِ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرٍ يَا أَكْمَلَ النَّاسِ مِنْ عَجَمٍ وَمِنْ عَرَبٍ  
يَا مَا جَدَّأَ قَدْ سَمَا فَوْقَ السَّمَاءِ عَلِيٌّ حَقّاً لَقَدْ جَلَّ مَا أَوْتَيْتَ مِنْ رُتَبِ  
مَاذَا تَرَى فِي الَّذِي قَدْ قَرَّرُوهُ لَنَا فِي أَمْسٍ مِنْ قَوَاهِمِ يَا زَاكِي النَّسَبِ  
لَمَا تَضْمَنَ مَعْنَى آلٍ أُتِيحَ لَهُ حَكْمُ الْبِنَاءِ وَهَذَا غَيْرَ مُحْتَجِبِ  
وَمِثْلُ أَمْسٍ غَدَاً فِي ذَا فَلَيْمَ تَقْلُوا إِعْرَابَهُ سَيِّدِي عَنِ سَائِرِ الْعَرَبِ

فأمس ما قبل يومي ثم إن غداً  
أوضح بحقك مدعوأ مراد فتى  
بقيت يا بهجة الأيام منتصباً  
ماحررت نسمة الأسحار قلب شج  
فكتب إلي وتحنن علي :

يا فاضلاً لفظه قد صيغ من ذهب  
ويا إماماً له علم غداً علماً  
ويا خبيراً بأسرار العلوم ومن  
ما هذه الكلمات العز جئت بها  
أضحت على صفحات الطرس فاسقة  
كأنها الروضة الغناء في زمن الر  
أو الزهور على هام الغصون وقد  
أو أنها الزهر في أوج السماء هدى  
لولا هداها لقلت السحر خيل لي  
لو لم أكن بوقار الشيب متشحاً  
لو لم يكن في الجواب الطول يا أملي  
و كاملاً نظمه ضرب من الضرب  
يهدى بأنواره السارين كالشهب  
بفضله حاز فينا أرفع الرتب  
منظومة مثل نظم الدر والحب  
مثل العقود بنجر الخرد العرب  
بيع تحتال في أبرادها القشب  
تضاحكت فرحاً من عبسة السحب  
في البر والبحر للسارين للطلب  
أو حلها قلت جاءوا بابنة العنب  
لكنت أرقص من وجدٍ ومن طرب  
لكنت أنظمه من غير ما تعب

لكننا النظمُ فيه الضيقُ عن كلمي أتى جوابي منشوراً بذا السبب  
دُم للعلوم تُهاديها وتنظمها ممنعاً من صروف الدهر والنوبِ  
ما سئل سيفاً يد الأنواء من نهرٍ وجد يوماً خطيب الدوح في الخطبِ

ثم إنه كتب الجواب عن الإشكال نثراً لما ذكره من العذر في أثناء  
نظمه لكون نظم النثر صعباً غير هيتين ، وخششناً ليس بليتن . فقال :  
الحمد لله وكفى ، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى .

وبعد ، فيقول الفقير الى الله الغني أسد الدين بن معين الدين الشافعي ،  
جعل الله غده خيراً من يومه ، ورحمه عند مواراته في رسمه : إن الذي  
سئح لي من الجواب ، من غير مراجعة رسالة ولا كتاب ، أن غداً ليس  
مثل أمس . حتى يلزمه حكمه في البناء ، ( ١٠١ آ ) لأن أمس كلمة  
مشملة على ثلاثة أحرف ، فبناه أهل الحجاز على الكسر إذا أريد به  
اليوم الذي قبل يومك لتضمينه الألف واللام . وليس كذلك غدٌ .  
لأن غداً لامه محذوفة ، والبدال عين الكلمة ، كيدٍ ودمٍ ، فلو بُني  
لزمه العدولُ عن الأصل مرتين : مرةً من جهة حذف لامه ومرةً من  
جهة بنائه ، لأن البناء في الأسماء على خلاف الأصل ، والعدول عن الأصل  
مرتين في الكلمة الواحدة إجحافٌ بها . وهذا قريبٌ من قولهم في بعض  
الكلمات مثلاً حتى لا يتوالى إعلان في الكلمة الواحدة . وقولي إن  
لامه محذوفة نصٌ عليه غير واحدٍ من أعلام العلماء ، حتى إن الشيخ  
الإمام أبا عمرو عثمان الشهير بابن الحاجب بنى عليه جوابه عن اللغز المشهور  
وهو قوله :

ربما عالج القوافي أناسٌ تلتوي تارة لهم وتلينُ  
طاوعتهم عَيْنٌ وَعَيْنٌ وَعَيْنٌ وَعَصَّتْهُمُ نونٌ وَنونٌ وَنونٌ  
وجواب الشيخ :

أي غدٍ مع يدٍ دَدٍ ذي حروفٍ طاوعت في الروي وهي عيون  
وذوات الحوت والنون نونات عَصَّتْهُمُ وأمرها مستبين

قال : أصله غدوٌ يديّ ددأ أو ددن . وأيضاً لو بنوا غدا كانوا يبنونه  
على السكون ، لأنه الأصل في البناء ، ولا محيد عنه هنا لأنه على  
حرفين ككم ، بخلاف أمس ، وحيث ، وأين ، فإنها بُنِيَتْ على  
هذه الحركات لسكونِ وَسَطِهَا حتى لا يلزم التقاء الساكنين ، فلو بنوا  
غداً على السكون ما كان يُعرف أن لامة محذوفة ، بل كان يقال إنّه  
مبنيٌّ لكونه على حرفين ككم . وهم يعرفون من عدم معرفة الأصل  
كم قالوا في صلة الموصول إن كان الباقي بعد الحذف إن كان صالحاً لكونه  
صلة لا يجوز حذف شيء منه ، لعدم الاهتمام حينئذ إلى المحذوف بخلاف  
ما إذا لم يكن صالحاً لكونه صلةً ، فإنه يجوز الحذف . كما هو مقررٌ  
في موضعه . وأيضاً الإعراب في الأسماء على الأصل . وإذا وردَ شيءٌ  
على أصله لا يُسأل عنه بخلاف ما إذا ورد على غير أصله . فلما ورد  
أمس على خلاف الأصل عُلِّلَ بهذه العلة . ولا يلزم في غدٍ تعليله بها كما في  
الأسماء التي على وزن فعل . فالأسماء التي استعملتها العرب من هذا الوزن  
غير معروفة . قال النحاة : منعت من الصرف للعلمية والعدل التقديريّ  
كعُمَرَ وزُفَرَ وزُحَلَ . والذي استعملته العرب منصرفاً كأدَدٍ مثلاً  
مع كونه على وزن فُعَلٍ مع وجود العلمة اعترضوا به لأنه واردٌ على

الأصل . إذ الأصلُ في الأسماء المعربة الصرفُ . فعلم أن كثيراً من العلل النحويّة لا يجب اطرادها لأنها مناسبات تُذكر بعد الوقوع بقدر الإمكان ( ١٠١ ب ) وليست أموراً حقيقيّةً . ويمكن أن يستخرج لما يعترض به وجه كما ذكرنا نحن في غديّ بالنسبة الى أمس . وأيضاً لنا أن نمنع انّ غداً يتضمن الألف واللام كأمس ، ويجوز أن تكون دلالتّه على معيّنٍ | تارة وعلى غيرها أخرى بحسب الوضع لعلم الجنس ، فإنه يدلّ على معيّنٍ | <sup>(١)</sup> يفيدُ الحضور تارةً وأخرى على الجنس من حيث هو . والله أعلم . ولو رأى راءٍ في كلام بعض النحاة وجوهاً غير ما ذكرناه في تعليل المسألة لا يلزم من ذلك أن لا يكون ما ذكرته صحيحاً ، لأنها كلّها مناسبات تُذكر بعد الوقوع كما مرّ آنفاً وتستخرج منها القرائح بقدر ما عندها .

قال ذلك وكتبه أسد الدين بن معين الدين الشافعي رضي الله عنها حامداً مصلياً مسلماً .

وكتب بعد ذلك بخطّه قول الأديب أبي الفتح البُسنّي رحمه الله تعالى :

لئن أبصرتَ في لفظي فتوراً ولفظي والبلاغة والبيان  
فلا ترتبْ بفهمي إن رقصي على مقدار إيقاع الزمان  
انتهى .

قلتُ : وقد كان بعض المتقلّين بالحسب <sup>(٢)</sup> ، المتكثرين بالنسب على أنّه نسبٌ ضائعٌ مدعىٌ ليس في الأنساب حقيقة ، ولا توجد له

(١) ما بين الخطين الفائتين ساخط من هـ ، ب .

(٢) هـ ، ب « المتقلّين من الحسب »



بيّنة ولا وثيقة ، رأى قريننا بورين فاستقلّ بنيانها ، ولم يعرف أهلها  
ولا سكانها ، بعد ما أخنى عليها الزمان ، وفترق منها أهلها والسكان .  
وحكى ذلك للشيخ أسد الدين بن معين الدين . فكتب إليّ الشيخ المذكور  
هذين البيتين متفضلاً ، وبلفظه متجملاً ، ليس متحتملاً :

بورينٌ طولي على البلدان<sup>(١)</sup> وافتخري على الممالك من شامٍ ومن يمنِ  
فكيف لا تفخرين الأرض قاطبةً بالفاضل المقتدى في فعلاه الحسنِ  
قلتُ : وهما على أسلوب بيتين كتبنا للقاضي الفاضل عبد الرحيم بن  
علي البيساني ذي الوزارتين . وأجبتُهُ مرتجلاً ، ومن التقصير خجلاً ،  
بقولي :

تبريزُ طولي على البلدانِ وافتخري بعالمٍ فاق كلَّ الناس تبريزاً  
مولى الورى أسد الدين الذي سَعُدت أيامه فحسبنا الكلَّ نوروزاً  
لا زال يرقى الى أوجِ العُلا شرفاً ونال في الدهر تكريماً وتعزيراً  
قلتُ : ويبنى وبينه مراسلات وافرة ، ومكاتبات متكاثرة ، ذُكِرَتْ  
في ترجمة تلميذه الفاضل ، الحاوي لأشتات الفضائل ، أحمد چلي ابن القاضي  
شمس الدين محمد بن المنقار الحلبي ثم الدمشقي ، لأنّه كان سبباً في إيرادها ،  
وباعثاً على إنشائها وإنشادها .

وكان ( ١٠٢ آ ) المولى أسد الدين المذكور قد أصيب في شعوره  
فاختلّ بعضُ أموره ونسب ذلك إلى سقايةٍ من بعض النساء . والله  
تعالى أعلم بحقائق الأشياء .

وتصرف في تدريس بعض المدارس ، فأحيا من رسمها ما كانت  
دارس (؟) . ومات الى رحمة الله تعالى مدرّساً<sup>(١)</sup> بالمدرسة الشامية البرّانية ،  
في سنة ثمان وتسعين وتسع مئة من الهجرة النبوية ، على مهاجرها ألف  
ألف تحية ، ودُفن بالصالحية ، بموجب الوصية ، وخلف ولداً ذكراً  
يُسمى عثمان ، ولعله ان يشتغل فيحيمي ذكر والده بين الأقران .  
والحمد لله وحده .

| وصلى الله على من لا نبيّ بعده | (٢) .

---

(١) ص « دارساً » أثبتنا رواية ه ، ب .

(٢) ما بين الخطين ساقط من ه ، ب .

| مولانا<sup>(١)</sup> | أسعد أفندي

ابن مولانا سعد الدين أفندي ابن المرحوم حسن جان التبريزي

الأصل القسطنطيني المولد والمنشأ

أقول : أسعد أفندي هذا هو الفاضل المحقق ، الكامل المدقق ، الذي وقع الإجماع على أنه اليوم فاضل الروم على الإطلاق ، وصاحب العلوم بالاتفاق . ووالده هو المولى سعد الدين أفندي خوجا<sup>(٢)</sup> حضرة السلطان المرحوم مراد بن سليم ، ونشأ ولده هذا أسعد مثابراً على تحقيق المسائل ، وتحرير الدلائل ، ونال من الفضيلة حظاً عظيماً ، ورزق كلاً جسيماً ، بحيث انه لم يختلف في فضله اثنان ، ولم يشك في تفرده بالكمال انسان . وقد تولى المناصب الجليلة على صغر سنه ، وسلك مسلك العدالة والاستقامة في حكمه . والعجب أن ديانتته وقع عليها الإجماع ، مع صغرته وتوفر دواعي السرور عليه مقبلةً بغير امتناع . ومع كونه في قسطنطينية التي لو دخلها عابداً من أمثال ذي النون ، أو زاهداً من أقران سمعون ، لربما صبا أو كاد ، ولخيف عليه أن ينجى من دفتر العبثاد ، ولكن الهداية منحة من الله الكريم ، كما أن الضلالة محنة عظيمة من الله العظيم .

ثم اعلم أن أسعد أفندي هذا ولد سعد الدين أفندي | هو<sup>(٣)</sup> | معلم

(١) ساقط من ب .

(٢) هـ ، ب « خوجا » .

(٣) ساقط من هـ وحدها . وفي ص ، ب « وهو » .

السلطان مراد ، الذي أدرك من سعادتي الدنيا والآخرة فوق المراد ،  
وسياتي ذكره الجميل بعون الله الجليل .

وسعد الدين افندي هو ولدُ حسن جان . وحسن جان كان من القوم  
الذين استصحبهم السلطان سليم الأكبر | معه |<sup>(١)</sup> من ديار المعجم حين ذهب  
لقتال اسماعيل بن حيدر الصفوي<sup>(٢)</sup> سلطان قزلباش . وذلك لأنه كان كاملاً  
صديماً لا نظير له في أضرابه . وكان أيضاً مصاحباً كاملاً بين أقرانه وأترابه .  
وكان عند الدولة ، عظيم الحرمة والصولة . لأنه كان مقبولاً عند حضرة  
السلطان ، مقبول السلطنة كامل خال عن النقصان . ونشأ أسعد افندي في  
نعمة أبيه التي لا تشابهها الا نعمة الملوك ، وسلك في تحصيل العلوم والكلمات  
أقوم سلوك . وهو اليوم سنة ثمان وألف قاضي دار ( ١٠٢ ب ) السلطنة  
قسطنطينية الكبرى تردُّ توقيعاته على بعض الصكوك في غاية الحسن  
خطاً وضبطاً وعبارة وامتانة . وغالب تحصيله على والده شيخ الإسلام  
سعد الدين المذكور : وعلى المولى العلامة منلا توفيق الكيلاني الذي لا نظير  
له في العلوم العقلية ، وفي الفنون المنطقية .

أخبرني مولانا توفيق من لفظه بدمشق ، وقد نزل في مدرستي الناصرية  
الجوانية ، عند وروده مع المرحوم عبد الله افندي قاضي القدس الشريف  
فاوياً على زيارة القدس معه ، أنه لم ير في علماء الروم أفضل من مولانا  
أسعد صاحب الترجمة ، وحكى عن فهمه وإدراكه أشياء لا تسعها<sup>(٣)</sup> دائرة  
العقول ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . وسياتي  
ذكر أبيه وإخوته في محالهم إن شاء الله تعالى ، فإنهم زينة الزمان ،  
وابتهاج العصر والأوان .

(١) ساقط من ه .

(٢) في الأصل : الصوفي .

(٣) ه ، ب د لا تسعه .

وإذا السعادةُ لاحظتكَ عيونُها      نم فإلخاوفُ كلهنَّ أمانُ  
واصطدُ بها العنقاءُ فهي حُبالةٌ      وأقتدُ بها الجوزاءُ فهي عنانُ  
وله خمساً الأبيات المشهورة: (١)

الله صلِّ على مَنْ نَحْنُ نَحْمُهُ      ودرُّ أوصافه كالعقد نَنْظُمُهُ  
وبالصلاة من الرحمن نُعْظِمُهُ      ياخيرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقاعِ أعظمه  
فطابَ من طيبينَّ القاعُ والأَكْمُ

زرناك ياخيرَ مَنْ عَمَّتْ محاسنُه      باللطفِ ظاهره حلِّي وباطنُه  
طوبى لطيبة روضٍ<sup>(٢)</sup> أنت قاطنُه      نفسي الفداء لِقبرِ أنت ساكنُه  
فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

ولنا تخميس الأبيات المذكورة :

قلبي جريحُ ذنوبِ أنت مرهمُه      وأنت في شدةِ الأوصابِ ترحمُه  
أتاك مرتجياً حاشاك تحرمُه      ياخيرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقاعِ أعظمُه  
فطابَ من طيبينَّ القاعُ والأَكْمُ

قد ثارَ من حرِّ وجدي اليومَ كامنُه      والصرُّ طار بريحِ الشوقِ واهنُه  
يا جوهرأ مفرداً طابت معادِنُه      نفسي الفداء لِقبرِ أنت ساكنُه  
فيه العفافُ وفيه المجدُ<sup>(٣)</sup> والكرمُ

(١) م ، ب « ومن نظم صاحب الترجمة خمساً » .

(٢) م ، ب « أرض » .

(٣) ب « الجود » .

## ٨٤

أشرف الملقب بـميرزا مخدوم وبمعين الدين

السيد العلامة الشريف الحسيب النسيب الحسيني والحسي الشيرازي

الشافعي المذكور من أولاد المحقق المدقق السيد علي الشريف الجرجاني شارح « المفتاح » و « المواقف » ، وصاحب « حاشية المطالع » . كان مولده بمدينة شيراز . وقرأ على علماء هاتيك الديار ، وقرأ في علوم شتى . وكان له اشتهاؤه كامل بعلم النجوم والهيئة وبسائر العلوم العقلية . ولم يزل على ذلك إلى أن مات طمهاً سيب وتولى الملك بعده ولده شاه اسماعيل المتقدم ذكره . فاستدعى علماء أهل السنة قاصداً أن يُميت البدعة القبيحة من بلاده على ما شرحناه<sup>(١)</sup> في ترجمته . فكان السيد المذكور ممن يعتقد مذهب الحق وهو مذهب أهل السنة والجماعة . فاستدعاه واستدناه ، وأحسن إليه وبالجميل أولاده ، حتى اشتهر بالسنة بين عساكر الشاه . فلما سعى عسكر قزلباش على إزالة اسماعيل وقتلوه بالسم كما ذكرناه في ترجمته<sup>(٢)</sup> | تتبعوا من كان مساعداً له على إقامة موامم السنة ، وقتلوا كثيراً من الناس . وكان من جملة من أرادوا قتله مولانا أشرف المذكور . فاستل على رأسه نحو مئة سيف . فخلّصه رجل من علماء الشيعة كان قد قرأ عليه السيد المذكور القرآن وهو صغير ، لأنه قال له بالفارسية :

(١) هـ « ما نشرحه » وقد وضعت ترجمة اسماعيل هذا في النسخ بعد هذه الترجمة وحقها أن تكون قبلها . انظر رقم ٨٥ .

(٢) ساقط من هـ ، ب .

أي ' بَدَّ بَخْتٌ ' تَوَانٌ شِيعَةٌ تَلِيسْتِي كِه شَا كِرْدِ مَنْ بُو دِي .  
فقال له في الجواب : ' هَمَّا تَمَّ كِه ' بُو دَم ' (١) .

فخلَّصه ، وهرب إلى بيته . فركب بغلة وأخذ خادماً من أتباعه ،  
ولم يزل مستخفياً إلى أن ألقى نفسه في مدينه وان ، وهي أول معاملة الأروام .  
فلما دخلها اطمأن خاطره وأمن ، وسار إلى أن دخل إلى مدينة آمد .  
وكان أمير الأمراء بها درويش باشا ابن عم الوزير الأعظم محمد باشا . فأكرمه  
درويش باشا المذكور إكراماً زائداً ، وعرض أمره على حضرة السلطان  
المرحوم السلطان بقسطنطينية الحميئة فلما وصل حصل في باب مفتي السلطان ،  
وهو المولى الفاضل سعد الدين أفندي ابن المرحوم حسن جان التبريزي  
ثم القسطنطيني .

وحكى له قصته وما تمَّ عليه في ديار العجم ، وأن عسكر قزلباش  
أرادوا قتله . فقال له : نعم صدقت . فإن خبرك وما صار عليك قد وصل  
إلينا ، وعرض بالتفصيل علينا . وسأعرض ذلك إلى حضرة السلطان .  
وأكرمه وخلع عليه الخلع ( ١٠٣ ب ) . ولم يزل عنده معظماً إلى أن قرَّر  
قصته مفصلاً لحضرة السلطان . فأعطاه المرحوم السلطان مراد قضاء القضاة  
بديار بكر بمدينة آمد ، فصار بها قاضياً ومفتياً ، إلى أن انفصل عنها  
بمدينة طرابلس الشام . فذهب إلى طرابلس وصار قاضياً بها نحو سنتين .  
ورجع إلى قسطنطينية . ولازم بالباب إلى أن حصل قحطٌ وقلَّ المطرُ  
بديار الروم . فاستسقى الناسُ فأسقوا . وكان مولانا أشرف المذكور  
نقيب الأشراف بالباب العالي . فرسم السلطان أن يستسقى هو والأشراف  
فقط . فخرج حافياً يمشي في أزقة قسطنطينية ، والأشرافُ يمشون حوله

(١) معناه : أيها الناس : أأنت انت الشيعي الذي كان تليذي ؟ فقال له : أنا الذي  
كنت دائماً . ( عن الأستاذ ارويز التابكي ) .

وهو يذكر الله بلحنٍ رتبه على نغمات لطيفة . فما رجع إلا وهو يخوض في الماء . فحصل للسلطان مراد عليه اعتقاد عظيم بحيث إنه كان يطبخ الحلوى ويدخلها إلى السلطان نصف الليل ، فيفتحون له باب السرايا العظمى ويدخلون الحلوى إلى السلطان فيأكل . ويكتب له معها : يا نور عيني يا سرور قلبي ! والله ما دخلت الحلوى في حلقني إلا بعد أن أرسلت لك منها حصة . فبالله عليك وبحق جدتي الأعظم ، وهو النبي الأكرم ، إلا ما أكلت منها . فيأكل منها السلطان ويخبره الجوائز العظيمة ، ويخلع عليه الخلع الجسيمة .

وبعد مدة أعطاه السلطان مراد قضاء مكة ، فذهب إليها من جانب البحر إلى مصر ثم السويس ، ثم إلى مكة . فأقام بها نحو ثلاث سنين . وعزل منها ورجع إلى قسطنطينية من [ جانب ] (١) البحر أيضاً . فأقام بها مدة ، ثم اختار الذهاب إلى مكة ناوياً أن يحطّ بها رحل الإقامة إلى أن يفارق الدنيا . فطلب من السلطان أن يولّيه قضاء قسطنطينية ، ثم قضاء العسكر بأنطولي ، ثم بولاية روم ايولي ، على قاعدة طريق موالي الروم . فولاه ذلك أياماً ، ثم تجوز إلى جانب مكة ووصل إليها وأقام بها ، حاطاً بها رحل الإقامة ، مُلقياً بها عصى السكّني ، إلى أن توفاه الله تعالى بمكة ودفن بها . وخائف بنتاً كان قد زوّجها حال حياته لبعض أولاد شريف مكة ، وهي الآن على ما علمت عندهم مقيمة .

وكان رحمه الله تعالى غير خالٍ من جذبته ، ولذلك كانت تصدر عنه أفكارٌ عجيبة خارجة عن حدّ الاعتدال . ومع ذلك كان أرباب الدولة يتلقونها بالقبول ، حتى إنه أرسل إلى السلطان مراد يقول له : إنه قد يخطر لي أن أرسل لك شيئاً مما أطبخه بيدي من المأكولات نصف الليل ،



وأريد أن تأمر البوابين بفتح الباب العالي متى أردتُ الدخول ليلاً أو نهاراً<sup>(١)</sup> . فرسم له بذلك . وهذا أمر لم يسبق لآل عثمان ولا يجوز عندهم ولا في قانونهم ، لكن سطوة حاله واعتقاد صحة نسبه وكال سببه أوجبت قبول ما أَراده من هذا .

وأعجب من ذلك أن السلطان كان يأكل ما يُرسل مع أنه من قسم المحال العادي عندهم .

وكان لعلو مرتبته يصعد على كرسي الوعظ في بعض الجوامع ويمظ بلسان التركيّة ، لكنه كان يُضحك سامعه بالضرورة ، لأن لسانه غير لسان أهل الروم وإن كان الكل يسمى تركياً ، لكن بينهما فرق بعيد . وله كتاب ردّ به على الرافضة سماه « النواقض في الرد على الروافض » .

وكان عجباً عجيباً في أموره ، لأنه كان يُمنّي حجج الأحكام التي تصير عنده ويكتب في إمضائه عجائب . فيقول مثلاً : هذه الحجة صحت عند مولانا السيد معين الدين أشرف الحسيني الحسيني أباً وأماً الذي صار قاضياً بشعر طرابلس بعد أن كان قاضياً بمدينة آمد . وذلك كله بالأمر الخونندگاري<sup>(٢)</sup> السلطاني المراد خاني العثماني .  
ورأيت بعضه . فمن ذلك قوله :

بِه نِيمِ لِحْظِهِ صَبُورِي زَبَايِ اُفْتَادَمِ  
مُغْلَامِ طَاقَتِ مَجْنُونِ وَصَبْرِ فَرَهَادَمِ<sup>(٣)</sup>

(١) ه ، ب « بايل أونهار » .

(٢) ه « الخونكاري » وهو خطأ . ومعناه « الإلهي » لأنهم كانوا يسمون السلاطين ظل الله في الأرض . وهذه الكلمة أصلها « خداوندكار » يعني الإله . ويستعمل أيضاً للتعظيم وهو غاية التعظيم ( أتاكي ) .

(٣) معناه : صبرت نصف لحظة ( على محبوبتي ) ولم اُطق ، وسقطتُ من الوهن فأنا أكبر طاقة مجنون ( ليلي ) وصبر فرهاد ( عشيق شيرين ) . ( عن الأستاذ أتاكي ) .

وله من غزل آخر :

كوبا نَمِيدَانِي كِه مَن آن أَشْرَفِ دِيوَانِهْ أَم<sup>(١)</sup>

ومن شعره :

يَا بَدَانَائِي غَمِ عَشْقِ تُرَا كَم مِيكَنْم<sup>(٢)</sup>

يَا زَبِي تَابِي تُرَا رُسْوَايِ عَالَمِ مِيكَنْم<sup>(٣)</sup>

ولما تولى مكة بعد قضاء العسكر صار يكتبُ نسبه في قطعة قماش  
مذهَّب ويسرد فيها نسبه من أبيه إلى علي رضي الله عنه ، ويضعها في  
عمامة ، فكان الرجلُ يقرأ نسبه من علامة شرفه . ولكنه كان كريماً  
فاضلاً خالياً من الحيلة والخذعة صافي الخاطر ، سليم السرائر ، وكان له  
شعر بالفارسية<sup>(٤)</sup> ، توفي بمكة في سنة . . . (٤)

---

(١) معناه : أنا أزعم بأنك لا تعرف بأبي الأشرف المجنون ( عن الأستاذ أنابكي ) .

(٢) معناه : إما أن أفلل بالحكمة غمّ عشقك ( في قاي لأستربح ) وإما أن أفضحك في

العالم ( بأنك معشوق ) بسبب عدم طاقتي ( عن الأستاذ أنابكي ) .

(٣) الزيادة من هـ ، ب .

(٤) يباض في جميع النسخ .

## ٨٥

الشاه<sup>(١)</sup> اسماعيل بن طهاسب بن اسماعيل الأول بن حيدر

ابن حنيد بن الشيخ صفي الأردبيلي

الشريف العلوي علي ما يقال

فذكرنا في ترجمة خان أحمد الكيلاني المتقدم ذكره أنه كان محبوساً في قلعة قَهْقَهة مع شاه اسماعيل المذكور . وكان حبسه له أنه يخاف سطوته وأنه يبطش به . فلما مات طهاسب أجمع أمراء قزلباش على تولية شاه اسماعيل المذكور . فأرسلوا اليه وأخرجوه من القلعة . وكان كلثماً مرّاً ببلدةٍ تبعه أهلها . فلم يصل إلى قزوین حتى صار معه من قسم العساكر ما يزيد على خمسين ألفاً ما بين فارس وراجل . ولما وصل إلى مستقر سريره ، وهي بلدة قزوین ، نادى في العساكر بأن لا يبرح أحدٌ من مكانه . فإنّ للشاه سفراً قريباً . فأقامت العساكر الحاضرة حول قزوین ما يزيد على ستة أشهر ، حتى ضاق صدرها بذلك ، وما فرقهم إلا سفره القريب إلى الدار الآخرة ، وذلك أنه لما تمكّن على سرير السلطنة وقويت شوكته شرع في إظهار دين أهل السنة والجماعة ، وذلك بعد أن استمرّ أبوه وجدّه يجتهدان في إخفائه ما يقرب من سبعين سنة . وكان دائماً يحضر

(١) ب « شاه » .

علماء الرافضة ويأمر علماء أهل السنة بالمباحثة معهم وإلزامهم . وكان هو بنفسه يبحث معهم بقوة السلطنة . وشرع مع ذلك في قتل إخوته وأولاد عمّه ، حتى إنه لم يترك منهم أحداً كما ذكرنا ذلك في ترجمة خان أحمد الكيلاني . فلزم أن أخته التي يقال لها پرى جان خانم اضمرت له القتل ، فسمّته في رمضان ووضعت السمّ في حقّة البرش التي كان يأكل منها الشاه . فاتفق أنه خرج في تلك الليلة إلى أسواق قزوين مستخفياً مع محبوبه الذي يقال له ابن الحلوجي<sup>(١)</sup> ، وسار كثيراً ، وأكل من الحلوى شيئاً غزيراً ، ورجع إلى حجرته وطلب حقّة البرش فنظر محبوبه فيها فوجد ختمها محولاً في الجملة . فقال له : شامّم !<sup>(٢)</sup> إني أجد ختم<sup>(٣)</sup> الحقّة مغتيراً . فقال له : هات واترك عندك هذا الفكر ، فإنه لم يبق أحداً نخاف منه . يشير إلى قتله لأقربائه الذين يحسدونه على السلطنة ، فمن يضع له السم بعد ذلك ؟ ولم يعلم ما خبّس له في عالم الغيب . فأكل هو ومحبوبه من الحقّة وناما النوم التي لا إقامة بعدها في الدنيا ، واستمرّا نائمين في الحجرة المذكورة إلى الصباح ، ثم إلى الضحى ، ثم إلى الظهر . فلما حضر الأمراء للملازمة في باب السلطنة على العادة قيل لهم إن الشاه ما طلع اليوم . فقالوا : هذا رمضان ، ولعلته سهر ونام . وغالبهم كان عالماً . بحقيقة الحال . فلما لم يبق للسلامة ظنّ كسروا الباب ووجدوا الشاه قد مات وأصبعه في فمه وهو عاضٌ عليها . ووجدوا ابن الحلوجي في آخر رمق . فقالوا له : ما الخبر ؟ فأخبرهم بما صدر . فأرادوا قتله . ثم قالوا : إن قتل هذا عبث ،

(١) حلوجي : بائع الدراق .

(٢) شامّم : أي ياملكي .

(٣) « الحتم » ، ب « أجد ختم مغتيراً » .

لأنه على شرف الموت بما أكل مع الشاه ، فلو كان له ذنب لما أكل من السم .  
ودخل كثير من العسكر فقتلوا أخت الشاه اسماعيل وهي پري جان خانم  
لما ذكرنا من أنها أشارت بقتله ، بل قيل إنها هي التي وضعت السم بيدها .  
وأرسلوا إلى شيراز وأتوا بخنداى بنده محمد الأعمى وسلطنوه . وهذا  
لم يسبق لغيره قبل هذا . ولو بقي اسماعيل لأعاد مذهب أهل السنة إلى  
موضعه وإلى تلك البلاد الحسنة اللطيفة التي هي منشأ العلماء الأجاد . ليت  
شعري لو استمر سلطان الروم ملازماً للسفر إليها لكان أخذها بتمامها كما  
أخذ غالبها ، وكانت البدعة تذهب من تلك البلاد بالكلمة ، ولكن  
لله تعالى إرادة في إبقاء هؤلاء الجماعة .

وقد حكى لي من أثق به أن اسماعيل المذكور كان يأتي بعلماء أهل  
السنة وبأذكياء الرافضة ويجعل لهم مجلساً ويقول : اجثوا في حضرتي فيما  
يتعلق بالاعتقادات . فإذا جثوا وظهر الحق يشتم الرافضة وربما  
بصق في وجوههم .

وقد بلغني أن كثيراً من أكابر أذكيائهم قد رجع إلى الطريق المستقيم ،  
فصار من أهل السنة بقلب سليم . ومن جملة من خاف من قتل الرافضة له  
- فهرب بعد موت شاه اسماعيل - السيد<sup>(١)</sup> الشريف الشهير بمرزا نخدوم ،  
قاضي مكة ، الذي هو من نسل السيد الشريف العلامة شارح « المفتاح » .  
فإنه كان من أكبر المتعصبين لإظهار السنة في حياة الشاه اسماعيل المذكور ،  
واستمر هارباً على بقلته إلى أن وصل إلى بلاد الروم . وأدرك من سلاطين  
الإسلام من العزة ما يروم ، إلى أن صار قاضياً بالعساكر المنصورة .

(١) السيد صاحب الترجمة التي قبل هذه .

وكان شاه اسماعيل المذكور غايةً في الفضيلة ونهايةً في ذكاء الطبع .  
وله شعرٌ حسنٌ وكلماتٌ مأثورةٌ بين هاتيك البلاد . فمن شعره بالفارسية قوله :

فَهْ أَزْرُوِي تَكْلُفْ كُوِيْمَ اِي دِلْدَارُ بِي رَحْمِي <sup>(١)</sup>  
تَكْلُفْ بَرَطْرَفْ بِي رَحْمِي وَبِسِيَارُ بِي رَحْمِي

فرحمه الله رحمة واسعة ، وسقاه من سحائب الرحمة الهامعة ، وكانت  
وفاته بمدينة قزوین في شهر رمضان سنة ست وثمانين وتسع مئة .

---

(١) معناه : ما أقول من التكلم بأنك قاسي القلب  
نترك التكلف انت قاسي القلب وشديد في المساواة .

## ٨٦

### الشيخ اسماعيل النابلسي الشافعي

هو شيخنا شيخ الإسلام بالاستحقاق ، وعالم عصره بالاتفاق . نادرة عصره ، ورحيد مصره . نشأ طالباً للعلوم ، باحثاً عمّا تضمنته من منطوق ومفهوم . وظهر صيته في البلاد الشاميّة ، وشاعت فضائله بين الفقهاء الشافعية . درس وأفتى ، وعظّم قدره ، وظهر أمره ، وقبِلتْ شفاعته ، وغلت بضاعته . وخطبته الدولة ، وصدقت منه قوله ، بحيث إنه كان مقبول الشفاعة ، مبذولاً له السمع والطاعة . اقتنى بيتاً في باب العنبرتين خارج باب الزيادة ، من جامع بني أمية فكانت رحبته ملاصقة لرحبة الجامع المذكور بالسويّة ، وذلك من أسباب المعالي ، ومن الأبواب التي توجب دخوله إلى نهاية الأمان كما قال :

قد قلتُ في تاريخِ بيتي بيتَ شعريِّ قد تلاه

داري جوارَ الجامعِ الأمويِّ من نِعَمِ الإله

وكما قال أيضاً :

بنت روضةَ علمٍ ونزهةً للمجالس

وعندما تمّ وضعاً أرختُ خيرَ المجالس

( ١٠٥ ب ) وكان أبوه من آحاد (١) الناس ، ولم يتصف أحد من أسلافه بنجدة ولا باس ، بل هو نبغ من بينهم فريدا ، ونشأ متصفاً بالكمال (٢) وحيدا ، حتى رفعه الدهر مقاماً عليّاً ، وألبسه الكمال (٣) ثوباً بهياً ، بحيث انه طار صيته في الأقاليم ، واتصف في حديث الناس بالمجد القويم ، قرأت عليه في منزله عند باب الجامع الأموي من جهة العنبريين (٤) « شرح جمع الجوامع » | في (٥) الأصول للمحقق المحلّي | فكان يقرّر عبارة الشرح أحسن تقرير . ويحرر معانيها أكمل تحرير (٦) . وحضرت عنده (٧) « شرح المفتاح » للسيد | المدقق | (٨) الشريف الجرجاني في جامع درويش باشا (٩) | بمحلة باب الجابية بدمشق | (١٠) وكان القاري | المدرس المذكور | (١١) الشيخ الفاضل تاج الدين الحموي الشهير بالقطان (١٢) | وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى | (١٣)

- (١) « أعيان » .
- (٢) « بالكمال الأسنى وحيدا » .
- (٣) « الكمال منه ثوباً ... » .
- (٤) يعني باب الجامع الجنوبي المسمى بباب الزيادة .
- (٥) « المشهور في الأصول » .
- (٦) « ويحرر ما يرد عليها ألطف تحرير » .
- (٧) « وحضرتُ درسه في شرح ... » .
- (٨) ساقط من .
- (٩) « جامع درويش باشا الرفيع المنيف » .
- (١٠) ساقط من .
- (١١) ساقط من . وفيها : « وكان القاري صاحبنا المرحوم الفاضل الحموي المشتغل المفيد الكامل في ميدان العربية بغاية الجهد ونهاية التسديد الشيخ تاج الدين الحموي » .
- (١٢) في زيادة « نزيل دمشق المحروسة حمى الله كمال أهلها عن نقصان » وقد حذفت في أصلنا .
- (١٣) ما بين الخطين ساقط من .



وكان الشيخ عمر [ بن محمد بن ] <sup>(١)</sup> القاري [ الشامي ] وجمال الدين چلي  
الفرفوري <sup>(٢)</sup> ، والفقير إلى الله تعالى ، والشيخ أحمد النجموني الطرابلسي  
الضني ، والمرحوم الشيخ بدر الدين الجلاجولي ، والمرحوم الشيخ مصطفى  
الحفاجي الحلبي ثم الدمشقي ، وغيرهم من فقهاء <sup>(٣)</sup> الشام ، سقاها صوب  
الغمام . واستمررت مستمعا للمدرس المذكور مع الجماعة المذكورين إلى أوائل  
بحث الالتفات . وصدرت قصة اقتضت انقطاع الفقير عن الدرس <sup>(٤)</sup> المذكور .  
وذلك أنه كان الشرط في ابتداء الدرس أن " من غاب منا معاصر الشركاء <sup>(٥)</sup>  
نترك قراءة الدرس لأجله . فلزم أن الفقير لم يغيب عن الدرس نحو ثلاث  
سنين ، فاتفق أن بعض الإخوان دعاني إلى المبيت بالصالحية ليلة الدرس ،  
فاستأذنت الشيخ المذكور في المبيت وقلت : إن لم يهن عليكم <sup>(٦)</sup> ترك  
الدرس تركت المبيت وحضرت الدرس . فقال : نحن على الشرط ونترك  
الدرس . فوثقت بكلامه وسرت إلى الدعوة . فلم يترك الدرس وذهب  
إليه ، وخالف ما عاهدني عليه . وطلع إلى الصالحية واجتمعت به في  
المجلس الذي دُعيت إليه فرأيت كتب الدرس معه وعلمت أنه أقرأ الدرس .  
والحال أن بعض رفقاتنا كان يغيب كل سنة نحو عشرين يوماً في زمن  
العنب الزيني ونترك الدرس لأجله فكتبت في المجلس هذه القصيدة ارتجالاً  
أخاطبُه بها <sup>(٧)</sup> فقلت :

- 
- (١) الزيادة من ه .  
(٢) ه « وصاحبنا الفاضل الكامل صاحب الكرم الوافر واللفظ الشامل الشيخ  
جمال الدين بن عبد الرحمن الفروري » .  
(٣) ه « قضاة » .  
(٤) ه « عن الحضور إلى الدرس » .  
(٥) ه « الشركاء المذكورين » .  
(٦) ه « عليك » .  
(٧) ه « . . القصيدة مرتجالاً وسلمتها إليه ورجلاً فقلت » .

الى كم تمادٍ والخطوب طوارقُ  
أني غفلةٍ يا صاح أم في تغافلٍ  
(١١٦ آ) الى كم ترى في دارة الذل ساكناً  
لحى الله من يبيدي لخل صدقةً  
أكل فتى يبيدي ابتساماً مصادقاً  
ولي عند شيخ العصر بعض شكايه  
لماذا حماك الله يهمل جانبي  
ويرعى إذا ما غاب في كل حالة  
وإني أخو فضل له أذعن الورى  
وأنت بحمد الله أدري بأننا  
أجملُ يا أعلى الأنام مكانةً  
شكايه هذا الحال مني لغيركم  
ولي عند بعض الناس لوشيت حرمة  
فدم ما سرى ركب وما ناح طائرُ

يشيب لادنهن منك المفارقُ  
وهذا لسان الحال بالحال ناطقُ  
وطرفك في مضمار فضلك سابقُ  
وفي قلبه شخص كذوب منافقُ  
أخفى صديق صادق وممازق  
وإني بحلم منه إن قلت واثق  
وغيري إذا ما قال قولاً يوافقُ  
وإني له في حلبة الفضل سابقُ  
مخالفهم يا سيدي والموافقُ  
سواقٍ وأنت البحر بالفضل دافقُ  
ويا من له زهر النجوم مناطقُ  
وفي الناس ذو بغض وفي الناس وامقُ  
ولكن قلبي بالفضائل عالقُ  
وما لاح من أرض الأحيه بارقُ

ولما عرضت عليه هذه القصيدة قام وقعد ، وبرق وارتعد . واعتذر  
عما صنع من قراءة الدرس ، وقال إنه من إلقاء بعض الرفاق

لامنه (١) ، واستمررت على ترك حضور درسه (٢) بالمدرسة ، الى أن توفي الى رحمة الله تعالى في سنة ٩٩٣ هـ ، فأخذتُ الدرس المذكور بعده ، وشرعتُ أدرّسُ فيه « مُرح المحقق العلامة المحتسبي على منهاج الإمام النووي ، رضي الله عنه . ولما مات دُفن بترتبه التي أنشأها غربيّ جامع جراح بالقرب من مزار سيدي منصور بن عمار . سقى الله ثرى قبره الغيث المدرار . وراثه جمعٌ كبيرٌ من الفضلاء ، منهم المرحومُ الشيخُ أسد الدين التبريزي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، ومنهم الشيخُ أحمد العناباتي النابلسي المتقدم ذكره ، وغيرهما من فضلاء الزمان . وقد (٣) كتب لي الشيخُ أسد الدين قصيدته التي رثاه بها ومطلعها :

(١) هـ ، ب « .. الرفاق ، ولم يكن مني على قرأته وفاق » .

(٢) يختلف ماسيأتي هنا عما هو في ب ، هـ . ففيها مايلي :

« .. وصممتُ على ترك مباشرته ودرسه . فكان من الاتفاق العجيب ، والحديث البديع الغريب أنه توفي بعد صدور القصة عن قريب ، وأحسبُ أن بينهما أقلَّ من سنة على حساب التفرّب . وكانت وفاته في آخر سنة ثلاث وتسعين وتسع مئة . فننّ الله عليّ بدرسه المذكور بدمه ، وتوليته بدمه أن كنتُ من جملة الطالبين عنده . وشرعتُ أدرّسُ الدرس المذكور ، وأحقق ما فيه من التحقيق مملّقاً حاشية على تلك السطور . وجبر الله مني الخاطر المكور ، مع اعترافي بالتقصير والتقصور .

« ولما مات شيخنا المذكور رثاه جماعة من الفضلاء ، ونظم في فضله فرقة من النبلاء . ودفن بترتبه التي أنشأها في حياته وهي بالقرب من تربة الشيخ منصور ابن عمار ... ومن جملة من رثاه الشيخُ الفاضل ، جامع أشتات الغنائل ، الشيخُ أسد الدين التبريزي المذكور في هذا الكتاب ... »

(٣) هـ ، ب « وقد نقلتها من املائه عليّ بطريق الخطاب وهي : »

مصيبةٌ قد أذابت مني الكبداء  
وأفنت الصبر عن قلبي وقد وضعت  
الى متى نحن في ذا الدهر في فرحٍ  
الى متى نحن فيه غافلون وقد  
(١٠٦ ب) ونحن كالشرب بعض مال ساعته  
ألا ترى كيف اسماعيل سيدنا  
ثوى وخلفنا رهن الأسي أبدأ  
من للفتاوى إذا أضحت مفارقةً  
[من للتصانيف، من للمشكلات وقد  
يا لهف نفسي عليه كيف غيب في  
يا حسرتي وهو طود الفضل شامخه  
يا من غدا طالباً للعلم مجتهداً  
يا طالب العلم بك العلم منتجباً  
أبكيه ما دمت حياً بالدموع وقد  
أبكيه ما دمت في الدنيا رهين أسي  
إن كان قد فارق الدنيا فلا أسف

وأشهدت لي طرفاً طالما رقدا  
مكانه الوجد والتبريح والنكدا  
وحقنا أن نزيد الحزن والكمدا  
يدير كأس المنايا بيننا أبدا  
والبعض منتظر حتى يميل غدا  
كهف الأنام ومفتيهم إمام هدى  
وسار نحو جنان الخلد منفردا  
من للدروس إذا ما طالب قصدا  
أضجى رهيناً بقبر لا يجيب ندا  
بطن الشرى وهو بحر العلم قد زبدا  
فكيف وارتته تحت الأرض كف ردى  
خفض عليك فسوق الفضل قد كسدا  
تأسفاً فنسيم العلم قد ركدا  
قل البكاء له [حزناً] (١) وإن نفدا  
ولا أرى بعده لي عيشة رغدا  
فإنه بنعيم الخلد قد سعدا

(١) وضعت هذه الكلمة لضرورة الوزن ولورود البيت مختلفاً في الأصل .

فإِنَّه قَالَ مولانا وسيدنا  
قولاً عظيماً عجيباً فيه منقبةٌ  
معناه علمنا مثل النبيِّ غداً  
| ومنها | (٢) :

لأزال فوق ترابٍ ضمَّ أعظمه  
كعلمه كثرةً أو مثل دمعي إذ  
يا صاحبي يا خليلي يا حليف زدي  
عليك مني سلام الله ما طلعت

ومرثيةُ العلامة القاضي محبِّ الدين نسيبه مطلعها :

محب على بعد الأجابة لأقوى  
وأوحش حتى لم يكن فيه أنسٌ  
وصاح غرابُ البين في ذلك ناعياً  
وقد ضعفت أركانُه وعمادُه  
كأن لم يكن للعلم والفضل منها  
ولم يك ذلك الليث يحمي دياره  
وكيف ورَّبع الأُنس من بعدهم أقوى  
وقد كان يحكي حسنه جنة المأوى  
وقد ذرت الأيام آثاره ذروا  
وهي، ومحت أيدي الردي رسمه محوا  
ولالأولي التحقيق أهل النهى مشوى  
وقد كان في أسد الشرى ماله شروى

(١) الزيادة من ه ، ب .

(٢) لا توجد في ه ، ب .

واقفتي كتباً كثيرةً قلّ أن جمع أحداً في عصره مثلها . وارفع شأنه ، وكان أبوه من التجّار ، وكان له جدّ لأمه ، وكان يحبّه محبةً شديدة . وكان يكتب له الكتب التي يحتاج إليها بالضرورة . وكان خطه غير جيد . ولما مات الشيخ بدر الدين بن مزلق اشترى له كتبه جدّه المذكور بثمان مئة دينار من الذهب ، فباع منها بهذا المقدار وأبقى لنفسه محاسنها . ولعمري إنها كتبٌ نفيسةٌ الخطّ ، نفيسةٌ الضبط . وكان كريماً بإعارتها لا يردّها طالباً . ولا يمنع منها راغباً . ولم يزل يسمو ، وبفضله ينمو ، حتى صار يُفتي مع وجود شيخ الإسلام البدر الغزي . وكان البدر المذكور يفضّ منه لذلك . ولما توفي البدر المذكور في سنة أربعٍ وثمانين وتسع مئة انفرد برئاسة الشافعية . وكان يدرّس في بيته ، وفي المدرسة الشاميّة البرّانية ، وفي جامع بني أميّة . وكان يقتني الممالك الحسان والعييد الحبش . وكانوا يلبسون الثياب الروميّة ( ١٠٧ آ ) على قانون قضاة الروم . وكان يلبس الفراء السمّور والبوشق والسنباب ، ويركب البغال السّمان . وكان يعرف اللغة التركية والفارسيّة والعربيّة لسانه . وكان طوالاً مُهاباً سريع التكلّم . وكان فيه تواضعٌ للطلبة . وكان حافظاً لكثيرٍ من الشعر العربي المليح ، ويُحاضر به في مجالس الأعيان (١) .

(١) بعد هذا كلام في ه ، ب لا يوجد هنا وهو :

« وكان رحمه الله تعالى قد شرع في التأليف قديماً إلى زمان وفاته . فملاّق حواشي على مواضع شق من « معني اللبيب » يؤيد فيه كلام الدماميني ويردّ على الشيخ الشمسي . وعلاق أيضاً حواشي على مواضع من تفسير القاضي البيضاوي وله رسائل غير ذلك . وكان له شعر حسن ، غير أن العلم غلب عليه . وكان رحمه الله تعالى قليل المحبة لي . وكان يحطّ عليّ في المباحث العلميّة ، ويُنازعي في الأدلة اليقينية ، ويردّ عليّ ، ولا يلتفت إليّ . »

وكان (١) طلبه للعلم أولاً على شيخ الإسلام شهاب الدين الطيبي الكبير المتقدم ذكره . وتخرج في النحو على الملا محمود العجمي نزيل دمشق . وقرأ أيضاً على الشيخ المولى الصالح أبي الفتح الشبستري نزيل الخانقاه الشميصاتية بدمشق . وقرأ أيضاً على شيخ الكلّ في الكلّ شيخ الإسلام الشيخ علاء الدين الشهير بابن عماد الدين . وقرأ الفقه على شيخ الإسلام فقيه الشام الشيخ نور الدين السنفي المصري . وأخذ الحديث روايةً ودرايةً عن شيخ الإسلام ، علم العلماء الأعلام ، بقية السلف الكرام ، الشيخ البدر الغزي الشافعي . وروى عنه كثير من فضلاء الدهر ، وعلماء العصر . منهم صاحبنا العلامة الشيخ عمر القاري الآتي ذكره إن شاء الله تعالى . وصاحبنا الشيخ تاج الدين القطان . [ والمرحوم الشيخ بدر الدين الجلاجولي . والشيخ مصطفى بن العاجي الحلبي ] ، ومولانا الشيخ أحمد بن أبي الوفاء السابق ذكره . والفقيه إلى الله تعالى صاحب هذا التأليف ، وكثير من بين أروام وأعجام .

(١) ورد ذكر شيوخه في هـ ، ب بشكل آخر وهذا هو :

« قرأ الشيخ اسماعيل المذكور على جماعة منهم شيخنا شيخ الإسلام ، علم العلماء الأعلام حسنة الليالي والأيام ، بقية القوم الكرام ، البدر الغزي العامري الشافعي ، صاحب التفسير العجيب المنظوم ، وغيره من التصانيف المفيدة ، التي بينت معضلات المنطوق والمنهوم . ومنهم شيخنا شيخ الإسلام ، الولي الصفي العارف ، الشهاب الطيبي الكبير ، الذي اعترف بفضله الكثير ، الكبير والصغير ، والأمور والأمير . ومنهم شيخ الإسلام وفتية الشام الشيخ نور الدين السنفي الشافعي المصري ، نزيل دمشق الشام ، سقاها صوب الغمام . ومنهم الشيخ الفاضل محمود العجمي الشهير بموتيسر ومناه صاحب الشعر على رأسه فانه قرأ عليه المنطق وبعض العقليات . وكان رحمه الله غير محبوب عند الناس وامل ذلك من الحسد الذي لا يخلو منه جسد . »

وكانت له الفضائل العديدة ، والمحاضرات المفيدة . وكانت محاضراته كالنسيم إذا سرى ، وكالروض النضير إذا ما فاح مزهراً . قدماً لقد كان يزيّن المجالس بمحاضراته ، ويضطرب المجالس بلذيق مذاكرته . وكان يقرأ الشعر النفيس ويحسن قراءته مطرباً . كان (١) الشيخ أبو الفضل الموصلي رحمه الله تعالى قد دعا العلماء الى بستان له في محلة مَيِّدان الحصار ، وكان ذلك في زمن زهر التفاح . فكان النسيم يهب وينشر الزهر كأنه لؤلؤ قد انتثر . فأنشد الشيخ اسماعيل المذكور قول الأمير جمال الدين ابن قرناس الحموي :

قد أتينا الرياض لما تجلّت      وتحلّت من الندى بجمان  
ورأينا خواتم الزهر لما      سقطت من أنامل الأغصان

(١) ذكرت هذه الحادثة في هـ ، ب بشكل آخر . وهذا نصها :

« قلتُ : وقد كنتُ حضرتُ معه ضيافة في بستانٍ لبعض بني الموصلي . وكان زهر اللوز قد تبسّم ، ونسيم الشمال قد تذبذب . فهبّ على الأزهار وعطّر الآفاق بعرفه العطار . فلما انتثرت منه عقود الدرهم ، وصارت لجراح القلوب بمنزلة الراح ، قال لي الشيخ الجليل المذكور : حضرتني قول الأمير ابن قرناس المشهور :  
قد أتينا . . .  
ورأينا . . .

فقلتُ له : هذان البيتان مأخوذان من قول الأديب محمد بن هانيء المغربي الأندلسي من قصيدة فريدة ، ذات محاسن عديدة :  
خليلي . . .

وحتى . . .  
فاستحسن مني ذلك الاستحضر ، وقال : إن هذا من محاسن الأشعار . فقلتُ له : نعم ، غير أن ابن قرناس نقل المعنى من التّربيا إلى التّرى ، ومن الزّهر إلى الزّهر . فقال : نعم نعم ، حباك الله منه جزيل النعم . أجدت في بيان الفرق بين الكلامين ، ووقت الأخذ صدقاً بلائمين . رجلنا في المحاضرة ، وتجاذبنا أطراف المذاكرة . وكان يوماً مشهوداً ، ووقتاً سعوداً . »



فقلت له : يا مولانا ! ما أحسن ما قال ابن قرناص ، غير أنه ينظر الى قول الأديب محمد بن هانئ المغربي الأندلسي حيث قال من قصيدة :  
خلمي هباً فانصراها على الكرى      كتائب حتى يهزم الليل هازم  
وحتى ترى الجوزاء تنشر عقدها      وتسقط من كف الثريا الخواتم  
فقال الشيخ اسماعيل : أحسن ابن قرناص في الأخذ إلا أنه نقل المعنى من الزهر الى الزهر ، ونقله من الثريا الى الثرى . وهذه العبارة في غاية الحسن كما ترى . وكان ذلك اليوم يوماً يُعَدُّ من حسنات الدهر . وكان المرحوم الشيخ المذكور يسميه يوم الأدب ، وكان يذكرني به في غالب المجالس .

وكان له شعر حسن ونثر أحسن . فمن نظمه (١) ما قاله في مליح نجار :  
أفديه نجاراً بديعاً حسنه      جل الذي في حسنه قد فرده  
عشاقه في دهشة من حسنه      فكأنهم خُشِبَ له مسنده  
وله (٢) من جملة قصيدة يهجو القاضي علي القدسي العلمي :

وما القاضي علي غير شخص      إلى غير اللواطة لايميل  
فلا يصبو إلى قد قويم (٣)      ولا يصطاده طرف كحيل  
ولكن من له دبر ويعطى      فذلك عنده الحسن الجميل

(١) في ه ، ب « أنشدني مرة من لفظه لنفسه ، رحمه الله تعالى في رسمه ، في نجار حبيب ، صاحب حسن غريب : »

(٢) في ه ، ب « وأنشدني من لفظه هجواً في رجل من المفادسة ، وكان من بيت العالم ، المشهور كناره على علم : »

(٣) ه ، ب « فلا يصيبه ذو قد رطيب » .

وقد<sup>(١)</sup> مدحتُه بقصيدةٍ طويلةٍ حسنةٍ رحمه الله تعالى ومطلعها :  
رُوحٌ أَقْطَرُهَا تَسْمَى أَدْمَعَا      ودَعْتُهَا مُذْ قِيلَ خِلْكَ وَدَعَا  
وضَعُوا الرُّدَى وَأَظَنَّهُ عِلْمَا عَلَى      شيءٍ يُسْمَى فِي الْكَلَامِ تَوَدَعَا  
إلى أن قلتُ منها :

أَسْفَا وَهَلْ يُجِدِي التَّأْسَفُ بَعْدَمَا      ظَعَنُوا وَأَبْقُونِي أَسْحُ الْأَدْمَعَا  
يَا لَيْتَنِي لَمَّا حَدَا الْحَادِي بِهِمْ      أَمْسَيْتُ لِلْعَمْرِ الطَّوِيلِ مَوَدَعَا  
يَا طَالِبَا مَنِي اصْطَبَارَا بَعْدَهُمْ      أَرَأَيْتَ بَيْنَنَا وَاصْطَبَارَا جُمَعَا  
قَد كُنْتُ أَرْتَقِبُ الْحَبِيبَ يَزُورُنِي      وَالْيَوْمَ أَرْتَقِبُ النُّجُومَ الطَّلَعَا  
ومنها :

يَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الَّذِي مَا زَالَ مِنْ      جِهَةِ الْحَبِيبِ مَرُوعَا وَمُصَدَعَا  
أَقْصِرْ فَإِخْوَانُ الصَّبَابَةِ أَقْصَرُوا      وَأَمَالَ كُلُّهُ لِلنَّصِيحَةِ مِسْمَعَا  
نَازَعْتُهُمْ كَأْسَ الْغَرَامِ وَقَدْ صَحُوا      فَالآنَ أَنِ عَنِ الْهَوَى أَنْ تُقْلَعَا  
إِنْ كَانَ قَلْبِي عَائِثَا مِنْ بَعْدِهَا      فِي مَسَلِكِ الْأَهْوَاءِ يَوْمًا لَا لَعَا  
هَلْ قَدْ خَلَصْتُ مِنَ الْغَرَامِ وَمَخَاصِي      بِمَدِيحِ إِسْمَاعِيلِ الْطِفِّ مَوْتَعَا  
ومنها :

لَوْ أَدْرَكَ الرَّازِيَّ أَصْبَحَ حَظَّهُ      أَبَدِيْعٍ مَنْطِقٍ لَفِظَهُ أَنْ يَسْمَعَا

(١) هذا المديح كله لا يوجد في م ، ب .

أَوْ لَوْ يَبَاحِثُهُ الرَّئِيسُ لِأَبْطَلَتْ  
وَلِحَادِ عَنِ قَدَمِ الْهَيُولَى قَائِلًا  
أَضْحَى الْأَفْضَلُ فِي الزَّمَانِ قَصِيدَةً  
وَجَرُوا بِأَطْرَافِ الْبَسِيطَةِ أَنْهْرًا  
وَإِذَا دَجَى لَيْلِ الْجِدَالِ بِمَبْحَثٍ  
وَمِنْهَا :

عِذْرَاءُ أَوْلَادِهَا الْفَوَادُ وَأَرْضَعَا  
سُقِيَتْ بِمَاءِ الْفِكْرِ كَأَسَا مُتْرَعَا  
لَكِنَّهُ قَدْ جَاءَ بَا [بِسْمِكَ] <sup>(١)</sup> طَبَعَا  
مِنْ فَضْلِكَ الْعَالِي الذَّرَى <sup>(٢)</sup> فَلَيْسَ جَعَا  
أَبْدَأَ عَلَى طَوْلِ الْمَدَى إِنْ تَنَزَعَا  
وَشَى مُطَارِفَهَا الْكِبَالُ وَوَشَعَا  
لِمَا حَادِ أَحَادِي الرِّكَابِ مُرَجَعَا

درّس رحمه الله بالأشرفية ودار الحديث ثم بالشامية البرانية مع تدريس  
الدرويشية ، ثم بالعادلية الكبرى مع تصدير بقعة بالجامع الأموي عمّره  
الله تعالى بذكره . وكان له قبول عند الحكّام وعند القضاة . وكانت  
شفاعته مقبولة . واقتنى كتباً كثيرة قل أن جمع أحداً في عصره مثلها .  
وارتفع شأنه . امتحن في دهره مرتين :

(١) ورد البيت في الأصل ناقصاً ولعل الكلمة السانطة هي « باسمك » الموضوعه بين  
قوسين وبها يستقيم الوزن والمعنى .  
(٢) وردت في الأصل « الذي » ، والأصح أن تكون « الذرى » لموافقها المعنى المفصود .

المرّة الأولى اتّهم بصبيّة تهمة كاذبة ، حديثها مفترى بإبتداع بعض المشايخ المتصوّفة . وكان ذلك في زمن أيالة المرحوم درويش باشا (١) . وأعانه العلماء في تلك الحادثة الشنيعة أحسن إعانة ، لكنه وجد رحمه الله تعالى بذلك وحشةً عظيمةً عند العوام والخواص ، وما ذاك إلا أن الصبيّ طلع بنفسه الى ديوان الامارة عند درويش باشا المذكور والدم سائل على قدميه زاعماً أنّ ذلك صادر عن فتوح به . وظهر بعد ذلك للخلق أنّ الفصّة كانت بتعصّب من الشيخ المذكور .

الثانية أنه حبس مع الشيخ المدعو بالحجازي المدرّس يومئذ بالمدرسة (١٠٨ ب) التقوية لميل بعض الحكام إليه لما يتوهّمون فيه من معرفة بعض شيء من علوم الحرف والزايجة ، والله أعلم بصحة ذلك . وكان الحابس لهما رجل من البوابين بباب السلطنة بقسطنطينية المحمية يُقال له محمود ظلماً وتعدياً . وقد آلت به جرأته على خرقه العلم أنّه صُلب بموجب الأمر السلطاني المرادي . رحم الله من أرسله ونقذته وكانت اليد البيضاء في الانتصار لخرقة العلم في هذه القضية للمرحوم شيخ الإسلام ، مفتي الروم شيخ محمد أفندي الشهير بجوي زاده ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى . وكانت واقعة هائلة انتدب لها المفتي المذكور وعرضها على حضرة السلطان مراد وأفتى بقتله لحبس الشيخ اسماعيل المذكور ومعه الحجازي . وكان حاكم دمشق من جانب السيف أمير الأمراء حسن باشا بن الوزير الأعظم محمد باشا ومن جانب الشرع علي أفندي ابن المحقق سنان أفندي صاحب « الحاشية » على تفسير البيضاوي في تفسير سورة الأنعام . وصلب في خشبة مقابلة لدار الإمارة بالشام يوم عيد الله الأكبر . وأظنّ ذلك

(١) انظر ولاية دمشق في العهد السلجوقي .

وقع في سنة تسع مئة واثنان وتسعون ولم تطل مدة المرحوم الشيخ اسماعيل المذكور . وكان رحمه الله تعالى قد علّق على « مُعني اللبيب » في أوائله « حاشية » لم تشتهر . وكذلك كان قد علّق « حاشية » على مواضع من « تفسير الإمام البيضاوي » رحمه الله تعالى . وكان قد ألف « طبقات للمفسرين » فاختلفت بعد موته وما عرفنا لها خبراً ، ولا وجدنا لها أثراً . وكانت ولادته في سنة ست وثلاثين وتسع ومئة من الهجرة النبوية على صاحبها ألف تحية ، وعاش سبعا وخمسين سنة . | وعُدّته بمرضه الذي مات فيه . فرحمه الله رحمة واسعة ، فلقد كان نادرة من نوادر الزمان . فعليه الرحمة والرضوان<sup>(١)</sup> | .

قلت : وكان الأديب الأريب شاعرُ زمانه ، وماهرُ إخوانه ، ترجمانُ لسان العرب ، وواسطة عقد علماء الأدب ، الشيخ محمد بن الصالح الهلالي الشافعي رحمه الله تعالى قد كتب إلى الشيخ اسماعيل المذكور أبياتاً يسأله عن لغزٍ في عقرب . فقال الشيخ محمد المذكور :

لمن كمال للبيض منها تطلعُ      ومن دونها بيض لها الهامُ تركعُ

وما هذه الآسادُ يزأرن حواها      وما غابها إلا الوشيح المشرعُ

تمادوا سُحيراً للرحيل وأزمعوا      وناداهم صبُّ بينٍ مروّعُ (١٠٩ آ)

على رسلكم يا راحلين ترققوا      فهذا فؤادي للركائب يتبع

وخفتُ جسماً في رسوم ديارهم      كما خلفوا الأطلالَ تذري وتحشعُ

ولم أنس قبل البين ساعة خاسة      عشية جدّوا للرحيل وودّعوا

(١) ساقط من ه ، ب . وفيها مكانه : « وخلف ولداً ذكراً يُقال له عبد الغني ، وفاته بعد وفاته الطاب ، ولم يدرك من الفضل ما طلب » .

هلالٌ بأفلاكِ المحاسنِ يطلعُ  
إذا ما بدتْ من نارِ خدِّه تسطعُ  
يدير علينا الراح وهي شمشعُ  
وجاءت همومٌ للقلوب تصدعُ  
بغرةِ اسماعيل في الحال تقشعُ  
ونطقٌ إذا ما فاه فالورقُ تسجعُ  
أسالت عيون أمهي السحبُ تهمعُ  
كم وردت هيمٌ إلى الماء تشرعُ  
وحبرٌ بليغٌ في الفصاحة مصقعُ  
كفرقٍ بأكنافِ السحابِ يلمعُ  
لهنٌ على هامِ السماءِ ترْفَعُ  
عن اسمٍ رباعيٍّ به السمُّ ينقعُ  
يُصانُ به الوجهُ المليحُ المبرقعُ  
غدا وصفَ مذمومٍ يهانُ ويردعُ  
غدا صفةً لله تسمو وترفعُ  
واكثته في طولِ فضلكِ يطمعُ

وقد دار بالشمسِ المنيرةِ في اللجى  
لها لهبٌ في الكاسِ تحسب أنها  
سقانا بأقداحِ الجفونِ وتارةً  
تقضى زمانُ اللهو وانزاح جانباً  
إذا مادجتْ أحلاكُ همك فأجلها  
سريٌّ له صمتٌ علته مهابةٌ  
جوادٌ إذا أعطى تقول هدائه  
ترى الرفدُ وراداً إلى نيلِ رفته  
إمامٌ بتهذيبِ العلومِ مولعٌ  
له في خلالِ البحثِ فكرٌ يجيله  
فيا ابن الأئلي سادوا وشادوا مناقباً  
أجبٌ غيرَ مأمورٍ ولكن تفضلاً  
ومقلوبٌ كلُّ الاسمِ اسمٌ لسائر  
وإن أخذ الحرفان أول لفظه  
وإن أخذ الشطرُ الأخيرُ فإنه  
فهذا سؤالٌ جاء يسعى تطفلاً

فمن أين بيني في القريض تناسب<sup>١</sup>      وبَيْنَكَ يا حبراً له الشعرُ يُخضعُ  
وما يستوي الشعرانَ نَظْماً ورِقةً      وهل يستوي عقدان درُّ و يرمع  
بقيت ملاذاً ما سرتُ نسمة الصبا      وما غنّت العيس الحداة ولعلعوا

فكتب الشيخ اسماعيل هذا الجواب | الجليل | :

بدت تتهادى والفؤادُ مروّعُ      فكاد لما لاقيتُ قلبي يقطعُ  
أتت وظلام الليل أرخى سدوله      فعاينت نور الشمس يبدو ويسطعُ (١٠٩ ب)

فوالله ما أدري أحلام نائمٍ      ألمت بنا أم كان في الركب يوشع  
ولاحت في الشمس المنيرة في الضحى      بأحسن منها طلعة حين تطلعُ  
وحيث فأحيت مُستهماً بحبها      له عبرة تهمني وقلب مروّع

وأملت أحاديث الصبا والصبا      وإخوان صدقٍ قد مضوا وترفعوا  
على حين شيب قد أمَّ وجيرة<sup>٢</sup>      أضاعوا موثيق الوداد وضيعوا  
لهم أبدأ مني وفاء وذمة<sup>٣</sup>      ولي منهم الصدُّ الشنيع المصدعُ

رعى الله من قلبي لديه موله<sup>٤</sup>      وأسير<sup>٥</sup> ومن عيني لذكراه تدمعُ  
ومن لا يرى بأساً إذا بت ساهراً      وبات قرير العينِ وسنان يهجعُ  
وإني من قوم هُم [موطن]<sup>(١)</sup> العلي      وما لسوى الأفضال منهم تطلعُ

أناس زكت أحلامهم وأصولهم      فأفعالهم في جبهة الدهر تلمعُ  
ومالت إلى فن القريض ونظمه      وذلك سير عز ما فيه مطمعُ

(١) هذه الكلمة ساقطة في الأصل وقد أثبتناها لأنها مناسبة للمعنى وبها يستقيم الوزن .

فقلتُ لها يا قرةَ العينِ أوسعي  
فما للقوافي اليومَ عندي مَرَبَعٌ  
وَمَنْ سَلَكَ البَحْرَ الحِضْمَ وَمَنْ غَدَا  
إِمَامٌ هُمَامٌ لَوذَعِي مُحَرَّرٌ  
فصيحٌ بليغٌ كَامِلُ الوصفِ أروعُ  
فتى المجدِ والعلمِ المنيفِ وسيدِ  
فصاحتهُ أزرَتْ بسحبانِ وائلٍ  
لئن فاق فضلاً أو غدا متفرداً  
وذكرني في اللغزِ صدغٌ معذبي  
زباناه في الدنيا تضرُّ وإنما  
فدونكما عذراءُ تبدي اعتذارها  
ودُم في العلى فرداً وفي الفضلِ واحداً

وكتب إليه الشيخُ محمد الصالحى الهلالى المذكور سؤالاً فقهياً وهو: (١١٠ آ)

أمولاي اسماعيل يا خير مرتجى  
ويا روض فضل أَيْنَعَتْ ثمراته  
بتحريرِ تحقيقِ هُدَيْتَ لمطلبِ  
سألتك عن شخصٍ تحرَّرَ نصفه  
ويا فاتحاً باباً من العلمِ مُرتجاً  
ويا بحرَ علمٍ فاضٍ لما تموجاً  
عزيزِ فأضحى للافاضلِ منهجاً  
ونصفِ رقيقٍ لم يجد عنه مخرجاً



جفا واعتدى عمداً على يد نفسه  
فماذا عليه للذي حاز نصفه  
وأفضل عضواً بالدماء مُضرباً  
وما نصُّ حكمٍ بالشرعية انتجا  
فكتب اليه الجواب :

أكامل هذا العصر في العلم والحجى  
ويا شمسَ دينِ الله يا فاضلاً غدا  
وموضح ما من غيِّب الشكَّ قد دجا  
من الشمس شمس الكونِ أبهى وأبهجا  
للك الله من حبرٍ له فضلٌ فِطْنَةٌ  
تضوِّعَ منك المسكُ لما تأرَّجا  
لقد جاءني من بحرِ علمك جدولٌ  
ففرَّحَ قلبي حين همِّي فرَّجا  
على جبرِ أوقاتٍ تفاقمَ أمرُها  
وطاعونُها قد قلَّ منه الذي نجا  
فقلت وقلبي بالهمومِ مُشْتَتَرٌ  
وعيني تنشِّي بحرِ دمعِ تموجا  
لقد أهدَرَ الجاني بذلكِ عضوه  
وإن كان عضواً بالدماءِ مضرباً  
وقد فقد المولى يَدَي عبده فما  
لها بدل بل خاب من ذلك الرجا  
أو الثمنُ مما قابل الذات لازمٌ  
أوالرُّبْعُ يُعطيه المبتعض مزعجا  
كما في فتاوى المروزي ذاك كله  
وأوسطها رجع سَلِمَت من الشجا  
فهاك جواباً لا برحت مسدداً  
مجيداً مفيداً للفروع مخرَّجا  
ودُمُّ أبدأ في نعمةٍ وسعادةٍ  
مُعِيناً مُغيثاً كلَّ خطبٍ مفرَّجا

## ٨٧

الشيخ إسحاق ابن شيخ الإسلام

الشيخ سراج الدين عمر ابن شيخ الإسلام الشيخ شمس الدين

محمد بن أبي اللطف [ المقدسي ] مدرس الصالحية

بالقدس الشريف

كان والدُه الشيخ عمر حنفي<sup>١</sup> المذهب ، ومفتي الحنفية بالقدس الشريف .  
والشيخ اسحاق هذا شافعي<sup>٢</sup> المذهب تولّى تدريس المدرسة الصلاحية<sup>(١)</sup>  
بقوة المال ويجاد أبيه . والحال أنها مشروطة لأعلم علماء الشافعية في  
ديار العرب ، وعلوفتها في كل يومٍ مثقال من ( ١١٠ ب ) الذهب .  
وهي من بناء المرحوم الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي أخذ القدس  
من يد النصارى . وله فضيلة متعلقة بالفرائض والحساب . وله شريك<sup>٣</sup>  
في التدريس المذكور هو ابن عمه الشيخ يوسف بن أبي اللطف ، ولكن  
التصرف في الغالب إنما هو للشيخ إسحاق ، ولكن في نفس الأمر له  
مكارم أخلاق غريبة ، تحكى عنه في الكرم أمور تبعد على أبناء الزمان .  
وحاصل الأمر أنه في مكارم الأخلاق آية ، وفي الجود والسخاء غاية .  
ربما تأتي الى بيت المقدس قافلة للزيارة فيضيف غالبهم ولا يملّ من ذلك  
أبداً ؛ والعمل الآن في بيت المقدس عليه وعلى ابن عمه الشيخ جارا لله  
الآتي ذكره في حرف الجيم إن شاء الله تعالى .

فأما الشيخ اسحاق هذا فهو شافعي<sup>٢</sup> والشيخ جارا لله حنفي<sup>١</sup> .

(١) انظر المعاهد المصرية في بيت المقدس لأحمد سامح الخالدي ، ص ٦ .

وحاصل الأمر أنه موصوف بالكرم الذي فاق به على الأکبر والأصغر ،  
واقترخ به على الأوئل والأواخر . لا يردُ وارداً إلى بيت المقدس إلا  
ويجد منه مكارم شاملة ، وأخلاقاً لطيفة كاملة . بحيث شاع له بذلك  
ذكرٌ في جميع الأمصار ، واقترخت به الأكارمُ في كلِّ ديار . والكرمُ  
يفطني كلَّ عيب ، ويرضي عالم الغيب . عل أن لا عيبَ فيه سوى  
عدم المهارة في ميدان العربية ، ولعله كامل في الفنون الشرعية . وهو  
في هذا التاريخ مقيم في بيت المقدس على وصف الكرم ، فجمّل الله  
بجوده ذلك الحرم .

وقد قدم الى دمشق في حدود سنة خمسٍ بعد الألف ، فرمّ على  
الشيخ أبي الطيب الغزي السابق ذكره في هذا الكتاب ، في باب البريد .  
فكانه ما وقاه حق السلام ، ولا أعطاه ما يستحق من الإكرام ،  
فابتدر | بتأليف | (١) أبيات يهجو فيها ، وقد أنشدنيها ، فعلق في  
فكري منها قوله :

بني اللطفِ ولا لطفِ خذوها مُرّة العتبِ  
وسحقاً لك يا اسحاً ق من قشرِ بلا لبِّ  
شُهرت بملبسِ التلبيسِ في شرقٍ وفي غربِ

وهي طويلة الذيل ، سال قلمه في مجاريها كالسيل ، وقد ندم بعد  
نظّمها ولكن بعد خروج السهم ما ينفع الأسف ، وما يدفع عن صاحبه  
التهف . وما زالت الأشرافُ تهجى وتمدح . والحمد لله أولاً وآخراً .  
وباطناً وظاهراً .

(١) ساقطة من ه ، ب . وفيها « فابتدر بأبيات » .

## ٨٨

### الشيخ أمين الدين الصالحي الهلالي الدمشقي أحدُ الموقعين للأحكام الشرعية بدمشق

هو الشيخُ الشاعرُ ، الناظمُ النائر ، أمينُ الدين بن عثمان . قرأ  
أولاً القرآن ، وطلب العلم ففاق على الأقران . لكنّه بعد ذلك تركه .  
وحاه عنه بطريق سلّكه . وهو طريق ( ١١١ آ ) التوقيع للأحكام في  
المحاكم ، فاقصر على خدمة التوقيع وعلى نظم الشعر ، لكنّه كان غالباً  
لا يجيد إلاّ في الهجاء . سمعتُ من لفظه مرّات وهو يقول : كل شاعر  
له عينان نضاختان في فكره ؛ الواحدة عذبة للمديح وما يضاف إليه ،  
والثانية متقنةٌ للهجو وما يُقاس عليه . وأمّا أنا فإن لي عيناً واحدة  
فقط ، وهي العينُ الثانية ، فإنّي لا أعرف إلاّ الهجو والمثالب ، ولا أذكر  
في شعري سوى القسح والمعائب . فقلتُ له : تبتاً لك يا بغيض ،  
| وهل يليق | (١) بك أن تُقبِّح محاسن القريض ؟ فقال : هذه جيبةٌ  
ذاتيةٌ ، وطبيعةٌ على القبح مبنيةٌ . وحاصل الأمر أنه كان مقرّاضَ  
الأعراض ، وسيفاً يقطع به على مقتضى الأهوية والأغراض . فعفا الله  
تعالى عنه وعن أفعاله ، ولا كتب عليه من أقواله .

وأمينُ الدين هذا هو ابن عم الشيخ الفاضل الكامل الشيخ محمد الصالحي  
الهلالي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الميم .

(١) سألط من ه .

ومن شعر الشيخ أمين الدين المذكور قوله يهجو عمه ولي الدين البزوري :  
إذا رأيت ولي الدين مفتكراً منكساً رأسه إنسانه ساهي  
فذاك من أجل دنياً لا الآخرة خوفاً من الفقر لا خوفاً من الله  
وله أيضاً هجواً كثيراً في بني الخطاب ، الجامعين لجميع القبائح بلا ارتياب .  
فمنه قوله :

بيت ابن خطابٍ غداً بيتاً قليلاً خيره  
ينفقُ فيه عاشقٌ قام عليه أيره

وقد جمع هجوه في الطائفة الخطابية ، الذين لا تجوزُ شهادتهم في  
واقعة شرعية ، في جزءٍ خاصٍ ، شائع بين العوام والخواص ، وسماه  
« قَرْعُ القَبْقَابِ فِي قَرَعَةِ ابْنِ الْخَطَّابِ » فيه كلُّ عجيبة ، وكلُّ سبِّ غريبة .  
ولما كان أمين الدين المذكور كاتباً في المحكمة الكبرى نظر إلى شهودها  
فوجدهم تسعة وهو واحد منهم ، ووجد قضاتها أربعة ومنهم ابن الخطاب  
كامل الدين ، الذي ليس له من اسمه لا كمال ولا دين فقال وأجاد :

قالت لنا الكبرى أما أن لكم ما توعدون  
قضاتنا أربعة لكنهم لا يعلمون  
شهودنا عدتهم تسعة رهطٌ يُفسدون

وله في هذا الباب ما يسحر الألباب ، ولا يفلقُ معه كتاب ،  
لا سيما هجواً بني الخطاب ، فاته ما لا تلبس عليه الثياب . ويكفينا  
من القصة حصّة ، فالبعرة تدل على البعير ، وأثرُ الأقدام يدل على  
المسير . وكانت ( ١١١ ب ) وفاته في سنة خمس بعد الألف | من الهجرة  
النبوية . على مهاجرها ألف ألف تحية | .

٨٩

[ أسد<sup>(١)</sup> الدين بن محمد الصفدي

هو صاحبنا وخليلنا وحبیبنا وصديقنا . زارني يوم الجمعة ثاني جمادى الأولى من شهر سنة تسع عشرة بعد الألف . فاتفق وهو جالسٌ عندي أنها صدرت بدمشق عجيبة . وهي أن سيداً شريفاً من السادات الحسينية الخادمين لمزار السيدة رقية الصغرى بمسجد الراس ، بالقرب من باب الفرديس ، يُقال له جمال الدين ، وكان يتعاطى بيع الفواكه في الجانب المذكور . فصلت الجمعة في اليوم المذكور وخرج من الجامع الأموي طاهراً متوضئاً . فوقف في جانب حانوته ، وإذا بملوك أبيض بحري كان شكله غاية لا تدرك على ما يُقال ، بل قيل إنه لا نظير له في الحسن - وقف عليه وطلب منه بطيخاً أصفر . فتناول معه واختلفا في ثمن البطيخ . فيقال إن الشريف المذكور كلم المملوك كلاماً يتعلق بطلب ما لا يليق من الفاحشة ، ولا أتحقق صحة ذلك . فضربه بسكين كانت معه في لوحه ، وهرب المملوك . فدخل الدم في جوف السيد وشرع يخرج من أنفه وفمه . وطلب الماء فلم يُسقى خوفاً عليه ، فوقع ولم يلبث أن خرجت روحه . فبادر بعض خدم العسكر إلى إمساك المملوك والسكين مُشرعة في يده . فتعاضى عن الإمساك ، فتكاثروا عليه إلى أن أوثقوا كتافه . فاجتمع الناس وأهل المقتول وذهبوا بالمملوك إلى حاكم دمشق ، وهو الوزير المحافظ أحمد باشا . فقال لأقارب المقتول :

(١) هذه الترجمة لا توجد في م . أضفناها من ه ، ب . وجاء ترتيبها متأخراً عن موضعها .

أياها السادة ! إن كان للمقتول أولاد صغار فالرأي أن يُباع المملوك ويُزاد فوق ثمنه إلى أن يُربّى الأولاد بالمال . إذ لا شبهة أنهم فقراء . فبادروا بالصراخ وإظهار عدم الرضا . وكان السيّد محمد بن عجلان ، النازل في بيت الرفاعي بمحطة الميدان ، نقيب الأشراف إذ ذاك . فقال : الرأي قتل المملوك حتى لا يُقال مملوك في الرقّ قتل شريفاً صحيح النسب ولم يُقتل به ، أو يُقال باعوا شريفاً مقتولاً ظلماً بقليل من المال . فلما صمّموا على القتل قتل المملوك بالقرب من مصرع السيّد المذكور ، وذهب به ، مع بُعْدِ المناسبة بينهما . والله الأمر من قبل ومن بعد . وقد شاهدنا المملوك مطروحاً في الجانب القبلي من مزار السيّد رقيّة ، والسيّد ممدداً في نفس المزار ، والنوائح يسبحن عليه . إلى أن دفن السيّد وبقي المملوك ليلة السبت إلى الصباح . فغسل ودفن في تربة مرج الدحداح . وتأسّف الناس على شرف المقتول وعلى حُسنِ القاتل . وقد أفتيتُ بأنّ المملوك لا يسوغُ قتله الآن فوراً لأنّ الوارثين للقصاص - أعني أولاد السيّد المقتول - صغاراً لم يبلغ أكبرهم أربع سنين . فكان الواجب أن يُجسّ القاتل إلى أن يبلغ الأولاد ، وهم بعد ذلك بالخيار ، إن شاءوا أخذوا القصاص وإن شاءوا عَفَوْا عنه وأخذوا الدية . ولكن سبق السيف العذل . وكلّ عامل عليه جزاء ما صدر عنه من العمل . فإنّ القاتل قد فات ، وصار في عداد الأموات ، ولا يُغني أسفٌ بعد فقد ، والله الأمر من قبل ومن بعد .

٩٠

الأمير إدريس بن حسن

ابن أبي نغمي بن |<sup>(١)</sup> بركات الحسني صاحب مكة يومئذ

شاهدته بمكة في ذي الحجة من سنة عشرين بعد الألف . وهو حاكمها  
ويده أزممتها ، ويشاركه في ذلك الأمر الأمير محسن بن حسين بن حسن  
ابن أبي نغمي مشاركة قليلة . ولقد مدحت الأمير إدريس المذكور بقصيدة  
حسنة ، وأشرت فيها الى معاتبته بتأخير راتي المعتاد لقضاة المحمل  
الشامي ، لأنني كنت متولياً قضاء الركب الشامي في السنة المذكورة .  
فأرسل إليّ الى الخيم الشامي بباب المعلقى نحو عشرين رأساً من الغنم ،  
وقنطارين من السمن الأصفر البقري المليح . ولما سرنا من مكة المعظمة  
وودعنا بيت الله بطواف الوداع ، بل بوضع القلب عند هاتيك البقاع ،  
ذكر لنا بعض أتباع الشريف إدريس المذكور أنه يترقب حضورنا إليه ،  
وجلسنا بين يديه . فقلت : أنا ما تركت الوداع ، إلا خوفاً من أن  
يُقال جاء للوداع ، في حجة الانتفاع . فسرنا على بركة الله تعالى الى  
أن نزلنا بمنزل خليص . فإذا رسول من جانب السلطان المذكور  
يسأل عنا ومعه هدية سنية . فانظر الى كرم هذا الأمير الذي ليس له  
في رفعة الشأن نظير ، كيف صدقنا عنه ولم تصدق عنا مواهبه ،  
وأعرضنا عنه وخضع لنا مع العلو جانبه . فيحقق لنا أن نُشيد في  
شأنه الكريم هذين البيتين :

(١) ساقط من ه ، ب .



صَدَفْتُ عَنْهُ وَلَمْ تَصْدَفْ مَوَاهِبُهُ عَنِّي وَعَاوَدَهُ ظَنِّي فَلَمْ يَجِبِ  
كَالغَيْثِ إِنْ جِئْتَهُ وَأَفَاكَ رَيْبُهُ وَإِنْ تَرَحَّلْتَ عَنْهُ جَدَّ فِي الطَّلَبِ  
ويحتمل له أن يُنشد في ما يتعلق بفعله ، وإدراج فضله :

وَنَكْرَمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا وَتُبِعَهُ الْكِرَامَةَ حَيْثُ كَانَا

وقد أنشدته القصيدة التي نظمتموها في مدحه في منزله الشريف بركة  
المكرمة . وكان في المجلس رجلٌ يُقال له بهرام آغا . وهو رجل روميٌ  
قديمُ العهد في خدمة البيت الحسيني السلطاني . وقد قيل إنه خدم الشريف  
أبا نمي ، والشريف حسناً ، والشريف مسعوداً ، وغيرهم من الشرفاء  
الذين حكموا في هاتيك البلاد الحجازية . واستقر الآن في خدمة الشريف  
إدريس المذكور . وهو رجل طوالٌ حسنُ الشكل لطيفُ الطبع يتوسط  
بالخير ( ١١٢ آ ) عند من يكون شريفاً وحاكماً بهاتيك البلاد . وهو عندهم  
بمنزلة الوزير . ولقد دخلتُ بيته ، وهو في مقابلة باب السلام . واه  
رواشنُ عاليةٌ . وقال لي : أتدري يا مولاي ما تحت هذه الرواشن العالية ؟  
فقلتُ : لا علم لي ، قال : هذه فوق بركةٍ من الماء الجاري .

ومن جملة القصيدة التي مدحتُ الشريفَ إدريسَ بها هذه الأبيات ،  
وكان نظمها في ذي الحجة من سنة إحدى وعشرين بعد الألف (١) :

مولاي يا ماجداً لم يَحْكِهِ أَحَدٌ وَلَوْ سَعَى جَهْدُهُ فِي سَالِفِ الْأُمَمِ  
لَا بَدَعَ إِنْ فَقَّتْ كُلُّ النَّاسِ قَاطِبَةً فَأَنْتَ مِنْ نَسْلِ خَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ

(١) هـ ، ب زيادة « من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل التحية . وهي هذه » .

قصدتُ ساحةَ جودٍ في منازلكم      لم أستلمها ولا قبَلْتُها بفي  
ولا وردتُ إلى شربِ تروقه      منك البشاشةُ والقلبُ المشوقُ ظمي  
وليكم أنا والأيامُ تشهدُ لي      بالصدق من قبل أن أصبحت ذاحم  
أرجو بكم شربةَ قدرٍ اقمنه لها      والحرثُ يركض في أحشاء مضطرم

## ٩١

### الشيخ أويس الرومي

### شيخ الطريقة الأويسية

ورد من بلاد الروم ، وسكن بعلبك . ويقال إن له اثني عشر ألف مُريد . وكان مع الصلاح فاضلاً عالماً ، لكنّ الأويسيّة كلّهم يعتقدون أن الولي إذا مات انقطع مددُه وامتنعت كرامته . وأخبرني شيخ الإقراء بدمشق وإمام الجامع الأموي في محراب الحنفيّة وشيخ الفرائض بدمشق أيضاً مولانا الشيخ علاء الدين عليّ الطرابلسي | أبا | (١) ، أن ولده الشيخ ناصر الدين إمام الجامع الأموي سابقاً ، وكان من معتقدي الشيخ أويس المذكور ، أخبره أن رجلاً من مدينة عكثار كان مُنكراً على الشيخ أويس المذكور . فرأى في منامه قائلاً يقول له : ألا ترجع عن إنكارك على الشيخ أويس ؟ ثم انتبه من منامه وقصد الرحيل الى دمشق لمجرد زيارته . فجاء الى أن وصل الى عمارة الدورة بين وادي بردى ووادي الزبداني ، فنزل هناك . وكان له بغلٌ ، فخرج من العمارة وأرسل البغل ليرعى في تلك الأرض ، وجلس بالقرب منه . فأخذته سِنَّةٌ من النوم ، فاستيقظ فلم يجد الدابة المذكورة ، واجتهد في طلبها فلم يجدها . فقال في خاطره مخاطباً : يا شيخ أويس ! أنا ما خرجتُ من بلدي إلا لزيارتك . فإن كنت ولياً فأرجع لي دابتي .

فبينما هو جالس وإذا ( ١١٢ ب ) برجل يناديه من ورائه يقول له :  
خذ بك . فالتفت ، فإذا بشيخ أبيض اللحية قد أعطاه رسن البغل  
وسلمه إليه . فلما حدق النظر فيه فإذا هو الذي رآه في النوم .  
فعلم أنه الشيخ أويس بنفسه . ثم إنه غاب عنه من ساعته ، وطلبه فلم  
يجده . وكان جاء إليه بالجسد المثالي الذي يقول به الصوفية . فوجّه الرجل  
إلى دمشق فرأى رجلاً من مُريدي الشيخ أويس المذكور ، فقال له :  
جئتُ لزيارة الشيخ أويس . فقال له الرجل المذكور : إنّه قد مات  
من نحو ثلاثة أيام . فبكى الرجلُ وتأسّف على عدم مشاهدته له .  
فسأله الرجل المذكور عن صفة الشيخ . فوصفه بأوصافٍ مطابقة لما شاهده  
في منامه ، وفي مشاهدته له عند تسليمه بغله له . فعلم أنّه هو الذي  
جاء إليه لينقذه من سوءِ اعتقاده فيه . فقد قال صلى الله عليه وسلم : يقولُ الله تعالى :  
مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْمُحَارَبَةِ ، فاعلم ذلك .

كذا أخبرني بذلك مولانا الشيخ علاء الدين المذكور بمنزلي بدمشق ،  
على نهر بردى في زقاق النحتاسين ، بين بابي السلامة والفراديس ، في  
يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة من شهر سنة سبع عشرة بعد  
الألف من الهجرة النبوية على مهاجرها ألف ألف صلاة وألف ألف تحية .

## الشيخ ادريس الواعظ تزيل دمشق

هو إدريس بن محرم . قرأ أولاً في العربية على مولانا حسام الخطيب . ثم قرأ على المولى العلامة المفتي جوي زاده ، ثم على المولى حسن چلي ، ثم على المولى عمر أفندي ، ثم على المولى شيخي چلي ، ثم على المولى مصطفى أفندي ، ثم على المولى حسن چلي ابن المولى علي أفندي الشهير بابن القنلتي . ولم يزل يتنقل من عالم إلى عالم إلى أن وصل إلى عالم يقال له 'بخاري زاده' ، ثم صار ملازماً منه على قانون علماء الروم في دولة ملوك بني عثمان . خلّد الله دولتهم الى انقضاء الدوران .

وتولّى ادريس المذكور مدرسة مسيح باشا في مدينة أدرنه . ثم تولّى مدرسة مسيح باشا في مدينة كليبولي ، وتولّى مدرسة حاجي حسن بأربعين عثمانياً . وبعد ذلك قدم إلى قسطنطينية وصار بها واعظاً ناصحاً ، وترك طريق المدارس ، واستمرّ على ذلك إلى أن مات المرحوم بستان الواعظ الذي يأتي ذكره في تاريخنا هذا في حرف الباء بدمشق في التاريخ المذكور . فطلب جميع جهات بستان المذكور بدمشق من خطابة وتدريس ووعظ ، وغير ذلك من علوفات من مال السلطنة . فأعطاها له السلطان الأعظم السلطان مراد بن سليم رحمه الله تعالى . وقدم الى دمشق في السنة التي مات بها بستان المذكور ، وهي سنة اثنتين بعد الألف ، في غالب ظني . وهو الآن مقيم بدمشق ، وله مشيخة في مدرسة المرحوم أحمد باشا الشهير بشمسي الذي ذكرناه في حرف الهمة . ولكن له بيت آخر في الهلة

الجديدة بدمشق . وهو خطيبٌ بالمدرسة السليمية ، بصالحية دمشق  
الهمية . وواعظٌ بجامع بني أمية ، فوق الكرسي الرخام في مقابلة  
مزار حضرة النبي يحيى بن زكريا عليها الصلاة والسلام . وله بعضُ فضيلة .  
زارني مرّةً وحكى لي عن جميع ما رفته عن الموالي الذين أخذ عنهم .  
وأخبرني بعضُ من يعرف حقيقة حاله أنه 'مموه' ، وأن باطنه يميل الى  
المال ، حتى إن بناته يملكن من الذهب واللؤلؤ ما لا يقدر عليه بنات الملوك .  
وبعد إذ كتبتُ من أحواله ما تراه عاشرته وصاحبته وحضرتُ مجلس  
ذكره في مدرسة المرحوم شمسي باشا المذكور . فرأيتُه معمّر الباطن  
بجمل الظاهر . وباحثه في كثيرٍ من دقائق العلوم لا سيّما مواد التفسير ،  
فرأيتُ له ملكة في كثيرٍ من المعارف والقواعد العلمية . وقد حجّ الى  
بيت الله الحرام من الشام في سنة عشر بعد الألف . وكانت الوقفةُ الجمعة .  
ثم رجع سالماً ، وذهب الى مصر في السنة المذكورة لزيارة ما بها من  
المعاهد ، ولصلة بنتٍ له هناك كان قد تزوّج بها بعضُ أعيان الدولة .  
واجتمعتُ به بعد حضوره من مصر ، وسألته عما رأى هناك . فأثنى  
على كثيرٍ من علماء ذلك الجانب ، وها هو الآن مقيم بدمشق يذكر على  
عادة مشايخ التصوّف ، ويدرس الطلبة المقيمين بالمدرسة المذكورة في  
أنواع العلوم . سلّمه الله تعالى وكثر من أمثاله ، وأصلح جميع أحواله .  
والحمد لله وحده .

# حرف الباء

٩٣

## أبو البركات [ الغزي ]

هو الشيخ بدر الدين أبو الجود محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله ابن مفرّج بن بدر بن عثمان بن جابر بن فضل بن ضوء الغزي العامري . يتصل نسبه الى عامر بن لؤي ، واليه أشار والده الرضي حيث قال : وأبو الفضل كنيته وانتسابي من قريشٍ لعامرٍ بن لؤيٍ الشافعي الأشعريّ الدمشقيّ مولداً ومنشأً ووفاةً . كتب بخطه أن مولده في سنة أربع وتسع مئة . فتكون مدة عمره ثمانين عاماً .

وهو شيخ الإسلام على الإطلاق ، وفاضلُ دهره بالاتفاق . اشتغل أولاً على فقيه الشام الشيخ تقيّ الدين ابن قاضي عجلون ، وعرض عليه بعض مصنّفاتهِ فدحها لمن حضّرَ مجلسه ؛ ودعا له ، كما كتب بخطه . وقرأ على والده القاضي رضيّ الدين . ورحل الى مصر مرّةً مع أبيه فقرأ في قلك المرّة على شيخ الإسلام قاضي القضاة زين الدين زكريا شارح « الروض » و « البهجة » . وأجازه ، وأجلّ رواياته عنه عن شيخ الإسلام | الشهاب | (١) بن حجر . وروى أيضاً عن شيخ الإسلام قاضي القضاة البرهان بن أبي شريف ، أخي شيخ الإسلام المحقّق الكمال | ابن أبي شريف . وروى أيضاً عن الحافظ القلقشندي ، وعن الحافظ المزني ،

(١) ساقطة من ه .

وعن شيخ الإسلام جلال الدين الأسيوطي ، وغيرهم . وكان من بقايا السلف ، عليه أئمة العلم وروثقُ الصلاح ، وصان العلم فصانه ، وقوى جانب الحق فقوى الله أركانه ، ما تردد إلى بيت كبير ولا صغير ، ولا خضع لحاكم ولا أمير .

أفتى في دمشق نحو ستين سنة تقرّباً إلى مولاه ، وطلباً لقربه ورضاه . كان المُستفتي يقف على باب حجرته المعروفة بالحليّة في قرنة الجامع الأموي ، بالقرب من المدرسة الكاملية . فتظهر له جارية أو عبد صغير لأخذ الفتوى منه . فيعرضها على الشيخ ، فيكتب الجواب ويمطيها لصاحبها من غير أن يرى أحدهما الآخر . ولقد شاهدت ذلك في سنين عديدة ، ومدّةٍ مديدة .

ولقد كنا نختلفُ معاشر الطلبة في مسألة أو عبارة مشكّلة . فكنتنا نكتبها ونرسلها إليه على سبيل الاستفتاء ، فيكتب عليها ما ينبغي أن يكتب . وكان يقول : والذي كان ينفعُ الناس بالقضاء ، وأنا أنفعم بالفتوى . وصنّف الكثير ، وكتب الغزير ، من ذلك « تفسيره المنظوم » ، الذي تحار عنده الفهوم . يدخل في أكثر من مئة ألف بيت مُرجّز مع التزامه أنه لا يدخل فيه الحشو أبداً . وهذا عجيب . ولقد خاض فيه علماء عصره ، وفضلاء مصره . فمنهم من أجازوه ، ومنهم من منع جوازه ، ومنهم من أنكره ، ومنهم من اعترف له وشكره ،<sup>(١)</sup> وعندني أنه لو تركه لكان أولى ، لأن مقام كلام الله من مقام الشعر أعلى . وليت شعري إذا قال قائلٌ للشيخ رحمه الله تعالى : إذا جرّدت كلام الله جلّ وعلا عن نظمك ، وأخرجته وميزته عنه فهل تراه بعد ذلك موزوناً ؟ لا يسه

(١) من هنا إلى قوله الأزل بياض في ه .



أن يقول إلا أن يعود وبعد تجريد كلام الله عنه . غير موزون . فيلزم حينئذ عليه أن يكون قد جعل القرآن العظيم جزءاً من شعره يوزن بتفاعيل الشعر . وهذا دليل قاطع على أنه جعل كلام الله تعالى بعضاً من الشعر ، وبعض الشعر لا يحيد له عن هذا أبداً .

ثم إن شيئاً نزه الله تعالى مقام نبيّه عنه فقال تعالى ﴿ وما علّمناه الشعرَ وما ينبغي له ﴾ (١) هل يليق أن يجعل كلام الله تعالى بعضه وداخلاً فيه وما أبعد الشعر عن كلام الله تعالى .

ثم إنك إذا تأملت التفسير المذكور لا تجد فيه زائداً عن صورة النظم إلا ما لا يعظم وقعهُ . فإنه قد نظم محصل « الكشاف » و « زبدة البيضاوي » ، وزاد بعض أوجهٍ وبعض نكتٍ منقولة في الكتب غالباً . يشهد بذلك من شاهده وتأمل معناه . ونظر الى خباياه وفحواه . فلو جعل مكانه تفسيراً بسيطاً منشوراً يوضح فيه بعض مشكلات البيضاوي أو جعل موضعه حاشية على تفسير القاضي عبد الله البيضاوي لكان ناجاً على مفرق الزمان ، وابتهاجاً لأهل التحقيق والإتقان ، ولكن هكذا قدر في الأزل | (١) .

وللشيخ تصانيف تزيد على المئة منها « التفسير » المذكور . ومنها « شرح » على منهاج الإمام النووي رضي الله عنه محرراً محققاً . غير أنه عبارة عن شرح « المدقق » للجلال المحلي مع بعض زيادات . ومنها « حاشيتان » على الشرح المذكور للمحلّي . والموجود بأيدي الناس واحدة منها وهي الصغرى ولا بأس بها . ومنها « شرح على نظم جمع الجوامع » الأصولي لوالده القاضي رضي الدين . ومنها « فتح المغلق » في تحرير الخلاف المطلق « في الروضة . وقد جعل له ختماً في مشهد الإمام زين العابدين المعروف

(١) سورة يس الآية ٦٩ .

(٢) هنا ينتهي البياض في هـ .

الآن بمشهد الهيا . وكان الحتمُ المذكور مشتقاً على عدة من العلماء كشيخنا شيخ الإسلام الشيخ اسماعيل النابلسي الشافعي ، وشيخنا شيخ الإسلام المحقق العماد الحنفي ، وشيخنا الشمس بن المنقار الحلبي نزيل دمشق ، وشيخنا شيخ المحدثين الشمس محمد بن داود المقدسي ، وشيخنا شيخ الإسلام الشهاب الطيبي الصغير المتقدم ذكره . وحضرة أيضاً شيخ الإسلام واعظ عصره الشيخ يحيى بن حامد الصفدي . وكان المفتي الرومي العلامة الكامل محمد أفندي الشهير بابن المعيد حاضراً بالمجلس أيضاً . وكان الشيخ البدر في المحراب جالساً وعليه عمامة سبكية حسنة قد أرخى لها عذبة صغيرة احترازاً عن الامتعاط المكروه . وعليه صوفٌ عظيم فستقي . وكان ابن المعيد المفتي عن يمينه ويليهِ الشيخ ابن حامد ، ويليهِ الشمس الداودي ، وهكذا . وكان عن شماله أبو الفداء اسماعيل النابلسي ، ويليهِ العماد الحنفي ، ويليهِ الشمس بن المنقار ، وهكذا . وأما الطيبي الصغير ومعيد الدرس الشهاب القابوني وصاحبنا شمس الدين الميداني الشهير بابن الحنتوس ، والفقيرُ فكنّا أمام الشيخ . وكان الجلوس من بعد صلاة العصر إلى قبيل الغروب . ومما جال في الدرس المذكور أن الشيخ البدر روى حديثاً متعلقاً بجواز بيع السراري في صدر الإسلام . فروى الشيخ لفظه السراري بتشديد الياء . فقال له الشيخ اسماعيل النابلسي : الروايةُ سرارينا بالتخفيف . فلم يلتفت الشيخ إليه . فأعاد الرواية بالتشديد ، فأعاد الاعتراض بالتخفيف ، إلى أن تكرر ذلك ثلاث مرات . فضرب الشيخ بيده الأرض من جهة الشمال وقال للشيخ اسماعيل : أنت سهرتَ الليالي لتحصيل مثل هذه الترهات ؟ فقال ابنُ عبد البر في شرح جامع الترمذي في الباب الفلاني أنها بالتشديد . فسكت الشيخ اسماعيل . فقال الطيبي الصغير بعد ذلك : يا مولانا ، نقل فلانُ أنه يجوز الوجهان . وانتقل الكلام إلى غير هذا المبحث .

ولما انقضى المجلس ذهبوا بأجمعهم إلى حجرة الشيخ الحلبيّة . فوجدوا  
بها سماطاً ممتداً ، فأكلوا وتفرّقوا بعد ذلك .  
وكان الشيخ قبل هذا ختم تأليف « التفسير المنظوم » السابق ذكره ،  
وجعل له ختماً حافلاً عند مزار حضرة يحيى بن زكريا النبي عليه الصلاة  
والسلام . وحفّره شيخ الإسلام ، مفتي الشام . فوزي الرومي الحنفي ،  
وقاضي القضاة محمد افندي الرومي الشهير بجوي زاده الذي صار آخراً  
مفتياً بدار السلطنة قسطنطينيّة . وحضرها الصدر الأوّل كشيخ الإسلام  
الشيخ الطيّب الكبير المتدّم ذكره ، وكالشيخ أبي الفتح المالكي السابق  
ذكره . وجمال في المجلس مباحث ، منها أن الشيخ البدر قال : غلطنا  
صاحب القاموس في سبعة مواضع . فلما قال ذلك برد المجلس ، ونظر  
بعض الحاضرين الى بعض ، واستهجنوا هذا الكلام ، لارتفاع مقام  
صاحب القاموس عن مثل هذه الدعوى . ولكن لم ينطق أحد في مقابلة  
هذا الكلام بشيء . وشرع الشيخ بعد ما ادّعاه من التقليلات لصاحب  
القاموس ، حتى أتى الى آخرها . ولم يُبد أحد كلاماً . ثم أخذ يعدّها .  
فقال منها قوله : إن الجزلَ والخزَل بالجم والخاء المعجمة متساويان  
وهو غلط ، بل كل واحدٍ منهما له معنى خاص ، ووضع مستقل .  
وانقض المجلس بفوائد عظيمة وفرائد جسيمة . وكان شيخنا الطيّب  
الكبير حاضراً ، فناقشه فيما ردّ به على القاموس ، وادّعى أن الدماميني  
واقف على ذلك . فردّ الشيخ البدر ذلك وكتب له في اليوم الثاني قصيدة  
يؤكد ردّه ويقول من جملتها :

أمولى شهاب الدين يا فاضل العصر  
ويا من سما فوق السما كين والنسر  
زعمت بأن الجزل والخزَل واحد  
كما جاء في القاموس من غير ما نكر

وَأَنَّ الدَّمَامِيَّ تَلْمِيذُ رَبِّهِ وَإِحْسَانُ ظَنِّ الشُّيُوخِ مِنَ الرَّبِّ  
وَمَا بِالتَّسَاوِيِّ تَرْضَى وَلَعَلْنَا نَرُدُّ عَلَى الْقَامُوسِ رَدًّا بِالْحَصْرِ  
تَشْرَفْنَا بِشَاهِدَةِ ذَاتِهِ الشَّرِيفَةِ ، وَاسْتَقْرَأَ بَعْضُ أَوْصَافِهِ الْمَنِيْفَةَ ،  
وَكَانَ نَاحِظُهُ فِي جُمُوعِهِ ، وَعِنْدَ دُخُولِهِ وَطُلُوعِهِ . وَنَلِزَمُ دُرُوسَهُ فِي  
أَوْقَاتِهَا ، وَفَتَاوَاهُ فِي مِيقَاتِهَا . وَلاَزِمْتُ حَجْرَتَهُ الْمَعْرُوفَةَ بِالْحَلْبِيَّةِ ، فِي  
الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ أَرْوَقَةِ جَامِعِ بَنِي أُمِيَّةَ ، أَرْبَعَةَ أَعْوَامٍ كَامِلَةً . وَكُنْتُ  
أَرَى أَدَاءَ تِلْكَ الْمَلْزَمَةِ ، كَأَدَاءِ الْعِبَادَةِ الْمَفْرُوضَةِ أَوْ النَّافِلَةِ . وَذَلِكَ مِنْ  
إِبْتِدَاءِ عَامِ ثَمَانِينَ وَتِسْعِ مِئَةٍ ، إِلَى أَنْ تَوَفَّى رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى | فَتَكُونُ مَدَّةُ  
حَيَاتِهِ ثَمَانِينَ عَامًا . فَلِذَلِكَ أَحَقُّ الْأَحْفَادِ بِالْأَجْدَادِ ، وَتَلَا الْمَلَأَ بِالْبَرَكَاتِ  
وَالْأَمْدَادِ وَ | (١) مَعْنَاهُ يَنْشُدُ فِي السَّنَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا قَوْلُ زُهَيْرِ :

سَمِّمْتُ كَالْيَفِّ الْحَسَاةِ وَمَنْ يَعْشُرُ ثَمَانِينَ عَامًا (٢) لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ

وَكَانَ صَحِيحَ الْجِسْمِ وَالْحَوَاسِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ غَالِبًا يَنْشُدُ :

إِنْ الثَّمَانِينَ وَبَلَغْتُمْهَا مَا (٣) أَحْوَجْتُ سَمْعِي إِلَى تَرْجَمَانِ

لَحْتَجِبُ عَنِ النَّاسِ نَحْوَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يَخْرُجُ إِلَّا لِإِلْقَاءِ الدَّرْسِ فِي  
الْجُمُعَةِ مَرَّتَيْنِ . وَكَانَ يُفْقِي عَمْرَهُ ، لِأَنَّهُ ذَكَرَ مِنْ لَفْظِهِ أَنَّهُ أَفْقَى وَعَمْرُهُ  
خَمْسَةَ عَشْرَ عَامًا . وَكَانَتْ لَهُ الْحَشْمَةُ الْعَظِيمَةُ ، وَالدِّينُ الْمَتِينُ . وَكَانَ  
يَبْدَأُ دَرْسَهُ بِقِرَاءَةِ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى مَفْرَقًا فِي أَجْزَاءٍ مُتَعَدِّدَةٍ . وَكَانَ  
يُدْرِسُهُ كَلِمَاءَ الْجَارِيِّ بِتَرْقِيبٍ وَتَوُدَّةٍ ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ ثَقِيلَ النَّطْقِ إِلَّا عِنْدَ  
تَلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْحَمِيدِ . وَتِلْكَ كِرَامَةُ لِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ .

(١) مَا بَيْنَ الْحَطِينِ الْقَائِمِينَ سَاقَطَ مِنْ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « حَوْلًا » .

(٣) فِي الْأَصْلِ « قَدْ » .

ولحضرة الشيخ المذكور كرامات ماثورة . ومحاسن غير محصورة .  
درس بعدة مدارس بدمشق منها المقدمة والشامية الجوانية ، والتقوية .  
وكان الشيخ محمد المحصي الملقب بالحجازي أخذ عنه تدريس التقوية بتعصب  
قاضي العسكر الشهير بابن معلول السيد محمد أفندي<sup>(١)</sup> فإنه غضب على الشيخ  
لما كان قاضياً ( ١١٥ ب ) بدمشق مات له بنت فما خرج الشيخ لجنازتها .  
فأضمر ذلك في نفسه . فلما تولّى قضاء العسكر صادف وجود الحجازي  
المذكور في الروم فأراد إهانته . فولّى المدرسة المذكورة للحجازي ( على  
إعطاء الرشيد للخصيب بديعة نفسه )<sup>(٢)</sup> ، فلما ورد الخبر بذلك إلى الشام  
كادت تميد بأهلها استعظاماً لهذا الأمر ، حتى إن بعضهم ما كان يعتقد  
هذا الخبر لأنه من قبيل المستحيل عادة . فبعد نحو شهرين جاء الخبر  
بعزل ابن معلول من قضاء العسكر ، وأنّ شيخ الإسلام ، شريح العصر ،  
وفقيه الدهر ، شيخ محمد أفندي الشهير بچوي زاده صار قاضياً بالعسكر ،  
فردّ المدرسة المذكورة الى الشيخ المذكور في أول يوم توليته لقضاء العسكر ،  
لأنه كان قد روى الحديث بدمشق عن الشيخ حين كان قاضياً بها .  
والحجازي المذكور منسوب في أفواه العوام إلى بعض شيء من علوم  
النجوم . فيقال إنه أخبر ابن معلول أنه يستمر قاضياً كما هو مشروح  
في رحلة القاضي محب الدين . وهو تلميذ الشيخ البدر أيضاً .  
ولما تقررت على الشيخ البدر المدرسة صنع قصيدة يشير فيها إلى  
ما ذكرناه ، مطلعها :

أعجب لصنع إلهٍ حير الفكرَا      والعقل أدّهشَ والألبابَ قد بهرا  
وشرح فيها جميع ما صدر من أمر ابن معلول وعزله وتولية جوى زاده .

(١) انظر الباشات والفضاة ص ١٦ .

(٢) الجملة ما بين القوسين غامضة المعنى .

ولقد سمعتُ شيخنا شيخ الإسلام الشيخ اسماعيل النابلسي يعيب هذه القصيدة على الشيخ ، وذلك لأنه لا يُهجي إلا مَنْ يُمدح . والحجازي المذكور ليس أهلاً لأن يذكره الشيخ بلسانه ولا أن يوضحه في بيانه . وقد سافر الشيخ البدر صاحب هذه الترجمة إلى مصر مرتين كما شرحناه . ففي الثانية كان الشهاب الرملي يحضر درسه . فاذا أورد الشيخ شيئاً من « حاشيته » على المحقق الحلبي يقولُ الشهاب الرملي :

مَنْ هذا الذي يعترضُ على المحقق الحلبي ؟

فيقول له الشيخُ : نحن . فيقولُ الرملي : أمّا أنتم فنعيم .

وسمعتُ الشيخ البدر يقولُ : حضرتُ مرّةً في ضيافة بمصر . وكان

أهلُ المجلس يترقّبون حضور شيخ الإسلام الشمس العلقمي | في الضيافة |<sup>(١)</sup> فلم يحضر ، فكتبتُ إليه أحياناً أولها :

والله ما يجلو لنا مجلسٌ إلا إذا حلَّ به العلقمي

وسافر مرّةً الى الروم في صحبة قاضي القضاة ابن الغرفور . وصنّف

في سفره الرحلة التي سمّاها : « المطالع البدرية في المنازل الرومية »<sup>(٢)</sup> وذكر أن هذه التسمية ( ١١٦ آ ) لصاحبه افتخار الأشراف العباسية ،

بقية السلف الفخام ، العلامة السيد عبد الرحيم العباسي . وكان بينه وبين السيد مراسلات ومطارحات .

فمن ذلك أن السيد المذكور كتب إلى البدر المسطور قوله :

أرى الدهر يُسَعِفُ جُهَاًلَهُ فَأَوْفِرُ حَظّاً بِه الجاهلُ

وَأَنْظِرُ حَظّاً بِه ناقصاً أَيْسِبِنِي أَنِي الفاضلُ

(١) ساقط من ه .

(٢) اطلعتُ على قطعة من هذه الرحلة بخط البدر نفسه في جامعة برنستون .

فكتب إليه البدر المذكور الجواب بقوله :

أعبدَ الرَّحِيمَ سَلِيلَ العُلَى وَيَافَاضِلًا دُونَهُ الفَاضِلُ  
أَتَعْتَبُ دَهْرًا غَدًا مَوْقِنًا بِأَنَّكَ فِي أَهْلِ الكَامِلِ

فقلتُ : وما أحسن قوله : وَيَافَاضِلًا دُونَهُ الفَاضِلِ . يريد القاضي  
الفاضل ، لأن المناسبة بسبب أن اسم القاضي الفاضل عبد الرحيم ، والسيد  
المذكور اسمه عبد الرحيم . وبيننا السيد في غاية الحسن ، غير أنه سبق إليها  
أبو اسحاق ابراهيم الغزالي حين قال :

إِنِّي رَأَيْتُ الدَّهْرَ فِي فِعْلِهِ يَمْنَحُ حَظَّ النَّاظِرِ الفَاضِلَا  
وَمَا أَرَانِي بِالعَا رَتْبَةً كَأَنَّهُ خَسِي فَاضِلَا

لكن نظم السيد أحسن سبكاً وألطف موعظاً . وكم ترك الأول للآخر .  
وسمعتُ الشيخ صاحب الترجمة ينشد في نفسه بنفسه في معنى حديث  
شريف بلفظٍ فصيحٍ منيف :

أَمْرَانِ لَمْ يُؤْتِ امْرُؤٌ مُسَلِّمٌ مِثْلَهُمَا فِي دَارِنَا الفَانِيهِ  
مَنْ يَسِّرَ اللهُ تَعَالَى لَهُ شَهَادَةَ الإِخْلَاصِ وَالعَافِيهِ

وسمعتُه ينشدُ أيضاً في ختم كتابه الذي سماه « فتح الملق » في تحرير  
الخلاص المطلق » لأبيه ، وقال إنه مجرب للفرج :

يَا رَبِّ مَنْ كُلُّ الوُجُوهِ تَضَيَّقَتْ وَأَشْتَدَّ مِنْ كُلِّ الجِهَاتِ الخُرْجُ  
إِنْ لَمْ تَفَرِّجْهَا بِفَضْلٍ وَاسِعٍ عَنِّي وَإِلَّا مَنْ سِوَاكَ يُفَرِّجُ

وقال في يوم من دروس تفسير بمناسبة عتاب الصديق رضي الله عنه  
في حق مسطح ، حين حلف أن لا يُجري عليه ما كان له من الرزق  
( ١١٦ ب ) لما صدر منه في قصة الإفك : وقال والذي شيخ الإسلام  
محمد الرضي على لسان الوارد في واقعة اقتضته ، وقد حقق الله ذلك :

قطعتَ نفسك يا مَنْ قد سَعَى غلظاً      في قطع رزقي وحق الواحد الصمدِ  
لم ينقطع لي رزقٌ بل قطعتَ بما      هويت بالبغي في نفسٍ وفي ولدِ

وسمعه مرة يقول : نظم والذي قصيدة لطيفة على لسان الوارد وقد  
أوصى بعض الصلحاء أن يجعلها في كفه . قال : ومطلعها :

ابتداءً قد جُدتَ بالإيجاد      ثم واصلتَ نعمة الإمدادِ  
وبلطفٍ مهدتَ لي البطن حملاً      ورضيعاً في المهد أوطى مهادِ  
رَبِّياني مميّزاً بصلاحِ      في شئوني لدفعِ كلِّ فسادِ  
ومنها :

ربُّ صيرَ رضاك عني دواماً      في حياتي وبرزخي ومعادي  
ربِّ أعطيتني عطاءً كثيراً      ليس يُحصى بكثرة الأعدادِ  
أنت رقيتني لأعلى مقامِ      قد رقاہ خلاصه العبادِ  
فلك الحمدُ كله وهو أيضاً      نعمة تقتضي وجوب ازديادِ  
فإلى فضلك الجزيل التجائي      وعلى لطفك الجليل اعتمادي



وأُشِدَّ حينَ أرشدَ لوالده الرضي هذين البيتين :

أوتيت من ربي على طول المدى خيراً كثيراً فاض من سرّ المدد  
ياربُّ فاجعني جميعاً ألسناً تُشني باخلاصٍ عليك إلى الأبد  
وسمعتُه يُنشدَ لوالده هذه الأبيات ولم أستطع استملاها منه لرفعة  
مقامه ، وعزّة مرامه . فطلبتُها من ولده شيخنا شيخ الإسلام الشيخ  
شهاب الدين فأملأها عليّ وقال ليس فيها زيادة :

الله حسبي على قومٍ عليّ بَعُؤاً وبالأباطيلِ في عرضي المصونِ لَعُؤاً  
قومٌ إذا سمعوا عني الجميلَ عَمُوا عنه وصَمُوا وإلا فتَشُوا وصَغُؤاً  
وإن رأوني بضراً سرّهم ضرري وإن رأوني بخيراً أزدوا ورَغُؤاً  
ياربُّ عاملهم بالعدلِ منك وخذ حقي وحقّ بهم ما حاولوا وبَعُؤاً  
ياربُّ قد مكروا فامكروهم عَجلاً فإِنَّهم حسدوني وافتروا وبَعُؤاً  
يارب إني ضعيفٌ يا قويٌّ ومَنْ سواك يأخذهم أخذ الذين طَغُؤاً (١١٧ آ)

وبالجملة فقد تشرّفنا بالحضور في درسه سنين عديدة ، وحملنا عنه جملاً  
مفيدة . وسرنا في خدمته إلى المدرسة التقويّة ، بعد عودها إليه عقيب  
أخذها عنه في مدّةٍ قصيرةٍ جزئيّة . وجلسنا في دروسه بجامع بني أميّة ،  
وحضرتُ له ختم الكتاب المسمّى « بفتح المغلق » ، في تحرير الخلاف المطلق ،  
وهو كتاب عجيب ، ونظّمه غريب . لم يسبق إليه من أحد ، ولا روي  
عن عالم فيما مضى من المدد . وكذلك « التفسير المنظوم » الذي نظّمه على  
بحر الرجز ، فزادت أبياتُه على مئة ألف بيت ، والبتزم فيه عدم الحشو

على طوله وذلك عجيب . وقد خاض فيه علماء عصره في جواز ذلك ،  
فمنهم من منعه واستدل على أن القرآن العظيم داخل في أجزاء النظم ،  
وذلك ممنوع . قال بعض المانعين منه : يا عجبا من الشيخ ، كيف يعلم  
أن الله تعالى نزّه القرآن العظيم من الشعر ، ونزّه نبيّه ﷺ عنه ، ويجعل  
القرآن العظيم جزءاً أممه .

ومن جملة أسباب المنع فيه أن بعض الألفاظ القرآنية يدركها نوع  
تغيّر لأجل صحة النظم كزيادة ألف الإطلاق وما أشبه ذلك ، من قبيل  
الاقْتَباس حتى إنه لا يضرّ فيه التغيّر اليسير . على حدّ قول القائل :

كان الذي خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا

وذلك لأنّ الاقتباس ليس على أنّه من القرآن . وإيراد الشيخ الألفاظ  
القرآنية في نظمه على أنها منه .

ومنهم من جَوّزَهُ وقال : ليس القرآن منظوماً بل هو في النظم .  
وسمعتُ من قضاة الشام الأروام من يسأل الشيخ عن تفسيره ،  
وقال له : كيف إدخال الألفاظ القرآنية في النظم ؟ فقال له الشيخ  
مُغْضَباً : أنا ما نظمت القرآن وما غيرتُ من ألفاظه شيئاً . وإنما  
أوردته في النظم وما نظمتُه .

ولقد سمعَ بهذا التفسير المنظوم عند ابتداء وجوده العلامة المفتر  
شيخ الإسلام ، مفتي بلاد الروم وبلاد الإسلام أبو السعود الهادي صاحب  
التفسير الشهير ، الذي ليس له نظير . فأذكره في باديء الرأي غاية  
الإنكار ، إلى أن رآه فحفتُ إنكاره في الجملة .

وحاصل الأمر أنّ الناس تنفّروا عنه حتى إنه ليست له نسخة ثانية  
فيما سمعنا ، ولو كان منشوراً لتناقلته الرواة في البلاد .  
وللشيخ البدر ( ١١٧ ب ) المذكور تصانيف كثيرة ، ومصنفات غزيرة ،  
تزيد على المئة . وله النظم الكثير ، والنثر الوافر . وكان من محاسن دهره ،  
وأفراد عصره . عديم النظير . رحمه الله برحمته . وأسكنه فسيح جنّته .  
بمنه وكرمه أمين . والمحمد لله رب العالمين .

## ٩٤

مولانا شيخ الإسلام

البدر بن حامد الصفدي

هو من بيتٍ رفع الله دعائه ، وأعلى بالعلم معالنه ، لهم التقدمُ  
في حديث المكارم ؛ والترقي إلى المجد بالعلياء لا بالسلام . أدركتُ  
الشيخ بدر الدين المذكور وهو في مدينة صفد بالفتوى والفتوة مشهور ،  
وكان ابتداء اجتماعي به في صفد المحروسة في سنة ٩٧٠ تسع مئة وسبعين (١)  
وأنا في ذلك غلام في سن التمييز ، وكنت أتممتُ قراءة كتاب الله  
العزیز ، وكان نزولنا عليه ، وحلولنا لديه . وكان له ولدان أحدهما حسن  
وهو الكبير . والثاني أبو بكر وهو الصغير . فأما الكبير فإنه كان  
سالكا سبيل العسكرية ولم يرض بالطريقة العلمية ، لعدم الهداية الأزليّة ،  
والعناية الربانيّة ، وأما الصغير أبو بكر فإنه كان على صغره سالكا طريق  
الكمال ، من غير إهمال ولا إهمال . وقد صدرت بين الأخوين المذكورين  
قصة عجيبة ، وحادثة هائلة غريبة ، وهي أنّ الكبير كما ذكرنا كان  
مولعا بالسلاح ، وطالبا أن يكون مجيدا في فنّ الكفاح . فرام أن يتعلم  
الضرب بالبندقية . فقال لأخيه الصغير : يا أخي ! اغلق باب دارنا وادخل  
إلى المجلس حتى أجرب البندقية هل تترق من الباب ؟ وكان مجلسهم وراء

(١) كذا في س ، ب « ٩٧٠ » وفي « ٩٧٥ » .

الباب فأغلق الصغيرُ الباب ، وما دخل المجلس بل أمرع الدخول الى داخل البيت . وكان البيتُ طويلاً فأعجلته البندقيّةُ عن الدخول الى داخل الدار ، فما هي إلاّ أن دخلت تحت كتفه فطلعت من تحت صدره فوق حينه صريعاً . فأخبروا والده بذلك فوقع إلى الأرض ولم يستطع القيام . واستمر يبكي على ولده المذكور الى أن عمي . ورأيتُه وهو أعمى في دمشق في سنة ٩٨٠ (١) . وكان يحب ولده محبة زائدة ، حتى تحدث بعض الناس بأن أخاه على المحبة حاسده . وكان يتعمد ذلك الفعل . وليس ذلك بعجيبٍ فإنّ الأرض أرض كنعان ، وفيها صدرت قصة يوسف مع الإخوان .

وكان الشيخ بدر الدين المذكور مفتياً على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه . وكان في بعض الأوقات يتولّى القضاء ( ١١٨ آ ) على المذهب المذكور . أخبرني من لفظه أنه يحفظ « منهاج » الإمام النووي رضي الله تعالى عنه .

(١) كذا في س ، ب « ٩٨٠ » وفي هـ « أربع وثمانين » .

## حرف التاء

٩٥

تقي الدين بن شرف الدين بن يونس

الطبيب الدمشقي

ولد تقي الدين هذا بدمشق . وأبوه رئيس الأطباء بها ، فقرأ القرآن ، وقرأ على والده حصّةً قليلةً من علم الطب . وعدل عن ذلك وصار يتردد إلى الشيخ أحمد بن سليمان الصوفي السابق ذكره في حرف الهمزة . كان يزعم أنه يعرف علم الوقف وعلم الحرف . وترقى في الدعوى حتى صار يدعي معرفة جميع العلوم مع كونه كان في غاية الجهل ، غير أنه كان ذكيّ الطبع متشدّقاً في الألفاظ متقعراً في العبارات . وكان غايةً في الكذب ، ثم إنّه سكن مدّةً في المدرسة الحقمية (١) شمالي جامع جامع بني أميّة . وطلب مني وهو فيها أن يقرأ عليّ « المطول » في البلاغة بطريق الحفية ، فأبيت ذلك . وقلت له : هذا شيء لا يناله مُستَح ولا مستكبر . ووَجَدَ وحشةً من علماء دمشق بسبب أنه كتب في محضري فوق كتابة شيخنا العماد الحنفي . فعزّ ذلك على الشيخ عماد الدين . فطمس اسم نفسه ، وشتمه شتماً بليغاً . وجاء إلى بيته ليمتدّر فما وجد منه وجهاً . وصادف ذلك جفوةً من أبيه وإبعاداً من الشيخ أحمد بن سليمان .

(١) انظر النجمي ، الدارس ١ : ٤٨٩ ، وهي من مدارس الحفية .

فلزم أنه سافر الى قسطنطينية في سنة ٩٨٧ . ولما دخل اليها وجد أهلها منقسمين إلى عسكريّة وعلماء ورعايا . فما رأى له بين العلماء مسلكتاً لقلّة بضاعته ، وليس له فائدة في الرعايا ، فدخل في حواشي السلطنة . وكان ذلك في عهد السلطان مراد . وهو رحمه الله تعالى كان يميل إلى المتصوفة ويحبّ كلامهم وشطحاتهم . وربما كان يتكلّم هو بشعرٍ يتضمّن اصطلاحهم . فكان ابتداء دخوله أن رجلاً من حواشي السلطنة كان اسمه ناصف آغا ، وكان قصيراً جداً ، وكان السلطان يحبّه هذا النوع . فدخل يوماً الى سرايا السلطان فرآه ناصف المذكور . فقال له : عندنا بعض مرضى من أولاد الخزينة السلطانية ، وقد قال لنا بعض الناس ، إنّ عندكم علماً بالطب وعلماً من العلوم المتعلقة بالأسرار الإلهية .

فقال : نحن نداوي بالعقاقير المعنوية .

فقال له : هي مرادنا .

فكتب له في قنجان بعض كلمات وآيات . فكان ذلك صادف وقوع المقادير بشفاء من شفي من ذلك القنجان . فقال ناصف المذكور ( ١١٨ ب ) للمرحوم السلطان مراد : لقد صادفت لك مطلوبك . فإنّ مولانا السلطان من زمانٍ طويلٍ يطلب رجلاً من أرباب الأحوال . وقد قدم إلينا رجلٌ من رجال الشام يُقال له تقي الدين أفندي ، وقد داوى المرضى الذين عندنا بالكتابة والتعويذات . فيقال إنّ السلطان طلبه ورآه . ويُقال بل كان يُراسله . ومما زاده عند السلطان قريباً أنّ الشيخ نعمان بن الأبيحي كان عنده بعض مكاتيب ، كانت ترد إلى والده الشيخ محمد الأبيحي من المرحوم السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان فلما سافر تقي الدين إلى جانب الروم قال له نعمان المذكور : عندي مكاتيب من المرحوم السلطان سليمان ، وأنت مسافر إلى الباب العالي فاصحبها معك واعرضها على السلطان

مراد ، فإتاه إذا رأى مكاتيب جدّه الأعظم السلطان سليمان ربما ينعم عليّ بشيء من الصدقات السلطانيّة لكوني ولد ذلك العزيز الذي كان جدّه يكتبه ، فقال له : نعم وكرامة . وسيعرف ما أسعى فيه لك . فعرضها عليّ المرحوم السلطان مراد ، وقال له : هذه كانت تَرِدُ إلى أبي من جدك ، وملوكُ بني عثمان لهم اعتقاد عظيم في السلطان سليمان . فلما رأى المكاتيب بالغ في اعتقاد تقي الدين وقال : هذا رجل في نفسه عارف . ومع ذلك فهو من الداعين بالوراثة لسلسلة آل عثمان لأنّ والده كان محباً لجدي . ولم تزل حاله تترقى إلى أن صار يأنف من التواضع لقضاة العساكر . والله أعلم .



صاحبنا الشيخ تاج الدين

القطان الحموي الشافعي نزيل دمشق

ورد إلى دمشق مع عمه الحاج حسن القطان الحموي ، واشتغل الشيخ تاج الدين هذا بالعلم ، وغلب عليه علم العربية حتى صار فيه من الراسخين . ولازم المرحوم الشيخ اسماعيل النابلسي الشافعي رحمه الله تعالى . ولم يزل يقرأ عليه في علوم مختلفة حتى توفي . وحضرتُ درس الشيخ اسماعيل في الدرويشية بدمشق في « شرح » العلامة السيّد الشريف ، بقراءة الشيخ تاج الدين المذكور . وكان له والدٌ يقال له الشيخ رجب . وكان من أهل العلم على ما يُقال . وهو من بيتٍ كبير في حماة ، من جملة أقاربهم أولاد الأعوج الذين صاروا في هذا العصر حكّام حماة .

والشيخ تاج الدين المذكور صاحبنا ورفيقنا وابن مذهبنا . جالسته في القراءة على شيخنا المرحوم العماد الحنفي ، فكنتُ أقرأ « الشرح المطول » في ( ١١٩ آ ) البلاغة ، وكان يقرأ « مغني اللبيب » بحاشية الشمني . وجالسته في القراءة على المرحوم الشمس ابن المنقار . فكنتُ أقرأ « المغني بحاشية الشمني » ، وكان يقرأ بعض الكتب الكبيرة ، وقد زال من فكري وهو الآن مقيم على الاشتغال والتدريس بالجامع الأموي ، وله بقعة تدريس بالجامع الكبير الأموي ، | وعنده طلبة فاضلون نابليون يقرأون عليه بعض الظهر بالجامع الكبير الأموي | (١) . وهو الآن من أنفع الفضلاء

(١) سافط من ه ، ب .

وأمتهم . وهو من خيار الناس مشغولٌ بمُخَوِّصَةِ نفسه ، لا يشتغل غالباً إلا بما ينفعه . يأتي كل يومٍ الى الجامع الأموي ويصلي الظهر في مجلسٍ للإقراء ، إلى أن يفرغ ويذهب الى بيته في جوار المدرسة الصابونية (١) ، خارج باب النصر . وهو مُمْتَحَنٌ بأمرين عَجَبِيَّين : الأولُ أنه إذا أُتْلِفَ الحِكَّامُ من المجرمين رجلاً وأشهره فإتته يتبع ذلك الرجل ، ولا يزال تابِعاً له إلى أن يصل الى المكان الذي يُقتل فيه . فيقفُ في أقرب مكانٍ منه إلى أن يشاهدَ صورةَ قتله . ويستمرُّ واقفاً الى انتهاء الأمر . وهذه عادته دائماً . وسئل عن هذا الأمر فقال : أقصد بذلك تأديب نفسي به وزجرها بمشاهدة ذلك . والله تعالى يعلم بحقيقة ذلك .

الثاني : أنه متهاكٌّ على لعب الشطرنج في دكاكين باب الجابية يجلس في بعض الدكاكين ويلعب مع مَنْ أراد ويكشف رأسه ، ويضع العمامة إلى جانبه . ولا يزالُ إلى أن تغرب الشمس في غالب الأوقات .

## ٩٧

الشيخ تاج الدين القرعوني

خطيب جامع السقيفة خارج باب توما<sup>(١)</sup>

هو الشيخ الصالح ، الفاضل الفالح ، الذي حفظ كلام الله فحفظه ، ولحظ أقدار السعادة والسعد رَمَقَه ولحظه . حضر من القرعون<sup>(٢)</sup> إلى الشام ، فسكن في محلة باب توما داخل الباب . وطلب العلم ، وقرأ الفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وصارت له فضيلة حسنة ، وطريقة مستحسنة . ولما درست بالمدرسة الدرويشية<sup>(٣)</sup> عن المرحوم الشيخ اسماعيل النابلسي صار التاج القرعوني المذكور مُعيداً عندي أربع سنين . وكان يحضر درسي الفقهي في « شرح المنهاج » للمحقق الهلالي . وكان يقرأ عليّ « شرح الألفية » لابن مصنفها الشيخ بدر الدين بن مالك . وكنت أنشرح برؤيته ، ويدخل في قلبي السرور لمشاهدته ، ويأنس به خاطري ، وتطمئن به مرأثري . وهو يلبس العمامة الصوف المسماة بالميزر في اصطلاح أهل دمشق . وذلك لأنه كان من جماعة بعض الصوفية . وهو خطيب الجامع المسمى عند أهل دمشق بالسقيفة خارج باب توما في محلة سيدي الشيخ أرسلان قدس الله مره العزيز . وهو من إخوان بني البكري المقيمين بدمشق في محلة باب توما . وله مصاحبة كاملة لصاحبنا الشيخ عمر

(١) انظر الدارس ٤٣١/٢ .

(٢) في لبنان اليوم .

(٣) هي جامع درويش باشا نفسه .

ابن محمد القاري الآتي ذكره في حرف العين إن شاء الله تعالى . ولأهل دمشق فيه اعتقادٌ عظيم ، وحبٌ جسيم ، يمرّ بالسوق فيقومُ إليه غالبُ أهله ويقبّلون يده . وهو صافي السريرة ، مستقيمُ السيرة . يقابلُ أحبّابه بالبشاشة ، ويصادفهم بالبشاشة . وحاصل الأمر أنه حصل طرفاً صالحاً من العلم النافع ، وارتدى شعائر الشرائع ، ولازم تلاوة القرآن العظيم ، وعبادة ربه العزيز العليم . وهو منسوبٌ إلى قرية القرعون في جانب البيقاع العزيري . وهو على وزن أحمدون فالنسبة إليها القَرَعُونِي بضم العين ، والمشهور بفتح عين المنسوب وهو تحريف من العوام كما في القاموس . وهو الآن حيٌّ يرزق في دمشق ، وله أولاد صغارٌ جعل الله في حياته البركة واسعة ، في السكون والحركة . آمين آمين .

## ٩٨

### تقي الدين الزهيري

هو الشيخ التقي ، الطاهر النقي ، الصفي ابن الصفي ، والوفي ابن الوفي . كان والده الشيخ صفي الدين المذكور خادماً في كتابة سجل المحكمة العظمى بدمشق ، وهي محكمة باب الأفندي الكبير ، أعني قاضي القضاة . وكان خطه عجبياً . كنت في جنازة الصفي المذكور ، وكان المرحوم القاضي محمد سبط الرُّجَيْحِي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى سائراً معي ، وكذلك الشيخ محمد الشهير بالحجازي . فوقفنا عند باب مزار حضرة أوس بن أوس الصحابي رضي الله عنه المقابل للمدرسة الصابونية من جهة الشرق . فلما أقبلت الجنازة قال القاضي : خَطُّ المرحوم الشيخ صفي الدين هذا من القسم الثالث ، فضحك الحاضرون وغلب عليهم وصف المزح ؛ مع أن وصف ضد ذلك كان غالباً عليهم قبل ذلك فقلت له : يامولانا القاضي ! ما معنى كون خطه من القسم الثالث ؟ وما الأقسام الثلاثة ؟ فقال : القسم الأول خطُّ يقرأه الكاتب ومن عداه . والقسم الثاني خطُّ يقرأه الكاتب دون من عداه . القسم الثالث خطُّ لا يقرأه الكاتب ولا غيره . والشيخ صفي الدين من القسم الثالث . وكان كذلك . فإن خطه كان عجباً من العجائب في هذا الباب .

ونرجع إلى ترجمة ولده التقي المذكور . فنشأ طالباً للعلم ، مصاحباً للتقوى والحلم ساكناً في غالب الأوقات ، ناسكاً قد أثرت في وجهه أنوار العبادات . قرأ على علماء عصره ، وفاق أقرانه في مصره . وهو من

نسل الشيخ الزهيري المشهور ، من علماء الحنفية . غير أن تقي الدين هذا نشأ متفقاً على مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه . ودرس بالمدرسة الجوزية (١) ، وأخذ المدرسة منه (٢) رجل رومي اللسان ، أعجمي البيان ، يُقال له موسى ، زوج بنت الكوسا . وهي مشهورة قبيحة ، موجبة للفضيحة ، فاستدعى التقي المذكور من أهل البلدة أن يكتبوا محضراً في بيان أحوال موسى المذكور ، وهل هو أهل للدرس أم هو جاهل بكل مسطور ؟ فكتب العلماء فيه وأطالوا ، وجالوا في ميدان ذمّه وصالوا . وما تركوا له أديماً صحيحاً ، وشرحوا عرّضه بالفول تشريحاً . حتى إن العلامة القاضي محب الدين الحموي أنشد في ما كتب :

تصدّر للتدريس كلُّ مهوس بليد يسمي بالفقيه المدرس  
فحقّ لأهل العلم أن يتمثلوا ببيت قديمٍ شاع في كلِّ مجلس  
لقد هزلت حتى بدا من هزالها كألاها وحتى استامها كلُّ مفلس  
وكتبت في أثناء مارقت :

مدارسُ آياتٍ خلت من تلاوةٍ ومنزلٍ وحيٍّ مقفر العرصات  
وتولّى قضاء الشافعيةً بحكمة الباب عوضاً عن القاضي محمد بن جانيك  
الشافعي الشهير بالكنجي . فحمدت سيرته ، وظهرت بالصلاح سريره .  
كتب لي مهناً بمدرسة العادلية الكبرى بدمشق :

(١) أنظر الدارس ٢٩/٢ .

(٢) في الأصل « عنه » .

سلامٌ كأنفاسِ الرياضِ البواسمِ      تناقله أيدي الرياحِ النواسمِ  
وترويه عمن أرقَّ البعدُ جفنه      وأذكى جوى بين الحشا والحيازمِ  
وأسعرَ ناراً في فؤادي ألفتها      على كبدي وابت لوقع المواسمِ  
إلى من له أضحى الكمالِ سجيته      وجزاز به هامَ السها والنهائمِ  
وقلّد أبكارَ المعاني يسانه      عقودَ لآلٍ أعجزتْ كلَّ ناظمِ  
ويبدي إذا ما فاه كلَّ عجيبةٍ      يقصر عن إدراكها كلُّ فاهمِ  
وأضحى له في كلِّ عضوٍ محبةٍ      إلى أن غدت منه كضربةٍ لازمِ  
وحاز فخارَ المجدِ لآعن وراثتهٍ      على أنه نسلُ الكرامِ الجرائمِ  
هم القومُ في الهيجاءِ تلقى وليدمِ      عليه مجدُّ السيفِ دون التمامِ  
يشبّون ناراً للقرى ليلة الطوى      ويدعون حيّ المعتفي المكارمِ  
إليك أخوا الأفضالِ رحلت أئنيقى      تقطع أحواز الفلا بالمناسمِ  
تهنيك بالدرسِ العظيم الذي أتى      وبالسنّةِ الغراءِ يا ابن الأكارمِ  
فلا زلتَ في ثوبِ السعادةِ رافلاً      عزيزاً ومحفوظاً بحسن الخواتمِ  
مدى الدهر ما دام الهزارُ مغرداً      وما صدحت في الدوحِ ورقُ الحمامِ

وقد توفي إلى رحمة الله تعالى في أوائل 'جمادى الآخرة' من شهر  
سنة اثنتي عشرة بعد الألف ، وما جاوز عمره الأربعين إلاّ بقليل ، عليه  
رحمة' الملك الجليل .

٩٩

مولانا

ملاً توفيقى<sup>(١)</sup>

هو الشيخ الذي برع في العلوم وانغمس في تيسارها ، وكثرت معارفه فاشتهرت في جميع الأقاليم وأقطارها ، وأذعنت له جميع الطوائف في فضائله ، فانجلت عروس كاله على منيصة انفراده في جميع محافله . كان أولاً من بلاد كيلان ، فانتقل منها إلى بلاد إيران . وقطن بالمدينة المسماة بآمد ، وشاعت عنه في تعليم العلوم أخبار الحامد . وكانت له معارضة مع شيخنا شيخ المحققين ، وأستاذ المدققين ، العمد الحنفى السمرقندى البايسونى النعمانى الآتى ذكره إن شاء الله تعالى في حرف العين . وكان أهل النظر والخيرة يرون توفيقى المذكور ليس أدلاً لمعارضة شيخنا العمد المذكور ، لأنه ليس من أقرانه ، ولا يُعد من أشكاله وإخوانه ، لأن طبقة مولانا العمد مرتفعة المقام ، واقعة موقع الذروة من السنام . قال لى العمد المذكور : أنا لما كنت معيداً لدرس الأستاذ ملا مصلح الدين اللارى كان توفيقى المذكور معدوداً من صفار الطلبة . ولا كان في ذلك الوقت لا قصده أحد ولا طلبه . وطالت بينها المعارضة والمحاورة ، والمقاولة والمناظرة ، حتى إنها لم يكونا يجتمعان في مجلس حافل ، ولا تشرف بهما على وصف الاجتماع الحافل ، خوفاً من التنازب بالألقاب ، ( ١٣١ آ ) وإشفاقاً من أن يُفتح بينها باب من الشر لم يكن في الحساب . لكن كانت السفارة بينها غير متوقفة ، وإرسال الرسائل المؤلمة ليست بمنقطعة . حتى إن مولانا توفيقى لقب المولى العمد بقوله : هو كَيْفُ الدين . لأنه

(١) في الأصل : توفيق .



كان يتناول شيئاً من الأفيون ، لأجل مائهيل من منافعه عن أستاذ الحكماء أفلاطون . فأرسل المولى العماد إليه . وتحمل منه أولاً ثم تحمل عليه ، قائلاً : الدين ماله كيف بل له زائر وضيف ، فأنت يا توفيقى ضيفُ الدين . وذلك لأنك كنت كيلانياً وأهل كيلان في هذا الزمان زيدتون ، وهؤلاء قسم من أقسام الشيعة يَرَوْنَ الإمامة لحضرة زيد بن الحسن ، وينسبون إلى مذهبه ما ظهر من فقههم وما بطن ، فكأنه لما ترك تلك البلاد وصار ضيفاً في بلاد آمد صار ضيفاً للدين ، لأنه نزيل مذهب أهل السنة والجماعة . وشاعت بينهما مثل هذه الأقاويل بغاية الشناعة . ثم إن شيخنا العماد المذكور ترك ديار بكر وسافر إلى دمشق مع حسن باشا فاجتمعتُ به في دمشق في سنة تسع وثمانين وسنة تسعين وإحدى وتسعين إلى أوائل سنة اثنتين وتسعين ، كما سنذكر ذلك في ترجمته . واستمر ملا توفيقى مقيماً في ديار بكر ، ثم رحل إلى زيارة بلاد الروم ، وأقام بيت السعد وهو بيت الخواجا الأكرم ، والمولى الأعم ، سعد الدين أفندي معلم المرحوم السلطان مراد ، وبلغني أنه صار شيخاً لأولاده الكرام الأجداد ، وله معه نكاتٌ لطيفة ، ومحاورات ظريفة ، نقل لنا بعضها الموالى قضاة الشام ، وهي مشهورة عند الخاص والعام ، وقد خلف ولدان فاضلان ، وانتقل إلى رحمة الله تعالى .

١٠٠

بابا تاج محمد الرومي البرسوي الدار  
الدمشقي السككن

مولده ببروسا<sup>(١)</sup> . ثم إنّه قدم إلى دمشق الشام في سنة ألف وسككنها .  
وكانت له حجرةٌ بمدرسة الكلاسة<sup>(٢)</sup> بالقرب من الجامع الشريف الأموي .  
ولم يتزوج في عمره . وكان غالبُ القضاة بالشام الواردين إليها يحبونه ،  
وإلى مجالسهم العالية يقرّبونه . ويصيرُ مصاحباً لهم ، وليس له فضيلة سوى  
عمل القراويق والمقطّعات المفتخرة . وله ذوق في النوادر التركيّة ، وبالوقائع  
الغريبة في زمنه بمدينة قسطنطينيّة ، توفي في حادي عشر ( ١٢١ ب )  
ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وألف ، وصلي عليه بالجامع الأموي ،  
ودُفن بمرج الدّحدّاح رحمه الله تعالى .

أنشدني في هذا المفرد بالتركي لكفوي حسين أفندي :

فراق أهل لپك يا دايتہ طوطي قندي وصف ايلر

بلن سويلر عجيدر حال عالم بلمين سويلر<sup>(٣)</sup>

والطوطي بالفارسية هي البيغاء .

وكان يحفظُ مثل ذلك كثير ؛ وينشدُه في كلّ مجلسٍ خطير .

(١) مدينة مشهورة من مدن الأناضول

(٢) انظر الدارس ٨٩/١ « دار الحديث الفاضلية بالكلاسة »

(٣) معناه : فراق الأهل كفرق الفطيم للبن مرضعته

وحنيه كعنين البيغاء لقطع الذكر

فانهم ولل لي أليس عجيباً ألاّ بهم العالم هذه الحال

# حرف الجيم

١٠١

جمال الدين جاي

الفرُّفُوري الحنفي الدمشقي

هو جمال الدنيا والدين ، والكامل الذي تحلَّتْ به أجيادُ الفضائل  
بمقين ، وهو جمال الدين ابن عبد الرحمن ابن قاضي القضاة وليّ الدين ابن قاضي  
القضاة شهاب الدين ابن قاضي صَفَد وناظر الجيوش القاضي محمود الشهير  
بابن فرُّفُور - بضم الفائتين - على ما نقله الشيخ شمس الدين بن طولون  
الصالحى المؤرخ .

والجمال المذكور من بيت في القضاء عريق ، وفي الرئاسة العلم الفرْدُ  
على التحقيق ، وقد دَوَّن المؤرخون فضائل أسلافه في الدفاتر ، وتشرّفت  
بهم الأوائِل والأواخر .

وقد نشأ جمال الدين هذا في حجر والده مولانا المرحوم القاضي  
عبد الرحمن (١) ، واجتهد على تحصيل العلوم ، وصحبه معه إلى سفر الروم ،  
فَنَبَّغ في البيت الفرُّفُوري فريدا ، وأصبح في جميع الكمال وحيدا ، أمّا  
فَهَمُّهُ فقد كان ثاني ابن سينا ، وأما في النحو فسببونه من غير استثناء ،

(١) توفي سنة ٩٩٢ ، انظر الغزي في الكواكب ١٦٤/٣ .

وأما في الحفظ فيا قوت<sup>(١)</sup> ، وأما في لطف الحديث فكلامه لسامعه قوت ،  
وأما في الموسيقى فهو أبو نصر<sup>(٢)</sup> أو إسحاق<sup>(٣)</sup> ، وأما في مكارم  
الخلق فكان خاتماً لمكارم الأخلاق . وكان حسن الصورة في بدايته فسبحان  
الخالق ، حصل الفضائل في مبادئ عمره ، وجعل ذلك دأبه في جميع  
أمره ، وكان والده يستجلب له الكاملين من الفضلاء ، ويدعوه لمباحثة  
المفردين من النبلاء ، فمن جملة مشايخه الذين كانوا يردون إلى بابه ، وينتسبون  
إلى جنابه ، الشيخ المنسوب إلى رتبة الكمال ، العلامة الفاضل محمد ابن  
هلال ، الشهير في أيامه بكاتب السؤال . وهو من فضلاء عصره ، والمفردين  
في مصره ، وكان والده قد استصحب له الفقير كاتب الحروف ، وكنت  
أرى من أخلاقه صنوف الطاف هو بها ( ١٢٢ آ ) معروف ، وكان مريع  
الاكتساب ، يهون عليه فهم<sup>(٤)</sup> المباحث الصعاب . وكنت قاطناً بالمدرسة  
الناصرية الجوانية<sup>(٥)</sup> في دمشق الحميمة ، وهي قريبة من المنازل الفرورية .  
وكان والده في غالب الأوقات يحضرنا عند صدور الأبحاث الدقيقة .

وكان جده القاضي ولي الدين قاضي القضاة من الفرات إلى العريش ،  
كما أن جده شهاب الدين كان قاضي مصر والشام معاً يتابع الفحص من  
مهمات أهلها والتفتيش . وجمال الدين . هذا هو فيما اعتقد واسطة عقد  
البيت الفروري عند من ينتقد . وكان تارة يسلك طريق العلماء الأعلام ،  
وتارة يمشي على سنن أحكام الحكام . ثم إنه انضم إلى قاضي القضاة علي  
بن سنان<sup>(٦)</sup> لما صار قاضي القضاة بدمشق ، وصار كاتب عرضه ، ومستشاره

(١) يعني يا قوت الجوي . فقد شهّر بحفظه العجيب

(٢) أي الفارابي

(٣) يعني إسحاق الموصلي

(٤) ساقطة من هـ

(٥) مرّ التعريف بها . انظر الدارس ١/٥٩

(٦) كان قاضي دمشق سنة ٩٨٧ ، انظر ابن جعة ص ١٨

في سنته وفرضه ، ونال عنده مقاماً علياً ، ورقى لديه مكاناً سنياً ، حتى صار يُرجع إليه في الأخذ والعطاء ، ويتتبع أفعاله في الإمراع والإبطاء . ولما انعزل القاضي المذكور ، ذهب إلى الروم ، فلم يتبعه الجمال المذكور في السير معه فيما يروم ، ولما صار قاضياً ببروسة المحروسة أرسل إليه ، فورد عليه ولازمه هناك وقال له : أنا تابع لك فيما ساءك وهنأك ، ولما ذهباً إلى قسطنطينية بعد العزل من منصب بروسة وسوّست له نفسه أن يتصل بسعد الدين أفندي ، معلم السلطان مراد . وأنه ينالُ باتصاله به غاية المراد . فجفاه استأذنه لذلك ، ودعا عليه فوقع في مهاوي المهالك ، وآل به الطمع من رضوان إلى مالك ، ودعوة الاستاذ مستجابة ، وسهام غضبه لا تطيش عن مواطن الإصابة ، فمات سريعاً ، وتجرّع دمه نجيعاً ، لفساد نيته على أستاذه الأول ، الذي عليه في تعلم المهمات المعول . وذهبت كتبه وأسبابه هدراً ، ولم يلق وارثوه عنها أثراً .

ولما توجه من الشام إلى الروم كتب الي من الطريق مكتوباً يستنمبني في بعض المدارس المتعلقة به .

وبنو الفرفور لهم في نواحي صيدا أوقاف كثيرة باقية من أجدادهم . وكان يتوجه إلى الأوقاف المذكورة لتحصيل غلالها ، وجباية أموالها . فكتبت إليه في بعض الأوقات مكتوباً مرغوباً ، وأجابني عنه جواباً حسناً ، ورّقم في رسالته لفظاً مُستحسنًا . وها أنا انقل الكتاب ، وماله من الجواب . فأما ما كتبتُه إليه فهو هذا :

يا جمالَ الزمان / يُفديكِ خِل  
لم يزل من نذاك جارِ البهارِ (١٢٢) ب  
ياضياءَ العيون دُمّتَ لعينِ  
شاهدتُ منك ساطعَ الأنوارِ  
لم تزل سيدي محلُك مني  
في سوادِ الفؤادِ والأبصارِ

كُتِّمًا لِح لي جمالك أهدى لفؤادي نتائج الأسرار  
قسماً إن ذكرَ وصفك أحلى في فؤادي من ذكرِ عهدِ الديارِ  
فكأنني لما أحييك<sup>(١)</sup> روضٌ عطرته نوافح الأزهارِ  
أنا إن كنتُ فاخرًا في زمانِي فبعزوي إلى ولاك افتخاري  
إن ترد رفعتي فقل للثريا إن ذاك الفتى غدا في جوارِي  
قصر الناس أن يُجاروك لَمَّا قصبَ السبقِ جزتَ في المضمارِ  
فأبْق يا سيدي ويا نورَ عيني في سماء الكمالِ شمسَ نهارِ  
ما سرتُ نسمةُ الصبا في رياضِ فأثارتُ هوازجَ الأطيّارِ

سيدي المدخور للمهمات ، وأميري المد للمعضلات ، ما شككت قطه  
من أنك السيفُ المحلّي ، ولا استتربتُ يوماً في أن وجودك القيدح  
المعلّي . فأطابُ على صدقِ وفائِك شهادة ، أو أرومُ على تحقيقِ  
إحسانك زيادة ؟ :

وليس يصح في الأذهان شيءٌ إذا احتاجَ النهارُ إلى دليلٍ<sup>(٢)</sup>  
ما وفدتُ إليك ركائبُ أملِي ، إلا عادت مثقلةً بالنوال ،  
ولا استنمضتُك رازماتُ قواي ، إلا صادفتُك الأسدَ الرئبال ،  
لا جرّمَ أن المتصدّي لطلبِ مثلك طالبٌ للمُحال ، وأن من قاسك  
بأبناء دهرِك لا يعلم أن الخردلةَ أصغرُ من الجبال . متى قاربَ الجوهَرَ

(١) هـ « أحبيك »

(٢) البيت للمتنبي . انظر ديوانه ( طبعة الدكتور عزّام ) ص ٣٣٤ ، وفيه « في الأفيام »

العرض؟ متى قارنت الصحة المرض؟ قسماً أن لك في ضمائر الكون سرّاً  
لاحت مخائله، وأنّ الليالي أباحتك منزلاً من السعد أنت لاشك نازله .  
ألست ابن سادات الوري، الحائتين من المجد في أرفع الذرى، العاقدين تاج  
مجرهم على هام السيماك، الراقين إلى منازل البدور ومواطن الأفلاك؟ على انك  
عصامي يكفيك شرف الذات، لا عظامي يفتخر بما مضى في الأيام الخاليات .

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يَغْنِيكَ عَنْ زُحُلٍ<sup>(١)</sup>

لازلت ياسيدي جمالاً للأيام، ما دارت الشهور وكرت الأعوام .  
وما سح غمام، وصدح حمام .

فكتب إليّ الجواب . سالكاً سبيل الصواب :

( ١٢٣ آ ) ياسيدي كتبت اليك، ولو اني قدرت على أداء حقك بتمامه،  
لأتى فكري بالكواكب مكان الكلمات في نثره ونظامه . ولو أنني مكنت  
في الدهر بما أريد، لجعلت جميع الكتّاب لك في رتبة العبيد . فمئن الله  
على هذه الكلمات التي فاقت على مفردات العقود، وعناية الله لراقها الذي  
نجمه في الصعود وبخته في السعود، ولولا أمرك لي برد الجواب، لما جسرت  
على تنميق كتاب، ولا تليفق خطاب، ولكنّ الأمور معذور . يجترى  
ويأتي بحسب المقدور .

فأمّا ما ذكرته لي من المديح، فما أعتقد في نفسي مساواة ذلك،  
فضلاً عن الترجيح . وأمّا ما ذكرتم لي من الأشواق، فهي كما يشهد الله  
بعض محبة الخالص المشتاق .

سَلِّ مَا لَدَيْكَ مِنَ الْوَدِّ الَّذِي ثَبَتَا      عَنْ غَصْنِ حَبِّ بَأْتِنَاءِ الْحِشَا نَبْتَا  
وَلَا تَظَنَّ وِدَادِي شَابَهُ شِبْهَهُ      فَإِنَّ وِدِي بغيرِ الصِّدْقِ مَا نُعْتَا

فيا أخي وشقيقي ، وصاحبي ورفيقي ، أين أيامنا بمنازل الشرفيين ،  
وأين أوقاتنا بجماهد الواديين . وأين هاتيك الليالي والأيتام ، وكيف  
تعرفت عقودها وانحل منها النظام .

غابت فلم يبق لنا بعدها شي سوى أن نتمناها

فحيث ذهبت وسارت ، وغاضت مياهها وغارت ، فلا أقل من المواصلة  
بالمسكّابة والمراسلة ، فإن فيها شفاء القلب السقيم ، وبها يتمحص الهمّ المقيم :

سقى الله عهد العرب عهد<sup>(١)</sup> سحابة وردّ إلى الأوطان كلّ غريب

وبعدُ فالمكتوب ورد إلينا بالميناء ، وردّ ما غرب من السرور  
علينا ، فعرضته على من لدينا من الأمراء ، ومن حضر من الأماثل  
الكبراء . فما منهم إلا من قبّله وقبّله ، وعلى العين والرأس جملة ،  
ودعا لمنطقه بدوام السلامة ، وبلوغ العز والكرامة ، وتمنى أن لو شاهده  
بالبصر ، وعرفه بالخبر بعد الخبر ، ونرجو من خالق الخلوقات ،  
ومبدع الأرض والسموات ، أن يقضي لنا يجمع الشمل ، وشمل الجمع ،  
وأن يتسّعنا بلذة النظر كما متّعنا بلذة السمع . إنه سبحانه وليّ الإجابة ،  
وإليه الرجوع والإجابة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكانت وفاة الجمال المذكور بدار السلطنة قسطنطينية المحمية ، حماها الله  
تعالى عن طوارق البليّة ، في سنة خمس وتسعين وتسع مئة ، ودُفن هناك  
غريبا ، ولم ينل مما طلبه من ( ١٢٣ ب ) المناصب نصيبا ، بل  
ذهب ذهاب أمس الدابر ، ومضى مضى الزمن الغابر .

وله ولد موجود بدمشق الشام ، خال من الفضل لإقليلا . ولعله  
أن يدرك منه مطلباً جليلاً . والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

(١) العهد أول مطر الوسمي ( الفاموس )



## ١٠٢

مولانا الشيخ جار الله

مفتي القدس

هو الشيخ جار الله ابن المرحوم الشيخ أبي بكر<sup>(١)</sup> المتقدم ذكره في حرف الهمزة<sup>(٢)</sup> ابن شيخ الإسلام الشيخ محمد بن أبي اللطف المقدسي ، مفتي القدس الشريف يومئذ . لما مات عمه الشيخ عمر بن أبي اللطف الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وكان مفتي الحنفية بالقدس ومدرس العثمانية ، والعتارية<sup>(٣)</sup> بها تولى مكانه التدريس بالعثمانية ، والفتوى على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه . وتوجه بعد موت عمه المذكور إلى باب السلطنة بقسطنطينية فتقرر في المناصب المذكورة بأحكام سلطانية ، ولما وصل إلى بيت المقدس سلمت له الرئاسة مقاليدها ، وكانت قد رثت المكارم فأظهر للأنام تجديدها ، وأخذ عن عمه شيخ الإسلام الشيخ محمد ابن أبي اللطف الشافعي الآتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى ، وكان يحبه جداً حتى إنه تزوج ابنته .

وحكى لي ولد الشيخ محمد المذكور وهو سيدنا الشيخ كمال الدين محمد ابن أبي اللطف الآتي ذكره إن شاء الله تعالى أن والده كان قد عزم على أن يزوج ابنته المذكورة بابن أخ له آخر يقال له بياض<sup>(٣)</sup> ابن الشيخ علي . فرأت امرأة صالحة في دارهم والد الشيخ محمد وهو شيخ الإسلام الشيخ

(١) « أبو بكر » ساقط من هـ

(٢) انظر ص ٢٩٦ من الجزء الأول

(٣) بياض في جميع الأصول

محمد شمس بن أبي اللطف وهو يقول : هذه البنت لا يعطيها محمد لفلان بل يُعطيها لجار الله . وهكذا رأى هذا المنام بعينه رجل صالح ضاع عني اسمه . فلزم أنه أعطاها لجار الله كما حكم والده في الرؤيا ، وأنجحت في ذلك ، فإن ابن الشيخ علي مات سريعاً ولم ينتج ، فكان رأيه سعيداً في تزويجها بالشيخ جار الله صاحب الترجمة .

وسافر المذكور إلى مصر وقرأ بها الفقه والعربية على علماءها ، وحصلت له الإجازة بالفتوى .

ولقد اجتمعت به في الشام مرّات ، وذاكرته في بعض مسائل فوجدته فاضلاً ، متوسط الرتبة في الفضيلة ، وهو الآن واسطة عقد البيت اللطفي ومرجع غالب علماء بيت المقدس .

وله قصرٌ ( ١٢٤ آ ) في جبل الطور ، وهو في كرم كبير . وكان القصر المذكور في بادئ الأمر ديراً ، وهو من محاسن المباني .

وكثيراً ما يُرْكَبُ إليه من بيت المقدس . ويُسْتَهَمُ بالميل إلى الذكران من العالمين . وليست التهمة له بصحيحة ، ولعلّ الناقل لها من الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة والفضيحة . سلمه الله تعالى وأبقاه ، وحرسه وحماه ، آمين .

## ١٠٣

### الشيخ جلال الدين الصفوري والد الشيخ تاج الدين الصفوري السابق ذكره

هو الشيخ الصالح العالم العامل ، الولي الكامل ، الشيخ جلال الدين الصفوري الشهير بابن عبد الهادي ، العمري الشافعي .  
وُلد المذكورُ بقرية صَفْوَرِيَّة ، وورد الى دمشق الشام في ابتداء شبابه ، وقرأ العلم على مشايخ دمشق ، ومهر في الفقه ، ورجع الى قريته صَفْوَرِيَّة ، وجلس على سجادة التصوف بالمشيخة في بيتهم ، ولم يزل جالساً في زاويتهم بالقرية المذكورة ينفع الناس بالقرآن وبتعليم أمور الدين وبالفتاوى في الوقائع والمهمات . وكان يعظ الناس في الأشهر الثلاثة ، ويجلس فوق الكرسي بجامع صَفْوَرِيَّة ، ويعلم الناس المسائل الشرعية ، والمطالب الدينية وكان مع ذلك يقيم حلقة الذكر في الجمعة بعد الصلاة في الجامع الكبير . وكان على أسلوب السلف ، متقللاً من اللباس ، يلبس في الغالب الثياب القطن البيض . وكانت عمامته من الميزر الصوف على قاعدة مشايخ التصوف .  
وهو من بيت كبير ، ولهم أقاربٌ بصالحية دمشق يُقال لهم بيت الصفوري ، ومنهم مشايخُ وقضاةٌ وواعظون ، ولهم أقارب بقرية عقربا

من نواحي دمشق<sup>(١)</sup> قد استوطنوا القرية المذكورة ، وتملكوا بها أملاكاً .  
وجدتم الأعلى الشيخ عبد الهادي مدفون في تربة القصارين بحلة قبر  
عائكة ، وهو معروفٌ يُزار .

أخبرني الشيخ أحمد العمادي أن جده كان يُقيم حلقة الذكر بمقصورة  
الجامع الأموي . فلما قدم الشيخ عبد الهادي الى دمشق من قرية صفورية  
أعطاه الشيخ الصمادي موضعه بالمقصورة ، وقال له : أقم حلقة الذكر مكاني  
هنا . وصار الصمادي يقيم حلقة بشرقي المقصورة .

وأخبرني والدي الشيخ الصالح الشيخ محمد البوريني وكان من المعتقدين  
للشيخ جلال الدين المذكور صاحب الترجمة أنه سار معه ( ١٢٤ ب ) مرة الى  
كفر كنة<sup>(٢)</sup> لأجل الشفاعة عند الأمير عمر بن علاء الدين في رجل  
حبسه الأمير المذكور ، فلم يقبل شفاعته وأظهر تجبراً عظيماً . فقال الشيخ  
المذكور يا عمر ! الحجر الذي عثر فيه أخوك ناصر الدين تعثر أنت فيه .  
فتفكر الأمير المذكور وقال للشيخ اصبر يا مولانا علينا ساعة ،  
فإننا نقبل شفاعتك .

فقال له الشيخ : يا أمير ! نفذ سهم .

وسار الشيخ مُغضَباً ، فبعد أيام قُتِل الأمير المذكور كما قُتِل  
أخوه ناصر الدين ، على طبق ما ذكر الشيخ .

ولما تغيّرت الأحوال ، وتفاقت الأحوال ، في تلك البلاد ، وشاع بها  
الفساد ، جاء صنّجق الى صفد وكبس صفورية ، لأنها تابعة ، وقُتِل ابن  
أخي الشيخ المذكور هو الشيخ حُجّبي الدين ابن الشيخ محب الدين ، وجاءوا  
برأسه ووضعوه بين يدي الشيخ المذكور . ضاق صدره ، وعزم على ترك

(١) من الفتوة . انظر غوطة دمشق الأستاذ كرد علي .

(٢) انظر ياقوت ، معجم البلدان ( كفر كنة ) .

هاتيك البلاد . فسافر الى دمشق وسكن بقرية عقربا عند أولاد أخيه  
الشيخ محمد . فتوفي بها في سنة خمس وتسعين وتسع مئة ، ودفن هناك .  
وكان رحمه الله من محاسن أبناء زمانه ، ومن تشرف به جميع إخوانه  
رحمه الله رحمة واسمة ، وسقا ثراه من سحائب رحمته الهامعة .  
كتبتُ له لأمرٍ اقتضى ذلك في سنة عشر بعد الألف :

كتبتُ اليك أرجو منك عفواً      وأطلبُ منك احساناً ولطفاً  
فإنَّ تَسْمَحَ فإنت لذك أهلاً      وإنَّ تطرد فما باشرت عُففاً  
فمثلك سيدي يعفو ومثلي<sup>(١)</sup>      يباشرُ من ذنوبِ النفسِ ألفاً  
فيا ابن أبي الوفاء وذاك أصلُ      شهيرٌ في البرايا ليس يُحْفَى  
تَلَطَّفْ بالفقيرِ وكنْ عَطُوفاً      عليه بقيتَ نرجو منك عطفاً  
ألسْتُ لكم محبباً من قديمٍ      وما من شأنكم تنسون إلفاً  
وحقك يا كريمَ النفسِ يا من      دوامَ الدهرِ ليس يضمُّ كفاً  
لقد أخطأتُ حين كتبتُ عتياً      ولولا الحلمُ ما سَطَّرتُ حرفاً  
وها أنا جئتُ مُعْتَرِفاً بذنبي      ومن أضحى مُقِرّاً ليس يُحْفَى  
عرفتك بالجميل لكلِّ شخصٍ      وجئتُكَ أرتجي بالعفو عُرْفاً  
فسامح للفقيرِ وُجُدْ وعاملٍ      باطفِ منك إنَّ الذنبَ يُعْفَى

(١) « فمثلك من يعفو سيدي ومثلي » والوزن غير مستقيم .

(٢١٢٥) جلال الدين أنت وفيك خلقٌ  
يُعاملُ بالجميلِ وأنت. . . (١)  
أتيتُ لبابِ جودِكَ مستجيراً  
عسىٰ بالعفوِ ثوبِ الودِّ يُرْفَىٰ  
عزمتُ عليكِ بالأسلافِ طراً  
ووالدِكَ الذي أوفىٰ فوفىٰ  
بذاتِكَ من رقتِ فوق الثرىٰ  
تفضلُ بالسماحِ على فقيرٍ  
ولكن من زلالِ الماءِ أصفىٰ  
فنجمِ الفضلِ منكم ليس يخفىٰ  
ومصباحِ المودَّةِ ليس يُظفا  
مدى الأيامِ ما هبتُ شمالُ  
فأهدتُ من نسيمِ الروضِ عرفاً

## ١٠٤

### جلال الدين چاي

ابن الشيخ عبد الصمد التركماني العكاري الدمشقي

كان والده الشيخ أدهم ولد الشيخ عبد الصمد من المدرسين بدمشق وكان فقيهاً ، وأما جدّه الشيخ عبد الصمد فإنه ورد إلى دمشق ومعه حُكْمٌ سُلْطَانِيٌّ بأنه مُدْرَسُ التَّقْوِيَّةِ ، ومُفْقِي الحَنْفِيَّةِ . فَتَقَدَّ حُكْمُهُ قَاضِي القِضَاةِ وليّ الدين بن الفُرْفُورِ ، وصيِّره مفتياً ومدرساً بالمدرسة المذكورة . وكان فقيهاً بَحْثًا لا يعرفُ من غير الفقه مسألةً على ما قيل ، ولكنه كان صاحبَ هِمَّةٍ ، يُسَافِرُ كثيراً إلى باب السلطنة بقسطنطينية . وكانت لهم بمِكَار<sup>(١)</sup> أملاكٌ وبعضُ مواشي ( كذا ) وكان له المؤيِّدون هناك ، لأنَّ أسلافهم هناك مشايخُ . وكانوا من تركان هاتيك الولاية .

فلما مات الشيخ عبد الصمد بدمشق بعد أن طالت مدّته ، وهو يُفْقِي بها على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة ، خلفه ولده الشيخ أدهم ، فدرّس بالعادليّة الكبرى بدمشق ، وسكنوا بقاعتها . ولم تكن مادّتهم منقطعةً عن بلدتهم عِكَارَ ، بل كانت المونُ والمعيشةُ تأتي إليهم إلى دمشق من عِكَارَ دائماً . وكان الشيخ أدهم هذا صالحاً غير متكلفٍ في لبسه ومعيشته ، على أسلوب التركان .

---

(١) من توابع لبنان اليوم .

..سئل بالوزير الأعظم سنان باشا ، وصار له معلماً ، ونال منه خيراً كثيراً . وسافر معه إلى مصر ورأى منه سنان باشا بعض مكاشفاتٍ فاعتقد عليه . من ذلك ان سنان باشا المذكور كان مقيماً بمصر حاكماً بها في زمن سلطنة السلطان سليم بن سليمان ، فأمر السلطان ( ١٢٥ ب ) المذكور مصطفى باشا الذي كان مربّيه - ومربي السلطان في اصطلاح سلاطين آل عثمان يسمى لاله - أن يسيرَ الى فتح بلاد اليمن . فسار إلى مصر وقباطا في مصر وتقاعد عن السير إلى اليمن ، وكان يرجو أن تُفتمَّ له إمارةُ الأمراء بمصر إلى سردارية العساكر المعينة لليمن .

فاتفق أنه اتفق مع بعض خواصه أن يضيف سنان باشا ويضع له السم في المشروب . فدعاه فأجاب . وقال للشيخ أدهم : قم واذهب معي إلى الضيافة . فقال له : والله أنا ما أذهبُ معك ، ولكن احترزْ أنت على نفسك ، فإنني أخافُ عليك ، والقومُ عازمون على أن يضرّوك .

فلما قدّموا إليه الإناء المسمومَ في ماءٍ الشعير المحلى بالسكّر لم يتناول منه شيئاً ، ودعا بعض الأمراء الحاضرين إلى شربه . فقال له مَنْ دعاه : أما أنا فلا أشرب من هذا .

فازداد وممه . فقال رجل واقف للخدمة : إلى متى تعترمون على شرب هذا الكأس ؟ وتناولوه ليشربه . فلما وضعه بين يديه تناثر لحم فمه في الحال ، ووقع مقدّم أسنانه ، وسقط شعر لحيته . فألقى الكأس من يده . وعلم الحاضرون بالقصة ، فقام سنان باشا وهو يقرأ قوله تعالى : ﴿ ولا يحيقُ المكثّرُ السيءُ إلاّ بأهله ﴾ (١) .

(١) سورة فاطر ، ٣٥ ، الآية ٤٣ .



ونادى فرسه فركبها ، وذهب . فأثبت أن سلامته كان بتنبية الشيخ  
أدهم له بقوله : أنا لا أذهبُ معك ، ولكن أنت احترز على نفسك .  
فاعتقد ولايته لذلك .

ولما مات صار ينفع أولاده ، ويلتفت إليهم . فلما جاء إلى الحكومة  
بالشام (١) بعد الوزارة العظمى ، جعل جلالاً أئدين هذا معتمداً على ما بناه  
سنان باشا بمصر من الجامع العظيم في باب الجابية ، بالمنارة الخضراء ، والسوق  
العظيم بالقناطر العظيمة التي ليس لها بالأرض نظير . فاقتنى من ذلك أملاكاً  
كثيرةً عظيمة ، وأمواًلًا جزيلة . ولكن بنى بيتاً خلف حمام  
العقيقي (٢) بدمشق . وكان البيت المذكور حتماماً موقوفاً على أماكن  
كثيرة منها حصة موقوفة على أئمة الجامع الأموي ، فما تنها به ، ولا اطمأن  
خاطره فيه . وبنى بالصالحية بيتاً وقصراً ، وغرس بستاناً لطيفاً على نهر  
يزيد ، فابتلاه الله تعالى بمحبة غلام له مملوكٍ يُقال له مُستدام ،  
فامتحن فيه محنة عظيمة اشتهرت بين العرب والعجم ، وشاع ذكرها .  
فاتفق أن نشوة الدلال وعزة الجمال اشتهوته إلى أن طلع ليلة من  
الليالي من البيت وأخدمه نحو خمسة (١٢٦ آ) آلاف دينار من الذهب  
وركب فرساً تساوي نحو الف دينارٍ وحمل رُحماً وهو غنيٌ عنه بقده ،  
وسيفاً وهو مُستغنٍ بطرفه الأسودِ عن حيداه ، وطلع من باب دمشق  
إلى أن وصل إلى محيّم عرب أمير آل حيار الشهير ببن أبي ريشة . فسأله  
الأميرُ عن ذاته وعن سبب خروجه وقال له : أنت هاربٌ ؟ فقال له :  
نعم . أنا مملوكٌ جلالٍ چليبي ابن الشيخ عبد الصمد ، ومعني مال كثيرٌ له .  
وقال هذا بين جموعٍ من العرب والروم وغيرهم فلم يستطع العربُ أن

(١) انظر ولاية دمشق في العهد العثماني ص ٢٠ - ٢١ .

(٢) انظر كتابنا خطط دمشق ص ١١ .

يفعلوا بالملوك شيئاً ، ولا أن يأخذوا من ماله الذي معه . فبعد أيام وردَ عليه سيّده رائداً قلبه الذي استمر في محبته . فلما رآه استدناه ، وما بلغ معه من العتاب لحظة ، ولا من التأنيب لفظة . فأنشدتُ قولَ الأمير أسامةَ بنِ مُنقذٍ :

أسطو عليه وقلبي لو تمكّن من كفي غلبها غيظاً الى عنقي  
وأستعيد إذا عاتبته حنقاً وأين ذلُّ الهوى من عزة الحنقِ ؟

ورجع بالملوك له مالكاً ، وفي طريق المتجاهرين بالحب سالكا .  
أخبرني الشيخ محمد العربيّلي قال : كنتُ في صحبة جلال الدين المذكور وهو يُفتشُ على مملوكه عند هربه . فخطر لي أنه بمجرد أن يلقاه يبيعه ، وأن لا يهضم هربه بماله ولا يستطيعه . فقال لي قبل أن يلقاه ، ولكنه تحقّق أن يراه ، ويحظى بلقاه : يا شيخ محمد إن هذا المملوك قد سبكته نار التعب ، وذاق ما ذاق من خوف الحرب ، فهو بعد اليوم يصير خادماً لا نظير له ، فبالله عليك لا تجاهره بالعتاب ، ولا تضرب في وجهه بكفِّ التعنيف والعتاب ، خوفاً عليه من ضيق الخجل والحجاب .  
قال لي الشيخ محمد المذكور : فتبيّنتُ من ذلك أنه محبٌ على بعده غيرُ صبور . قال : بدليل أنه لما قابله ما قاتله ، ولا ناضله . ولا تغيّر عليه سوى وجهه بالأصفرار ، وكلامه الذي تلجلج به لسانه المهزار ، فعلمتُ أن الحب قيّده بقيدٍ ثقيل ، وأنه عنه غير مائلٍ إلى التحويل ولا التبديل :

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتاكم ونعتذرُ

قال : فعادت الروحُ الى البدن ، ورجع الساكن إلى الساكن .

ولما رجع به ثانيا ، لم يحيد به لعنان هواه عن الصباية ثانيا .  
فكان لأجل الغلام يداوم ( ١٢٦ ب ) المدام ويخلع العذار ، ولا يميل  
إلى استتار ، آفة الليل وأطراف النهار ، قسماً لقد رأيتُه في زمن الشتاء  
الواقع في سنة عشر بعد الألف وهو ماشٍ ، صحبته رجلٌ من صنّاجق  
السلطان يقال له هداية بك العجمي ابن العجمي فضل الله الخزري المقامر .  
وكلاهما تميل يتمايل سكرأ ، ولا يحيط بما يصنع خُبراً . والطينُ قد لفتهُ  
من قَرَنه إلى قَدَمِهِ ، والنبيذُ غلب عليه حتى كاد يوصله إلى عدمه ،  
والهدايةُ متقدّمٌ للضلالِ والإضلالِ ، وليس له من اسمه سوى الامم والمعنى  
يعاكسه بغير إشكال . والجلالُ وراءه يقول لمن يراه : أنا مالي ذنب ،  
إنما الذنبُ لهذا الذي أضلني بهداه . مشيراً إلى هداية ، الذي لا يليق  
باسمه سوى الغواية . وشاعت عنها هذه القِصة ، حتى ورثت القلوب أعظم  
غصّة ، وصارتُ لأهل دمشق سمرأ نحو سَمّة . ولم يذق كلٌّ منها من  
التعنيف طعم سِنّة ، حتى إنَّ حضرة أمير الأمراء محمود باشا ابن الوزير  
الأعظم القابدان الشهير بابن جمال لما كان والياً لإيالة دمشق دخل إليه هداية  
المذكور يطلبُ منه علوفةً في الجوالي كان قد لبس على تحصيلها في الباب  
العالي . فقال له : أنت أمير ، وتطلب علوفة الفقير ! ومع ذلك فقد صرت  
أميراً ولا تراعي عرضَ الأمراء ، فإنَّ سكرك ومشيك في الأزقة وأنت  
تتمايلُ لا يناسب طلبك لعلوفة الفقراء والصلحاء والعلماء . فقم واذهب !

## حرف الحاء

١٠٥

الشيخ حسن القطناني الرفاعي<sup>(١)</sup>

الشيخُ الصالحُ (٢) الذي وقع الاجماعُ على ولايته اتفاقاً ، وصدر الاتفاقُ على صلاحه إخلاصاً لا نفاقاً ، وهو من بيتٍ كبيرٍ في قرية قَطَنَّا (٣) لهم الخلفاءُ والنُقباءُ في سائر البلاد ، وتُنقل عنهم أحوالٌ عجيبةٌ موجبةٌ لغاية الاعتقاد ، وأما الشيخ حسن هذا فإني رأيتُه وليس عنده تصنُّعٌ بأمورِ الدنيا ، ولا تكلفٌ في مأكلٍ ولا في ملبسٍ ، كان يمر في أزقة دمشق كأنه من آحادِ الناس ، منفرداً في الغالب ، فترى الناس يُقبلون عليه ( ١٢٧ آ ) ويقبلون يده ، ويطلبون منه الهمة والدعاء ، وسمعتُ كثيراً من أهل دمشق يذكرون عنه كرامات كثيرة .

وأخبرني صاحبنا الشيخ محمد بن العلم المقدسي الصوفي الصالح أنه رآه في الواقعة يأمره بترك الدنيا وبالإنابة | على طريقته | (٤) ففعل ما أمر به ، وبادر إلى ترك تعلقات الدنيا .

(١) هذه الترجمة مؤخره في « ه » . وتبدأ التراجم فيها بترجمة « حسن باشا بن محمد باشا » .

(٢) م « صالح » .

(٣) قرية كبيرة هي مركز قضاء فطنا اليوم . وتبعد عن دمشق ٢٤ كيلومتراً ، في الجنوب الغربي منها .

(٤) ساقط من ه .

وكان الشيخ محمد العلمي المذكور ماشياً على طريق العلم ، وكانت له ثملقات كثيرة بالدنيا فتركها بعد رؤية المنام المذكور ، وشرع في طريقة التصوف ، بغير تكلف ، ولا تصلف . وها هو الآن من أصحاب الجمعيات الشهيرة بدمشق ، يذكر (١) بعض العلوم أيضاً لبعض الطلبة ،

وأما الشيخ حسن المذكور فإنه مات في سنة سبع وسبعين وتسع مئة . وقد نظمت تاريخاً لوفاته ، واتفق له في ذلك كرامة عجيبة . وذلك أنه لما توفي إلى رحمة الله تعالى كانت وفاته بقربة قَطَنًا من توابع وادي المعجم من نواحي دمشق ، فحضر إلينا رجلان (٢) من مریدی الشيخ وخواص جماعته ومعهم ابريق من القهوة وقالوا : نريد أن تنظموا لنا أبياتاً تتعلق بتاريخ موت الشيخ المذكور . فقلنا : نشرب القهوة وننظر ذلك على بركة الله تعالى . وبينما أنا في شرب القهوة إذ خطر لي مصراع موزون فقلت لجماعة الشيخ : قد خَطَرَ لي مصراع ، فإن كان الشيخ ولياً فإن حسابته يكون صحيحاً موافقاً لتاريخ وفاته . والمصراع هو قولي :

« مات قطب الشام واحزنا »

فشرعت أحسب في المصراع المذكور فإذا هو حساب مطابق (٣) لتاريخ وفاة الشيخ المذكور كما ذكرناه . وهذا من أعجب العجائب (٤) ، ومن أغرب الغرائب التي تحار لها الألباب ، ولما رأيت صحة حساب التاريخ على ما ذكرناه أكملت عليه نظماً فقلت :

(١) « يذاكر » .

(٢) م « رجلاً » .

(٣) « فإذا حسابه مطابق » .

(٤) « العجائب » .

في جنانِ الخلدِ قد قطننا      كاملٌ مشواهٌ في قطننا  
لم يزلْ مُذْ كان مُتَّبِعًا      سننًا اكرم به سنننا  
لم يَضِعْ فَرَضًا لخالقه      بل أقام الفرضَ والسنننا  
سَيْرُهُ في طولِ مدته      لم يزلْ مثلَ اسمه حَسَنًا  
فلذا أرختُ قَلْبِيه      مات قطبُ الشامِ واحزننا

## ١٠٦

( ١٢٧ ب ) حسن باشا بن محمد باشا

الوزير الأعظم<sup>(١)</sup>

تولّى ولاية أناتولي ، ثم تولّى أرزن الروم . وكان فرهاد باشا سرداراً على العساكر العثمانية لغزاة ولاية العجم . فاجتمع به في ولايته المذكورة ، فقال إن فرهاد باشا المذكور بنى بعض القلاع في ديار المشرق ، ورفع حساب كلفته عليها في دفتر ، وطلب من بقية الأمراء إمضاء ذلك الدفتر . فمنهم من أمضاه ، ومنهم من ردّه وما ارتضاه ، وبلغنا أن حسن باشا عرض إلى حضرة الخونكار [ بأن ]<sup>(٢)</sup> المبلغ الذي رفع حساب فرهاد باشا السردار في بناء القلاع ليس كما ذكر بل زاد على جانب السلطنة شيئاً كثيراً ، فنمي الخبر إلى فرهاد باشا بما عرضه حسن باشا ، وكان مقياً بأرزن الروم حينئذ . فأرسل إليه رعاتبه على ما بلغه عنه ، فدار بينهما كلام في أثناء المعاتبة ، أدى بها إلى قببح المخاطبة ، فقال فرهاد باشا لحسن باشا : أنت صبي خارج عن الأسلوب ، وقال له حسن باشا : أنت أسود الوجه سفلة كذوب .

فوضع فرهاد باشا يده في القوس يريد ضربه ، ووضع حسن باشا يده على قبضة خنجره قاصداً قلبه ، فدخل الحاضرون في البين ، وبادر

(١) ساقطة من « الوزير الأعظم » .

(٢) الزيادة من « ه » .

حسن باشا إلى دواعي الرحيل والبئس ، ورحل من حينه ، خوفاً من إسماع  
حينه ، لأن السردار قادرٌ على قتل من أراد من الأمراء ، وإن كان حسن  
باشا معدوداً في امارته من أقران الوزراء . ولم يزل يجوب الفيافي ، ويرد  
كل كدرٍ وصافي ، حتى ورد قسطنطينية المحمية ، على غفلةٍ من ساير البريئة ،  
فماجت لقدمه الدولة واضطربت ، وجزعت لرحيله إلى الباب نفس السردار  
وما اضطربت ، ويُقال إن حسن باشا اشترى تفتيش السردار بأحمال من  
الذهب عدّه ، ورأى ذلك له أنفع عدّه . فسار الخبر إلى السردار ،  
فقبل الأحمال خوفاً من التفتيش على سبيل الاضطرار ، وبُدّل حسن باشا  
عن ولاية ارزن الروم بالشام ، وعاد إليها طائراً لشدة الشوق والغرام ،  
فوصل إليها ثانياً ، ولعنان الإقامة نحوها ثانياً .

ومن عجيب مابلغنا أن رجلاً من الجاويشية الذين لهم قدمٌ في خدمة  
السلطنة رأى والد حسن باشا وهو المرحوم محمد باشا في النوم قبل أن  
يصل حسن باشا إلى قسطنطينية ( ١٢٨٨ آ ) عند فراره من السردار كما  
ذكرنا ، فقال له : يافلان ، اذهب إلى جميع أركان الدولة وأوصيهم  
بحسن ولدي ، وقتلهم إني أوصيهم به . فقام الرجل المذكور متعجباً ،  
ودار على أرباب الدولة وذكر لهم الواقعة فتعجبوا من واقعة حاله ،  
وحال الواقعة ، ولم يعلموا السبب في الرؤيا المذكورة ، لأنهم لا علم لهم  
بأن السردار قاتل حسن باشا وقابله ، وتناضله وتناصله ، حتى  
إن خبر الرؤيا المذكورة نُمي إلى حضرة السلطان مراد ، ولم يعلم أحد  
من ذلك بالمراد ، فما راعهم إلا قول الناس : قدِمَ حسن باشا . ولم  
يعلموا ما أراد بالقدم وما شا (١) وعلم الناس كلهم أن والده الوزير كان

(١) م ، ب « ولم يعلم بالقدم ولا شا » . اثبتنا رواية ه .



من أهل الولاية ، وأنه لم يَغْفَلْ عن ولده ولا بعد الموت بدليل ما صدر عليه من الوصاية .

ومكث حسن باشا المذكور في ولايته للشام المرة الثانية تزيد على سنتين ، ثم عُنزِلَ عنها ، ثم أعيد إليها ثالثاً . ولم يسبق لغيره من أمراء آل عثمان أن يتولى الشام ثلاث مرات .

ومن عجيب ما وقع في أيامه أن رجلاً من بوابي السلطنة العثمانية ، قد قدم إلى دمشق بأحكام سلطانية ، في أمر يتعلق بالأشقياء بني الخطاب خَدَّاهم الله تعالى . وذلك أنهم أكلوا ميراث رجل يُقال له محمود الأعرور وكان ميراثه يعود للسلطنة لعدم قريب يرثه . فحضر البوَّابُ المذكور للتفتيش على مال الرجل المذكور ، وكان امم البوَّاب محموداً ، وكان لقبه بالتركية تكري بلماز<sup>(١)</sup> يعني الذي لا يعرف ربه . فتجاوز محمود المذكور في الأمور حتى أنه سجن من العلماء الشيخ اسماعيل النابلسي المتقدم ذكره<sup>(٢)</sup> . وسجن معه الشيخ محمد الحجازي الحمصي الشافعي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى . وبالغ محمود المذموم في التعمدي الى أن ملأ قاعة بني الزَّمن بدمشق من المسجونين الأعيان بغير طريق . فكتب بعض أعيان دمشق في شأنه مكاتيب وأرسلوها الى الباب العالي . فحضرت المكاتيب الى حضرة المفتي الأعظم شيخ الاسلام الشهير بجوي زاده ، بلسنه الله في اللجنة الحسنی وزاده ، بما فعل محمود المذموم مفصلاً ، فعرضها على حضرة المرحوم السلطان مراد بواسطة الوزير سيروس باشا فخرج الحكم السلطاني على موجب الفتوى الشريفة بقتل البوَّاب محمود بعد الإثبات عليه . فورد الحكم الى دمشق وأمير الأمراء بها حسن باشا (١٢٨ ب) صاحب الترجمة وقاضي القضاة بها علي أفندي بن المرحوم قاضي العساكر سنان جلبي أفندي

(١) « تكوي بلماز » .

(٢) انظر ص ٦١ من هذا الجزء .

فأمر الباشا أرباب الحل والعقد ، والقول والرد أن يجتمعوا في الديوان بدمشق ، فاجتمعوا بأسرهم وكان قاضي القضاة أيضاً بالمجلس وأخرجوا من كان في حبس محمود الخبيث على صورتهم بالقيود والأغلال في أعناقهم ، ما عدا العالمين المذكورين فإنها كانا قد طلعا من سجنه قبيل ورود الحكم بأيام قلائل . وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً . ولما أحضر البواب محمود الى الديوان أمر الباشا بنزع كسوته السلطانية عنه ، وألبس على رأسه لامية سوداء من الشعر وأوقف في حاشية الديوان ذليلاً حقيراً وادعى عليه بعض المحبوسين من القضاة وأرباب المناصب ، وقامت عليه البينة بتحقير العلماء وازدراءهم ، وحكم عليه علي أفندي بالقتل لثبوت الردة عليه ، وخاطبه بذلك قائلاً : حكمت بإراقة دمه هدرأ . وكتب بذلك تمسك شرعي .

وكان الشيخ شرف الدين الأعرج بن يونس الحكيم من أكبر المتعصين على البواب في اثبات أسباب قتله .

وكان الاثبات المذكور في بعض أيام التشريق ، وكانت الأرجوحة مركبة على باب دار الإمارة بدمشق على قاعدة الأروام في تركيبها أيام التشريق . فأنزلوا البواب محموداً . فلما تحقق أنه مقتول لا محالة طلب المهلة إلى أن يغتسل كأنه كان جنباً فأهلوه لذلك ، فاغتسل في مسجد عيسى باشا الذي في باب دار الإمارة ، وصلّى ركعتين ، وصلبوه في خشب الأرجوحة . وكثر مرور الناس لقتله لأنه كان مبالغاً في الفجور والعناد والفساد .

ولما عزل حسن باشا عن الشام في المرة الثالثة سافر إلى الباب العالي ، وتقلبت به الأحوال ، وتقلت به الأحوال ، إلى أن صار حاكماً في بلاد الروم . واستمر هناك سنين عديدة ، ومديدة . ونسبوا إليه هناك

أموراً لا أصل لها . فورد حكم سلطاني بقتله ، فلم يُسلّمه للقتل ثم حضر بعد ذلك إلى الباب وبحث عن أصل الحكم الذي وردَ بقتله ، فوجد ليس له أصل ، وإنما هو منسوبٌ إلى صُنَّعِ بعض النساء . ولم يزل يتطلبُ التفلُّت من قسطنطينية ليمعد عن الباب العالي لأن والدة السلطان تبغضه على ما يقال : فأعطوه ولايةَ بغداد وما يليها من بلاد |عراق|<sup>(١)</sup> العرب . فذهب إليها بمسكِرٍ ( ١٢٩ آ ) جرّار ، ودخل إليها بعنوان عجيب ، وأسلوب غريب . وأظهر فيها من الحجاب ما لا يُعهد لمثله من أرباب المراتب ، حتى تكلم الناسُ عنه بما لا يليقُ ، ولم يزل بها حاكماً حتى حدثته نفسه بحفر نهر أخذه من دجلة وأجراهُ يسقي أماكن كثيرة قيل إنْ محصوها يزيد في السنة على عشرين ألف دينار ذهباً ، ولكن حدث بينه وبين العسكر العراقيّ أمورٌ اقتضتْ خَرَاقَ الحجاب ، والتعدّي إلى ما ليس بصواب . فعرضهم على الحضرة السلطانية فكأنهم أمروه بالخروج عن بغداد . فخرج منها خائفاً من شقّ العصا ، وأن يُقال فلان بعدد الطاعة قد عصا ، فأقام بالموصل أيتاماً ، لم يذق بها مناماً ، ثم نازلهم مُنازلة المحارب ، وقاتلهم مقاتلة المبعاد لا المقارب ، وجاءه الأمرُ بالانفصال ، بعد أن نهب من جماعته ما لهم من الأموال ، فتوجّه إلى ديار بكر . فبينما هو هناك وإذا بالأمر السلطانيّ المحمدي جاءه بأن يصير اصفهـنـسـلاراً على العساكر ، ويذهب لقتال الباغي الخارجي ، عبد الحلیم اليازجي . الناجم في نواحي سيواس ، هو والطايفة السكبانية . فتوقف في نواحي ديار بكر توقفاً أساء به الظن ، ولكن ظهر بعد ذلك أن التوقف ما كان إلاّ عن أصل أصيل ورأي متين ، وما ذلك إلاّ أنه انتظر اجتماع العسكر السلطاني لاسيما الطائفة الشامية ، فإن شجاعتهم مشهورة بين البرية . فلما تحقّق

(١) سائطة من هـ .

قدومهم إلى نواحي الفرات تقدم هو أيضاً واجتمع بهم في مدينة عينتاب ،  
وهناك عرّضَ العساكر كلَّها ، واستدعى الشّاميين فرأى لهم جمعاً راعه  
واسترعاه ، وفرح به حيث استدناه ، لأنهم الآن زينةُ العساكر ، وبهجةُ  
المناظر ، وأعطاهم العطايا الحسنة . وَهَبَ بِهِمُ الهِيبَاتِ المستحسنة ، وصافح  
أميرَهم وهو مولانا الوزير السيد محمد الاصفهاني الذي سيأتي ذكره في حرف  
الميم إن شاء الله تعالى .

وبلغني من شاهدهما عند التلاقي أن الوزير السيّد أهوى لتقبيل يدِ  
الوزير حسن باشا فأعجله عن تقبيله ، ونواضع معه نواضعاً ظهر عليه وهال  
به قلبه ، وتسائرا إلى أن دخل السردار حسن باشا سرادقه ، فنزل معه  
السيد المذكور . وسقى العسكرَ الشاميَ الشرابَ المعنبر اللطيف ، وأكرمهم  
كما أكرم السيد الشريف ، وسار كلٌّ إلى مكانه ، وذهب كلٌّ إلى ( ١٢٩ ب )  
إصلاح شأنه ، وزحفوا إلى جانب الخارج عبد الحلیم .

فورد الخبرُ بأنّ ابراهيم باشا الشهير بجاجي ابراهيم باشا المتقدم ذكره  
في هذا التاريخ (١) ورد بالعساكر الرومية السلطانية ، وأنه بادر بهم إلى لقاءِ  
الخارجيِّ ، الباغي عبد الحلیم اليازجي ، وأنه كسر كسرة شنيعةً ، وأنّ  
اليازجي انتصر عليه وعلى عسكره وغنمه جميعه ، فانكسرت القلوب لهذا الأمر  
واستقبح الناسُ من ابراهيم باشا مبادرته إلى لقاءِ اليازجي قبل استكمالِ العساكرِ  
المنصورة ، وارتجبت لذلك الدنيا ، وطمع في الإسلام العدو ، وماجت  
الأطراف . وطمع اليازجي في استمرار الانتصار والانتصاف ، وكان يقولُ  
لجماعته الذين لفتقهم : بقي علينا مقابلةُ هذه القافلة . ليشير بذلك إلى لقاء  
حسن باشا السردار ومن معه من العسكر الجرار ، كأنه يقيسهم على عسكر  
ابراهيم ، وكم بين السليم والسقيم ، والنادم والنديم ، والغارم والغريم . وكان

(١) انظر الجزء الأول ص ٣١٩ .

يقولُ لجماعته اكسروا هذه الشرذمة ، وبعد ذلك يذهبُ كلُّ أحدٍ إلى منصبه الذي له عيّنناه ، وإليه وجّهناه .

فلم يزل العسكر المنصورُ السلطاني يتقرّب قليلاً قليلاً ، واليازجي يقابلهم ظاناً أنه يجد إلى الظفر سبيلاً ، إلى أن التقى الجيشان ، في مكان من نواحي سيواس يقال له البُستان ، فأسندَ اليازجي إلى ذيل جبلٍ ظنّ أنه يمصمه ، وما علم أنه يكسره ويقصمه ، ووضع المدافع الكبيرة التي كان قد أخذها من عسكر الروم حين كسره مع ابراهيم باشا ، وصَفَّ رجاله وراءه بالبنادق الصغيرة ، وضربَ المدافع في وجه العسكر المنصور ، فلم تُصب أحداً ، ولم تسقِ لمؤمنٍ رداً ، ولكن سيّر عسكره وصدّموا عسكر الأكراد ، وعسكر ( أرزن الروم ) وعسكر ( وان ) ، إلى أن أرجعهم إلى موافقهم .

هذا والسردار واقفٌ ، والألويةُ تخفقُ فوق رأسه ، وأمارات النصر قد أشعلت نجوم نبراسه .

وكان الأمرُ قد سبق لعسكر الشام بأن يتوقفوا في لقاء عسكر اليازجي . وكان ذلك رأياً من السيد محمد الوزير ، وما ذاك إلا أنه قال للسردار يامولانا انْ غلبَ غير عسكر الشام كانت لهم قدرة على تداركه وتلاقيه ، وأمّا هم فإنْ غلبوا عزّ على غيرهم صدمة الخارجيّ وتلاقيه ، فالأولى أن نجعلهم لنا كميناً ، ونبقيهم لسيفِ النصرَةِ يميناً ، وكان ذلك رأياً مُستَحسناً .

فلما تراجمت العساكرُ السلطانية ، وصدمتهمُ ( ١٣٠ آ ) العساكر الخارجية ، بادر الشاميون بالتكبير ، ودمّوا عسكر اليازجي متقدّمين من غير تأخير ، فردّوهم على أعقابهم ناكسين ، ووضعوا فيهم السيفَ إلى أن عادوا في الدماء غائصين ، وأظلمت العقبان ، وطعنهم الخيصرسان ، وزارت عليهم أسود الشام ، وظهرُوا فيهم الانتقام .

وبلغني أنّ أحمد آغا كبير الطائفة الينكجيرية بدمشق الشام ألقى  
عمامته عن رأسه ونادى :

من صدّ عن زيرانها فأنا ابن قيس لا يراح

وأنشد :

أنا ابنُ جَلا وطلاّعِ الشنايا متى أضع العمامةَ تعرفوني

وتقدم بالبندق النبوي ، والسنبق السلطاني المحمّدي ، واضعاً سيفه  
المسلولَ على عاتقه ، مقدّماً على عسكر البغاة ، غيرَ مُستَمِعٍ أصوات  
بنادقه ، فما مضت لحظةٌ من النهار ، ألا وقد حصّلَ لعسكر البغاة  
صورةُ الانكسار ، فولّوا هاربين ، ومن الأبطال راهبين ، وغنّى فيهم  
السيفُ على تساقى خمره الدماءِ الحُمُر ، وقلاطمت السيوفُ البيض مع  
الرماح السمر ، وتسنّم اليازجي الذي كان قد نزل ذيله ، ولم ينظر إلاّ  
الدم وقد أجزوا عليه سيّله ، ووقف في قلّته ينظرُ الدمَ وقد بلغ القلتين ،  
وسال سيّله إلى أن بلغ الرّبوتَيْن ، ونظر إلى أبطاله والسيف يُقدّ ودّها ،  
ويعكس من أيامهم سعودّها ، ورأى أموالهم التي أخذها بالسيف ، وقد  
أمتت طعمةً للعسكر النازلِ نزولَ الضيف ، وعلم أن الليالي مالت  
عليه ، وسافت مكروهما إليه ، فولّى بعيندَ العصرِ هاربا ، وفي الحياة  
بعد أصحابه راغبا ، وقال : مَنْ نجى برأسه فقد ربح ، ولعمري لولا  
اشتغالُ العساكر بالغنيمة لما فات اليازجي ، ولا خرج إلى برّ السلامة  
الخارجي . والعجب أنّهم أطلقوا الطيرَ من القفص وبعد إطلاقه طلبوه  
من الهواء طائرا ، وتفرّقوا أيدي سبأ في الجبال وشاروا في وجوده حائرا  
واستمروا دائرين ورائه نحو شهر كامل ، فلم يجدوا من أثره - سوى قولهم :  
كان اليوم هنا ، وبالأمس في المكان الفلاني ، واليوم ذهب عنه ، وهلمّ جرا ،

إلى أن استقرَّ الأمرُ أنه في جبالِ في هاتيك<sup>(١)</sup> البراري يُقال لها جبال (جانبك) ، وسمعتُ من رآها أنها في غاية التوعر ، وأنَّ الوصولَ إلى ذُرَاهَا في نهاية التعسر . فأقصرُوا عند ذلك عن طلبه ، ( ١٣٠ ب ) وعلّموا أنه قد جدَّ في هربه ورهّبه ، واجتمعت العساكرُ على السردار في نواحي قونية ، وما ذاك إلاَّ أن السردار خاف أن يكون توجّهَ إلى جانب دار السلطنة أو ما يقرب منها ، فلما تحقّق مكانه بإخبار ثقاتٍ من المسلمين عطف السيرَ نحوه ، وسارت وراءه العساكرُ كلّتها ، إلاَّ شردمةً من عسكر الشام فلوّثهم لما ساقوا وراء اليازجي الخارجي قاربوا نواحي حلب ، وكانوا يسمعون أن السردار يشتتِي بها ، فانعطفوا عليها ، وعلّموا أنهم قربوا من أوطانهم ، فاشتاقوا إليها ، لاسيما من أثقلته الغنيمة من أثقال اليازجي وأمواله فإنه طارَ إلى الشام بغير جناح ، ورام أن يستر ما عليه من العتاب والجناح .

ولما قرب السردار من مكان اليازجي الخارجي أرسل إليه عسكراً كثيفاً ، وجمعاً منيفاً ، فظفر منهم ، وعطف متحوّلاً عنهم ، فلاحقوه في بعض الجبال فواقهم ، وكان السردار عليهم حينئذ عثمان باشا ابن المرحوم باقي بك التبريزي الأصل ، وهو من أقارب المرحوم شيخ الإسلام سعد الدين أفندي المفتي خواجه السلطان مراد . فإنه تقدم وأقدم ، إلى أن توسط هاتيك الجبال الموعرة ، والقفار المتوعرة . فبينما هو على الصباح ، والضباب قد عمَّ النواحي ، وإذا بقومٍ قد وقع بينهم وما عرّفَ عينهم ، لأن الكلّ مسلمون ، والكلّ بلسان التركية يتكلمون ، فحقتّ الحالَ فإذا هو واقعٌ بين جموع مغلولة ، وسيوف مسلولة ، فعرف

(١) هـ الى أن استقر أنه في هاتيك ... .

أَتَمَّ جَمَاعَةُ الْيَازْجِيِّ . فَقَالَ لَهُمْ : أَنَا عَثْمَانُ بَاشَا ، وَأَنَا حَاكِمُ بِلَادِ  
أَرْزَنِ الرُّومِ فَلَا تَقْتُلُونِي وَاجْمَعُونِي بِالْيَازْجِيِّ ، فَإِنَّ لِي بِهِ شَغْلًا . فَعَرَفُوهُ ،  
وَصَافُوهُ مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفُوهُ ، وَسَلَّكُوا بِهِ طَرِيقًا ضَيِّقًا بَيْنَ الْأَشْجَارِ الْمَشْتَبِكَةِ  
وَهُوَ مَاشٍ يَقُومُ وَيَقْعُدُ ، حَتَّى كَادَتْ رُوحُهُ تَخْرُجُ ، وَهُمْ يَقُولُونَ لَهُ  
وَصَلْنَا فَلَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ .

فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَى الْيَازْجِيِّ عَبْدِ الْحَلِيمِ تَلَقَّاهُ كَمَا يَتَلَقَّى الصَّغِيرُ الْكَبِيرَ وَقَالَ  
لَهُ : لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ فَإِنَّكَ عِنْدَنَا ضَيْفٌ عَزِيزٌ ، وَلَكَ مِنَّا الْخَيْرُ الْكَثِيرُ  
وَأَخَذَهُ إِلَيْهِ ، وَعَطَفَ بِالْحَنُوقِ عَلَيْهِ ، مَرُوءَةً مِنْهُ وَإِحْسَانًا ، وَإِبْقَاءً عَلَى  
الْكَبِيرِ وَامْتِنَانًا .

وَكَانَ مِنْ جَمَلَةِ نَجَاةِ عَثْمَانَ مَاشَا الْمَذْكُورِ أُمُورٌ مِنْهَا أَنَّ فِي جَمَاعَةِ الْيَازْجِيِّ  
جَمَاعَةً قَدْ خَدَمُوا عَثْمَانَ بَاشَا فِي مَاسَلَفٍ مِنَ الزَّمَانِ ، وَرَأَوْا مِنْهُ غَايَةَ  
اللُّطْفِ وَالْإِحْسَانِ ، حَتَّى أَنَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ كَانَ كَبِيرَ الْجَاوِيشِيَةِ عِنْدَهُ ،  
فَقَالَ لِلْيَازْجِيِّ يَامُولَايَ إِنَّ ( ١٣١ آ ) كُنْتُ قَبْلِي عَلَى عَثْمَانَ بَاشَا حَقِيقَةً  
فَأَعْطَانِي إِتْيَاهَ حَتَّى أَحْرَسَهُ فِي خِيَمَتِي وَأَصُونَهُ بِمَهْجَتِي ، فَقَالَ لَهُ : خُذْهُ وَإِيَّاكَ  
أَنْ يَنَالَهُ مَكْرُوهٌ ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ طَائِفَتِنَا السَّكْبَانِيَةِ يَرُومُونَ قَتْلَهُ ،  
وَيَتَرَقَّبُونَ خَتْلَهُ ، فَكُنْ مِنْهُمْ عَلَى حَدَرٍ ، وَجَانِبِ وَقْعَةِ الْفَرَرِ ،  
فَقَالَ لَهُ : يَا سَيْدِي هَذَا أَسْتَاذِي ، وَقَدْ خَدَمْتُهُ وَأَنَا أَضَعُهُ فِي دَاخِلِ عَيْنِي ،  
وَأَصُونُهُ فِي سُوَيْدَاءِ قَلْبِي ، فَتَسَلَّمْتَهُ وَأَخَذَهُ إِلَى خِيَمَتِهِ تَكَرُّمًا ، وَأَبْقَاهُ  
عِنْدَهُ مُحْتَرَمًا .

وَلَقَدْ أَخْبَرَنِي صَاحِبُنَا بِهَرَامِ آغَا الْمَقَابِلِ لِدَفَاتِرِ الْجُنْدِ بِدِمَشْقِ الشَّامِ ،  
وَقَدْ كَانَ مَعَ طَائِفَةِ الشَّامِ مَسَافِرًا فِي قِتَالِ هَذَا الْيَازْجِيِّ الْخَارِجِيِّ ، أَنَّهُ  
اجْتَمَعَ بِعَثْمَانَ بَاشَا بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ اِعْتِقَالِهِ عِنْدَ الْيَازْجِيِّ فَأَخْبَرَهُ عَنْهُ أَنَّهُ  
رَأَى مِنْهُ مَرُوءَةً عَجِيبَةً . فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى الصَّبَاحِ يَحْمِلُ



الفتور وأباريق القهوة البنية مع جماعته الحسان الوجوه الذين يأخذ  
حسنهم بمجامع القلوب ويحضر إلى الخيمة التي بها عثمان باشا المذكور ، وما  
كآفه قط الحضور إليه . وكان إذا حضر إليه سلم عليه من بعيد  
كتسليم العبيد ، وأنه كان يخاطبه مخاطبة العبد لسيدته الكبير ، وأنه  
ما كان يغسل يده بعد الطعام إلا في أباريق الفضة ، واستمر في اعتقاله  
نحو أربعين يوماً ، لكنه كان يُقامي شدة عظيمة في تنقله وتزلزه معهم  
حيث ساروا ، لأن العساكر السلطانية ما كانت تُهمِلُ التفطيش على  
أماكن اليازجي . وكان يتنقل خوفاً منهم من مكان إلى مكان ، ويلزم  
أن يأخذ معه عثمان باشا المذكور إلى حيث ذهب . فقال عثمان باشا يوماً  
لليازجي وقد أجهده السير معهم من جبل إلى جبل ، ومن وادٍ إلى  
وادٍ ، ومن أنجادٍ إلى وهادٍ : بالله عليك يا أمير ، إن كنت تقتلني  
فافعل ! فإنني قد عدمتُ البصر في هذا التنقل والتزلزل ، لاسيما فانت  
تعلم انني ما أنا معتادٌ لمثل هذه الأحوال ، ولا أنا قادرٌ على مقاساة هذه  
الأحوال ، وإن كنت تُطْلِقني فافعل !<sup>(١)</sup> فإنني أرجو الله تعالى أن ينفعك  
بي كما نفعني بك فقال اليازجي : ياسلطانم ، لا تخف ! والله ثم والله مالك  
عندي إلا السلامة ، وما نويتُ لك إلا العِزَّ والكرامة ، أفتخاف مني ؟  
ولكن في غدٍ نقطعُ الماءَ الفلاني ، وبعد مرورنا منه نطلقك إلى مأمرك .  
فلما قربوا من الماء وأرادوا قطعه رأى عثمان باشا الماءَ عظيماً ( ١٣١ ب )  
وظن أنه لا يكاد يقطعه بالدابة ، لأن الماء المذكور هو جيجان ، وهو  
ماءٌ عظيم الشأن ، فقال لليازجي : يا أمير ! إن البغل الذي أنا راكبه  
لا يقطع بي هذا الماء لكونه نحيفاً ضعيفاً ، ولكونه قصيراً إلى الغاية . فعند  
ذلك أعطاه بغلاً غيره أصفر قوياً طويلاً . فركب وتبع مواطيه أقدام  
اليازجي في الماء ونجا معه إلى ذلك الجانب .

(١) ما بين الحطين الفاتين سافط من ه .

فلما عبر معه الماء وعبر أصحابُ اليازجي أيضاً ، وكانوا عند عبور الماء نحو الف رجل غرق منهم نحو عشرين رجلاً . فعند ذلك حضر مَنْ قال لليازجي : إنَّ هنا جمعاً من الناس نحو مئتي رجل يريدون الاجتماع بك ، فهل تحب الاجتماع معهم ؟ فقال للقائل : إذهب إليهم وقتلْ لهم ليأتِ إليّ منهم نحو خمسة عشر رجلاً من أعيانهم ، وليكونوا بغير سلاح ، وعليهم الأمانُ مني إلى أن يذهبوا إلى ما منهم .

وعند ذلك أجلس عثمان باشا منفرداً تحت شجرة هناك ، وجلس متباعداً منه بحيث كان يسمع كلامه عند الإصغاء إليهم . فلما جاء إليه المقدار الذي طلبه من القوم سألهم عن مرادهم ، ومن أيّ قوم هم ؟ فقالوا له : نحن عسكر بلاد أرزن الروم ، وقد رأيناك قطعتَ الماء ، ودخلت إلى أرضنا . ونحن لانخشى منك لأنَّ معاملتك مع الناس مليحة ، وما عندك ظلم لرعاياك ، ولكنك تعلم أنه يلزم من دخولك إلى أرضنا أن تتبعك العساكر السلطانية وأنت تعلم ما يحصل لنا ولبلادنا من دخولهم إليهم ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِيَّةً ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> وقد سمعتَ ما حصل للبلاد التي دخلوها من الخراب . فإذا ذهبتَ إلى بلادٍ أخرى وتركتَ بلادنا لك منا من الرعاية ما هو كذا وكذا ، وذكروا له شيئاً من المال يحملونه إليه ، وإنَّ أبيتَ إلاّ الدخول إلى بلادنا والحلول بها كنت ضاراً لنفسك ولنا . فإنَّ عِدَّتَنَا ثمانيةُ آلاف رجل ، وكتنا يبذلُ نفسه في قتالك ، لأن دخولك إلى بلادنا موجبٌ لدمارها على كلِّ حال . فقال لهم : اقبلوني ضيفاً هذه الليلة فقط وفي غدٍ أرجعُ وأقطعُ الماءَ ثانياً ، وأعود إلى الأماكن التي كنت فيها .

(١) سورة النمل ، ٢٧ ، الآية ٣٤ .

فقبلوا منه ذلك ، وودّعه بعد أن وادعوه . ورجع إلى عثمان باشا فوجده حيث أجلسه تحت الشجرة فخلا به وقال له : سير\* ، أنا أقطع معك الماء ثانياً وأرسلك ، وأخرج له من جيبه منديلاً فيه ثلاث مئة دينار ذهباً وقال له : خذْ هذا يكونُ حقّ القهوة إلى أن تصل ( ١٣٢ ) إلى العسكر . واعتذر له عن قلّة ما أعطى بأنه منهبٌ منكوبٌ ، وأنه على جناح هزيمةٍ . فقبل منه العذر ، وراه يرتعد من البرد فاستدعى غلاماً كان معه وقال له : هات الجوخة الحمراء التي معها السمور . فأتى بها فألبسها لعثمان باشا ، واعتذر إليه . وقطع معه الماء ثانياً ، وقال له : أوصيك بأمورٍ منها : أنك لا تدخل إلى غير (١) عسكر الشام ، فإنّ كلّ عسكر ماعدا أهل الشام يقتلك ، ولو علم أنك عثمان باشا . ومنها أنك لا تُعلم أحداً بنفسك قبل وصولك إلى مأمنك . ومنها أنني أرسلُ معك [ ستة ] (٢) رجال من جماعتك الذين كانوا معك عندما وقعت عندنا فاحذر منهم فإنهم يرجعون عنك . وقال له : أنا عملتُ معك مروءةً على مقدار قدرتي فإن استطعتَ أن تفعل معي جميلاً عندما تصل إلى حضرة السلطان فافعل . فقال له عثمان باشا : ما يظهرُ لك ففعل إلا إذا وصلتُ إلى موضعٍ أقدرُ فيه على الكلام النافذ ، وإلاّ فلي العذر ما دمتُ لا أقدر . وودّعه وسار ومعه ستة أنفار منهم واحدٌ صغيرٌ أمرد ، والبقية رجالٌ . فلما قاربَ المساكرَ السلطانية رجَعَ عنه الخمسة ولم يتبعه سوى الولد الصغير الأمرد . فالتفت إليه الباشا وقال له باسمه : يا فلان أنت رفريقي ، وقد صرتَ من اليوم صديقي ، فتكون بعد ما شريكاً لي في المنصب والنعمة والدولة . والله لا أصعد إلى مكانٍ إلاّ وأنتَ معي صاعد ، ولا أقدر على سعادةٍ إلاّ ولك منها الكف والساعد .

(١) ساقطة من ب ، م .

(٢) الزيادة من ه .

فلما دخل إلى العساكر السلطانية نزل جانباً عن الطريق لأنه صدفها سائرةً مجدة ، وراء<sup>(١)</sup> اليازجي لما بلغهم أنه سار ليقطع الماء . فكان كليهما مرّاً به أحد يقول من هذا ؟ فيقول : أنا من العسكر نزلت لأريق الماء . فلم يزل على ذلك إلى أن صدف عسكر الشام وعرفهم ، مع أنه صدفهم ليلاً بسبب أنه سمعهم يتكلمون بالعربية ، وما في العسكر من يتكلم بالعربية سواهم . فعند ذلك دخل بينهم وقال لهم : تعالوا إليّ يا شباب ! فأنا عثمان باشا . فعند ذلك أمرعوا إليه وأحاطوا به وأخبروا أكبرهم به فجاءوا إليه وعرفوه حق المعرفة ، وقال لهم : إلى أين تذهبون ؟ فقالوا : نريد اليازجي . فقال لهم : إنه قطع الماء وسار . فرجعوا معه إلى أن أدركوا محطة السردار ، واجتمع به عثمان باشا فلم يجد منه إقبالاً ، وكلمه بما آلم فؤاده وقطع أكباده ، وقال له : أين صاحبك اليازجي ؟ وماذا فعل ؟ فقال له : ها هو هارب من جبل إلى جبل ( ١٣٢ ب ) ومن واد إلى واد . فقال له السردار : وحياة رأس السلطان لو دخل إلى أضيّق مكان لدخلت وراءه .

وطلع من عنده وهو يبكي لما أسمعته من الكلام المبكي . وسار من وقته ولم يجتمع بعدها بالسردار بل استخفى ولبس رداء الليل . وسار إلى مراده ينحدر كالسيل ، وأنشد :

إذا أنكرتني بلدةً أو نكرتهاً خرجتُ مع البازي عليّ سوادُ

وما ذاك إلاّ أن السردار المذكور أعطي منصبه عند اعتقاله ، وظن أنه لا يخلص من اليازجي إلا بموته وانتقاله . فلما رأى أن منصبه قد صار للسوي ، نوى على السير إلى باب السلطنة وما ثوى . وسيُدرِك ما طَلَب ، ولكلّ عبدٍ ما نوى .

(١) م ، ب « ورأى » .

ولما تحقّق السردارُ سَيْرَهُ الى الباب خافَ أن يتكلم في حقه بما لا يليق ، وخشي عواقبَ التصديق . فأرسل وراه عرضاً يسوء عرضه وقال فيه : إنَّ عثمانَ باشا قد وقع في يد اليازجي مأسوراً ، والظاهرُ أنَّ الاعتقال كان عَقْلَةً لعَقْلِهِ ، وموجباً لتغيّر إدراكه ونقله ، فلا تقبلوا مقالَه ، ولا تُصدّقوا أقواله ، رها هو الآن ماكث في الروم ، ولم نسمع بما يطلبه من السلطان وروم .

وأما السردار فإنه قد شتّى في بلدة توقات ، والعساكرُ في مواضع متفرّقات ، وأما اليازجي فقد شتّى في جوانب سمنسون ، وهي مدينةٌ على ساحل البحر الأسود ، والقومُ له مترصدون ، وبأحواله متقيّدون ورجع العسكرُ الشاميُّ إلى نواحي حلب ، ومنهم من له في حلب بيتٌ ومأوى ، وسكنٌ ومثوى . فلما أرادوا الدخولَ إلى مساكنهم ، والمتكثّر في أماكنهم ، صدّتهم العساكرُ الحلبيةُ عن الدخول ومنعهم من الوصول ، فلزم أنّهم يتوقفون للقتال ، ويتوقّعون للنزال لمنعهم من المساكن ، وطرّدهم عمّا لهم من المساكن . وأغلق أهلُ حلب الأبوابَ في وجه العسكرِ الشاميِّ ، فاستعان الشاميون بالأميرِ دندن ابن الأمير محمد الحيارى الشهير بابن أبي ريشة ، وأرسلوا استعانوا بالأمير يوسف بن سيفا التركاني أميرِ بلدة عكّار وما والاها من الاقطار .

فأما دندن فإنه ذهب بنفسه على مساعدتهم وأمدهم بخيله ورجاله ، ونزل معهم على منازلة حلب . وأما ابن سيفا فإنه أرسل إلى الشاميّين معونةً نحو الف رجل مابين فارس وراجل ، ودخلوا إلى الحارة ( ١٣٣ آ ) الخارجة عن داخل حلب ، وهي الحلة المعروفة ببيانقوسا ، واستمروا يحاصرون المدينة والأبواب مغلقة دونهم إلاّ باباً واحداً فإنهم تركوه مفتوحاً لأجل الداخل والخارج .

ولما اشتدت مضايقة أهل حلب من نزولهم على أبوابها وآل أمرهم إلى كمال القحط مع ارتفاع الأسعار إلى أن صار رطل اللحم البقر بعشرين قطعة ، أرسل أهل حلب قاضيه ومفتيه وبعض أعيانهم يطلبون من عسكر الشام العفو ويحذرونهم عواقب البغي ومصارع أهل الفساد . فبينما هم كذلك إذ قال عسكر حلب الذين داخل المدينة : الرأي أن نترك الجماعة مشغولين بمحاربة مَنْ طلع إليهم من الأعيان ونطلع نحن من باب آخر ، ونكبس الأمير دندن على حين غفلة . فلما برزوا إلى جانب دندن فرآهم فارتاب برآهم ركب ووقف مع جماعته إلى أن أقبل إليه عسكر حلب ، فناوشهم القتال ، وعرض عليهم النزال ، وأرسل إلى الشاميّين يخبرهم بأن عسكر حلب دهموه ، وأنهم استغفلوكم وقصدوه ، وصار يقاتلهم دندن مقاتلة الخنازل ، وجرتهم موهماً أنه انهزم منهم ، فتبعوه مغترين بهربه أمامهم ، وإذا بعسكر الشام قد جاؤهم كأنتهم الأسود ، وحالوا بينهم وبين المدينة ، ووضعوا فيهم السيوف حتى إنه لم يسلم منهم سوى القليل ، وأعادوا المحاصرة إلى أن دخل إلى حلب قاضي القضاة مولانا يحيى أفندي ابن المرحوم شيخ الاسلام محمد أفندي ابن قاضي العسكر سنان أفندي عليه رحمة الله تعالى ، فاستقبله بعض الشاميّين ، ودخل إلى حلب ومصرع في الصلح بين الفريقين فما تيسر إلى أن قدم حسن صوباشي الشهير بين عسكر الشام بتركان حسن من جانب السردار المذكور صاحب الترجمة ، فإذنه كان عنده في مدينة توقات . فلما قدم المذكور دخل في ما بين الفريقين بالصلح حتى كاد ينبرم على شرط أنه يمكث في حلب سردار من جانب الشاميّين بما تاتي رجل منهم ، وأن عسكر حلب تتعود إلى خدمة القلعة كما كانوا أولاً ، ومن كان له منهم بيت وعيال في حلب فليمكث فيها ، ومن ليست له ذلك

يخرج من المدينة . وفتحت الأبوابُ ودخلوها ، وأمهلوهم ثلاثة أيّام للخروج ، فلم يخرجوا بعدها فأدخلوا إليهم ثانياً حسن التركياني ، فلما رأوه كتفوه وغلّثوا يديه إلى عنقه وأرادوا قتله . فقال لهم : أنا مالي ( ١٣٣ ب ) أنا ما جئتُ إليكم إلاّ مصالِحاً لا محاربا . ومال إليه غالبُ الكبار ، فأطلقوه وشرطوا عليه أن لا يخبر جماعته بما فعلوا معه . فقبل الشرط وفارقهم وصادفَ جماعته بتمامهم داخلين إلى المدينة ، وذلك لأنهم سمعوا بما صارَ على حسن التركان بل ربما قال لهم بعضُ الناس إنهم قتلوه . فأراد إرجاعهم فلم يرجعوا ، وهجموا على العسكر الحايي وأوقعوا فيهم السيف ، فلم يَسَلَمَ منهم إلاّ القليل ، وهم الآن منازلون حلب ، وفي حلب رجلٌ مُفْتٍ يُقال له الشيخ أبو الجود البتروني كان قد أفتى بجواز ضرب الشاميين بالمدافع الكبيرة من قلعة حلب ، وذلك لأنهم صائلون على المدينة . فطلب الشاميون المفتي المذكور لأجل ما أفتى من جواز ضرب المدافع . فطلع إلى قلعة حلب خائفاً يترقب . وهو الآن بقلعة حلب خائفاً أن يهجم عليه أهلُ الشام .

وبالجملة فالذي صدر من النهب والغارة والقتل والحرب في حلب ونواحيها لم يُفعل في مدينة قط ، لاسيما من عسكر السلطان المؤمنين الموحدن الذين يدعون كمال الإطاعة للسلطان بنصرة الله تعالى .

وفي هذا التاريخ وهو يوم الجمعة ثاني عشر شوال من سنة عشر بعد الألف ورد الخبرُ إلى دمشق بأن المحاصرة باقية ، وأن الشاميين دخلوا المدينة ، وصدر من بعض الأتباع نهبٌ وغارةٌ لبعض الحلات الخارجة . وفي قصد عسكر الشام أن يجازوا الأمير دندن الحيارى على مساعدته لهم بإدخاله إلى مدينة سلمية قهراً على عمته الأمير أحمد الحيارى ، وفي قصدهم أن يجازوا ابن سيفاً على مساعدته لهم أيضاً بأن يذهبوا إلى مدينة

بعلبك وأن يسموها لجماعته ، لأن أمير بعلبك الأمير موسى بن الحرفوش عدو ابن سيف ، وقتل أخاه المرحوم الأمير علي كما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى ، وكل ذلك بغير أمر السلطان وإنما هم قوم استحسنا العيصان ، ولم يُبالوا بغضب الرحمن ، والعقاب من الملك الديان ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والقائم بأعباء أمورهم شاب يقال له كنعان ، جركسي الصنف ، كان ملوكاً لقاضٍ يقال له شيخي چلي ، ورجل آخر يُقال له خداوردي صوباشي . ولقد كان في مبدأ أمره من أسقاط الناس .

وقد عرض السردار المذكور ( ١٣٤ آ ) لحضرة السلطان محمد نصره الله تعالى بأنه لا يريد عسكر الشام في محاربة اليازجي وإنما نهاية أمرهم أن يسافروا إلى سفر النصراري في بلاد الروم ، وانهى إلى السلطان أنهم خائفون ، وأنهم لو كانوا مستقيمين لما فات اليازجي . ولعمري لو صدر منهم السهي الصادق والإعراض عن النهب لما فات . ولكن الأمر إلى الله جلّ وعلا . وأمّا عثمان باشا فإنه قد استمرّ بقطع الأنجاد والأغوار ، يسير الليل والنهار ، حتى وصل إلى باب السلطنة العالية بقسطنطينية المحروسة ، واختفى عند قدومه إلى أن طلبه مولانا السلطان محمد نصره الله تعالى ، وسأله عن اليازجي فقال : يا مولانا السلطان ! أما اليازجي فإنه أقسم عليّ بأنني إذا وقفت في أعتابكم أقول يا مولانا يطلب أن يُعطى منصباً في ولاية الروم ، ويتكفل بجهاد الكافرين على ما يجب ويروم ، ويسلك بعد ذلك طريق الطاعة ، بحسب الاستطاعة . ويعطى أخوه حسن صنّجق جروم في بلاد سيواس . هذا ما قاله لي وحلفتني يمينا مغلظة على أن أقوله في الأعتاب العلية . وأمّا ما أعلمه أنا من أحواله فإنه خائن أول النهار وآخره ، وأنه ما يقصد بما ذكره من الطلب إلا أن يرفع عنه السردار ، ويعود إلى العيصان بهاتيك الديار .



فعند ذلك صدّق مولانا السلطان كلامه ، وبلغ السردار من الإكرام  
مرامه ، وأرسل إليه من خواصه المقربين رجلاً يقال له قيطاس كدخدا ،  
وأرسل معه من جانب السلطنة تجملات واستعملات ورسالة بخط يد السلطان  
وهذا من أعظم أنواع الإكرام ، في اصطلاح بني عثمان ، وما هو الآن  
منتظر خروج الثلج وما يتبع من البرد والطين ، ويهجم على اليازجي بالعساكر  
النصورة . والأعلام المنشورة ، والعساكر محيطة بالخارجي من جميع  
جوانبه ، إحاطة السوار بالمعصم ، والجيش بالمغنم ، ولعله لا يفلت منهم  
أبدأ بعون الله تعالى هذا .

ولقد كان شيخنا المرحوم العماد الحنفي السمرقندي البایسوني الآتي  
ذكره في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ملازماً للوزير حسن باشا صاحب  
الترجمة . وقدم معه الى دمشق عند قدومه في المرة الثانية والثالثة . ولما  
اتصل الفقير بالمولي عماد الدين ( ١٣٤ ب ) المذكور لزم التعرف بالوزير  
المذكور فتعرفنا به ، ورأينا إحسانه . ولقد كنت عند العماد المذكور  
في حجرته بدار الإمارة بدمشق ليلاً ، وكان في صحبتنا الحسين الحافظ  
والحسين المذهب الشيرازي الآتي ذكرهما إن شاء الله تعالى . فورد الرسول  
من جانب الوزير المذكور ليلاً للمولى العماد بأنه يحضر الى مجلسه فاعتذر  
بوجودنا عنده فرجع الرسول اليه بأن يحضر مع الأصحاب كلتهم فقام  
وقمنا معه إلى مجلس لا يكون الا لكبار السلاطين . رأينا به بعض  
أكبر الدولة ، ورأينا شموعاً كأن كل واحدة منها رمح في رأسه  
سنان ، ورأينا خدماً كأن كل واحد منهم بدر كامل من غير نقصان ،  
ورأيناه جالساً في صدر مجلسه منفرداً في فرشة عالية ، فوق مكان قد  
ارتفع بالدفوف . ورأينا في الموضع بمالك حسانا ، يضربون بالآلات الطرب :  
منهم جنكبي ، ومنهم عودي ، ومنهم من يضرب بالقصب ، ومنهم

واحدٌ يضرب على زبادي الصين ضرباً موافقاً لحركات بقية الآلات ، ولم تَرَ في مجلسه من الأواني إلا الذهب والفضة . الى أن جاءت الأثرية السُكَّرِيَّة في أواني الذهب والفضة ، وجاءوا بصينيَّة من الذهب كبيرة أخبرني مَنْ أثقُ به أنها من عشرة آلاف دينار ذهباً ووضعوها في وسط المجلس أمامه . فأكل من الحلويات ، وشرب من المشروبات ، ولم يتقدّم أحدٌ من الجماعة ليأكل معه . وإنما هو كان يرسلُ من الأثرية للجالسين فيتناولون من غير قيامٍ أحدٍ من مجلسه . ولما انقضى مجلسُ المشروبات السُكَّرِيَّة جاء رجلٌ شيخٌ أَمْرُ اللون ، أبيضُ اللحية يقال له ملاصوتي ، ووضعوا له كرسيّاً صغيراً جلس فوقه ، وفي يده كتابٌ من نظم الفرس يتعلّق بأحوال السلاطين الماضية ويذكر قصصهم وما يتعلّق بوقائعهم . فكان يقرأ النظمَ المذكورَ بصوتٍ حسن ، ويُفَسِّرُ معناه بالتركيَّة . ولعمري إنَّ هذا الرجل من محاسن الدنيا . ولما أتمَّ الرجلُ المذكورُ قراءته قام ، ورفعوا الكرسي . فكان كلُّ أحدٍ يقومُ ويُسَلِّمُ ويخرجُ من المجلس وقام المولى العمادُ وقنما معه بعد مصاحبةٍ يسيرة صدرت مع الوزير المذكور . فإنه سألَ الفقير عن حاله ، واستفسر عن مجمل أحواله ، وأحسن ( ١٣٥ آ ) إلينا في اليوم الثاني على يد العماد بإحسانٍ وافر .

ولما صار مردار العساكر لحرب الخارجي اليازجي كما شرحناه أردتُ أن أكتبَ له مكتوباً ، ثم عدلتُ وقلت لعله نسيتني ، فإنَّ متعلقاته كثيرة ، وأحواله تُنسي الرجل نفسه ، لاشتغاله بأحوال العساكر المنصورة . فكان على خلاف ما ظننت ، فإنه أرسل لي مكتوباً مع العسكر الشامي عند رجوعه إلى دمشق ، وذكر في المكتوب المذكور باجتماعنا به في دمشق ، وطلب الدعاء منا ومن الجاورين بدمشق من العلماء والصلحاء .

وكتب في موضع الامم : الفقير حسن مر عسكر . ومر عسكر معناه رأس العساكر . وها هو الآن مقيم في مقابلة الموضع الذي استقرت به اليازجي ، وعازم على أن يصدمه بالعساكر المظفرة في ابتداء الربيع . أسأل الله تعالى أن يؤيده وينصره ، وينجده ويظفره بمونه وعنايته ، ولطفه وحمايته ، إنه أكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين ، والمحمد لله رب العالمين .

ثم إنّه قد ثبت عندنا بدمشق أن حسن باشا المذكور صاحب هذه الترجمة قتل في قلعة توقات بضرب البنادق في أوائل سنة إحدى عشرة بعد الألف . واختلفوا في قاتله . فقيل إن السلطان أرسل إليه من قتله فما تيسر إلا بالبندق ، وقيل إن حسن بك أخا اليازجي رصده وقتله بها والله تعالى أعلم .

## ١٠٧

السيد حسن المجذوب المكاشف

القاطن بالسفح من جبل قاسيون<sup>(١)</sup>

قد صار يوم الاثنين رابع عشر صفر سنة ثمان عشرة وألف غريبة<sup>٢</sup> وهي أن الزمان كان ربيعاً بل لم يبق ذلك الأوان من فصل الربيع الا القليل . فجاء بعد العصر من اليوم المذكور رعدٌ وظلمةٌ في الوجود ، وتبع ذلك مطرٌ عظيمٌ وبرَدٌ كبيرٌ ودام ذلك حتى وقت الغروب . فأما دمشق فإن الماء زاد فيها ، وسال السيلُ في كلِّ زقاقٍ حتى قطع الطريق ، لكنه لم يؤذِ في نفس المدينة . وأما الصالحية فإنه فعل فيها ما لم نسمعه قبلها . وذلك أنه نزل من الجبل ثلاثة أنهر ، فكلَّ نهرٍ مرّ من ناحية ، فهلك من ذلك أكثرُ من مئة نفس ما بين رجلٍ وامرأة وصبيٍّ وصبيّةٍ ، وخرّبتُ بيوتاً كثيرةً ، وأتلفت أرزاقاً جليلةً ، ومن جملة من مات ( ١٣٥ ب ) تحت ردم السيل المذكور صاحب هذه الترجمة ، وصورة ذلك أن السيد المذكور كان من بلاد نابلس ، وقيل إنه من قرية زيتا . فقدم الى دمشق وجاور بالجامع الأموي عند رواق اليانبة ، وكان يكثر الكلام في الجامع بالصوت العالي ، ثم إنه خرج من الجامع الأموي وجلس في جامع يلبغا ، وجعله مقرّاً جلوسه ، فاتفق أن رجلاً مولوياً قتلَ هرّةً في الجامع المذكور ، ثم نام . فقام اليه السيد حسن المذكور وألقى فوق رأسه صخرةً عظيمةً فقتله ، فأخذوه الى الحاكم ، فراه غير

(١) هذه الترجمة ساقطة من .

منتظم الكلام ، فقال : هذا ليس له عقلٌ فلا يكون مكلفاً وأطلقه .  
فراح من مجلس القاضي الى بستانٍ من بساتين النيرب ، وجلس فيه مجاوراً له  
نحو خمس سنين لا يفارق البستان في الفصول الأربعة ، حتى إن الثلج  
كان ينزل عليه يطمه ويعمه وهو جالسٌ لا يبرح . فبعد ذلك حضر من  
الروم رجلٌ من الجنديقال له حسين فجاور في مغارةٍ في جبل قاسيون ،  
واجتمع بالسيد حسن المذكور فجذبه الى الصالحية ، وجاورا في المغارة  
الكائنة في باب الريح في جبل قاسيون ، وتردد الناس اليهما كثيراً . وكان  
حسن مجذوباً يتكلم بالكلام الكثير عند زيارة الزائر فيأخذ كل واحد  
من كلامه حصّةً لنفسه تناسب مقصده . فاشتهر بالمكاشفة . ووقع أهل  
دمشق عليه لاسيما النساء ، فإنهن كن يترددن إليه تردداً كثيراً .  
وقد كان يجتمع عنده منهن في الوقت الواحد ما يزيد على مئة امرأة ،  
وكان على ما قيل يقبلهن ، هكذا نقل لي بعض من شاهدته . وكان  
حسين الرومي عاقلاً يعرف الكلام ويفهم المرام . وكان من العجايب  
في كونه قيّد السيد حسن المذكور في مكان واحد ، وكان يطعمه ويسقيه ،  
وينومه ويفطّيه ، والحال أن السيد المذكور كان مجذوباً مستغرقاً .  
والحاصل أنها استمرت في المغارة مدةً ، ثم إن حسيناً تزوج بامرأةٍ من  
نساء الصالحية ، ونزلا من المغارة الى بيت المرأة المذكورة . وكان بيتها  
في الجبل ، وكان الناس أيضاً يقصدونه في بيت المرأة المذكورة ويزورونه  
ويهدون إليه الهدايا الجميلة وكان حسين يطبخ الطعام ويطعم السيد حسناً .  
والحاصل أنه كان لحسن بمنزلة الشجرة المثمرة كثراً هزها ينزل ثمرها ،  
( ١٣٦ آ ) واستمر على ذلك كذلك سنين عديدة ، إلى أن نزل السيل  
المذكور ، فجاء حسين الى السيد حسن وقال له : قم من هذا البيت  
فإن السيل قد هجم علينا ونحاف منه . فلم يلتفت السيد الى كلامه ،  
ولا نظر الى تحقيق مرامه ، فقال له حسين : وحيث لم تذهب أنت

فأنا معك ، لا أفارقك لحظة واحدة . فجلس ، فجاء السيل فمات منه الحسن والحسين .

فأما السيد حسن فإنّ البيت الذي كان فيه وقع عليه فقتله . وأما الشيخ حسين فإنّ الماء طغى على المكان الذي هو فيه فغرقه وخنقه ، ووجدوه مستنداً إلى مدخنة كانت هناك ويده الشمال على فمه وأنفه ، ووجدوا إصبعه السبابة فائمةً إشارة إلى أنه شهد الله بالوحدانية عند فراغ أجله .

وطلع الناس من مدينة دمشق وحضروا جنازة الرجلين المذكورين . وكان في دمشق رجل مصريّ يوصف بالصلاح ، فطلع يوماً إلى قاسميون وقصد زيارة الرجلين المذكورين ، فرأى السيد المذكور على ما نقله وتقلده المصري يقبل بعض النساء . فنزل المصريّ إلى دمشق وحمل سيفاً له وطلع إلى الجبل ، فلما قرب إلى السيد حسن المذكور بادر إلى ضربه بالسيف . فضربه نحو أربع ضربات غالبها في عنقه وفي كتفه . وحال الناس بينه وبينه . فقام السيد حسن والدم يقطر من جميع جهاته . وكان يقول : ما أكثر هذا الدم ! من أين ينزل هذا الدم ؟ وكان يسكب الماء على جروحه والدم يفيض . فلم يزل على ذلك إلى أن أحضروا له رجلاً يداويه ، فداواه وصحّ جسده ولم تبق به علة أبداً بعون الله تعالى ، وكان ذلك دليلاً على كمال ولايته .

وأما المصري الذي ضربه فإنه حبس في البيمارستان ، فلما صحّ السيد أطلق المصريّ وذهب لشأنه ، وكان المصري يقول : أنا ما عملت ما عملته إلاّ بإجازة رجال الوادي ، وكان المصريّ كثيراً ما يشتغل بالأوراد وقراءة القرآن ، وصار موتها في يوم الاثنين المذكور ، رحمها الله تعالى آمين والحمد لله رب العالمين .

## ١٠٨

الحسين الحافظ التبريزي

الشهير بابن الكربلائي نزيل دمشق

ورد المذكور الى دمشق في حدود سنة ثمان وثمانين وتسع مئة حاجاً (١٣٦ ب) ، فمكث بدمشق نحو شهرين في الذهب والإياب ، فقال قلبه إليها ، ووراني بالجامع الأموي جالساً أُملي بعضَ دروسِ فقيهة وغيرِ فقهية ، فجلس عندي ، وسألني عن بعض مسائلٍ تتعلق بالحج وبالزكاة ، وبغير ذلك . ثم قضى مناسكَ حجته ورجع الى تبريز . ولم يكن همّه عند الرجوع إلاّ أن يتهيأً للارتحال الى دمشق ليسكن بها لما رأى من محاسنها . وقدم الى دمشق وقطن بمحلة القيمرية ، عند المرحوم ملاآغا الآتي ذكره ان شاء الله تعالى ، فأعطاه المذكورُ حجرةً في بيته بالمحلة المذكورة ، ومكث بها نازلاً بها ، مُلقياً عصا الإقامة ، فبعد مدةٍ وردتْ إليه زوجته من تبريز مع ولده الصغير أحمد ، وبعد مدة ورد إليه ولده الكبير محمد . فمكث مع أولاده وزوجته بدمشق ، وحصل بعض علوفات من مال السلطنة . فمات ولده أحمد أولاً ، ثم مات هو بعده في شعبان من سنة سبع وتسعين وتسع مئة ، ثم تبعه ولده الكبير محمد . ودفنوا في مرج الدحداح تحت الجوزة التي هي على باب مرقد شيخ الاسلام أبي شامة رضي الله عنه ، عند ابتداء الدخول الى التربة المذكورة ، وقبورهم ثلاثة بحجرةٍ مسطحة على صفٍ واحدٍ : الوالدُ في الوسط ، وولده الكبير

محمد شماليه ، وولده الصغير أحمد قبلية ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة ،  
وأمطر على قبره سحائب رحمته الهامعة .

كان في مدة إقامته بدمشق ملازماً على الكتابة وتحصيل الكمال ،  
وكان صاحبي وصديقي ، وأنيسي ورفيقي ، وكان له من أوصاف الكمال  
ما لا يحصى ، ومن الألفاظ بأصحابه ما لا يستقصى ، كما قلت فيه :

محاسنُ مولانا الحسين كثيرةٌ يُتَصَرَّعُ عنها وصفُ كلِّ مقالٍ  
ففي الشعر ما وزن الهلالي وزنه وفي الخطِّ قد أربى على ابن هلالٍ

و كنت كتبتُ اليه قبل هذين البيتين بيتين آخرين وهما قولي :

لي حزنٌ قلبٍ لم يزل ساكناً ودمعُ عينٍ لم يزل جارياً  
مذُ أصبح الواصلُ لي قاطعاً وأصبح الحافظُ لي ناسياً

ولقد كنتُ ألفتُ هذا الرجلَ الى أن كنتُ أزوره فأمكث عنده  
في حجرته ثلاثة أيام بلياليها ، ليلاً ونهاراً ، على المذاكرة والمحاضرة .  
ومنهُ تعلمتُ لسانَ الفارسية ( ١١٧٧ ) وكنتُ أعرفه قبل صحبتته في  
الجملة ، لكن ما استكملتُ تعلمه إلا منه ، وكان يعرف تاريخ الدنيا  
لا سيما ملوك العجم ، وما يتعلق ببلاد العراقين وأذربيجان وفارس  
وخراسان . وكان لذيذ المصاحبة الى الغاية ، رقيق المحاضرة الى النهاية ،  
يحكي كلَّ حكاية سمرأ ، وكان ينظم الشعر بالفارسية ، وكان مخلصه  
على قاعدتهم لفظة « خادم » . وكان يروم النظم بالعربية فلا يحسنه كما  
ينبغي ، وكان خطه عجباً عجاباً على قاعدة الكاتب المشهور علا بك  
التبريزي ، وكتبتُ على قاعدته . وكان رحمه الله تعالى محباً لي مشفقاً  
عليّ مجتهداً في نشر ذكري بين الخاص والعام ، وكان دائماً ينوّه باسمي



عند الحكّام ، وكان قبل حضوره الى دمشق في قبريز معدوداً من حفاظ القرآن العظيم . وكانت خدمة المزار المشهور بابا فرج التبريزي له ولوالده من قبله ، وكان في أيام إقامته بتبريز ملازماً على خدمة المرحوم الولي العارف الكامل شاه مجتبي الشريف الحسيني ، من سادات ( لاله ) ، واشتهر بخدمتهم حتى صار معدوداً منهم ، وكانوا مشهورين بذهب أهل السنة في الجماعه . فنفاهم طهباسب إلى إصفهان نكايه بهم وإبعاداً لهم عن حدود بلاد سلاطين الروم ، لأنه كان يخشى منهم أن يرأسوهم ، لما هناك من الاتفاق على مذهب أهل السنة والجماعة . واستوطن دمشق عند قدومه إليها ولم يبرح منها . واستحسنها جداً ، حتى إنه كان يقول لي : رأيت الأرض كلها إلا قليلاً ، فما رأيت أحسن من دمشق .

توفي الى رحمة الله تعالى بدمشق المحروسة أواخر سنة سبع وتسعين وتسع مئة ، وقرأ عليّ الأربعين النووية ، ومناجاة موسى عليه الصلاة والسلام ، وحصه من الغاية القصوى في الفقه للإمام البيضاوي رضي الله عنهم . ولقد مدحني بشعر فارسي من نظمه . من جملة ذلك قصيدة مطلعها<sup>(١)</sup> :

بگُشَا قُفْلِ دَرِ مَخْزَنِ مَعْنَى وَبَيْنِ  
هَمِكِي كَوَهَرِ رَخْشَانِ هَمِكِي دُرِّ ثَمِينِ<sup>(٢)</sup>

الى أن يقول منها وأجاد :

خَادِمًا تَرَكِ دُو عَالَمِ كُنُ وَايَارِ بَسَازِ  
بِكُزِينِ أَرِ دُو جَرَانِ صُحْبَتِ أَنْ يَارِ كُزِينِ<sup>(٣)</sup>

(١) الأبيات الفارسية التي سنأتى كانت مصحفة محرقة في الأصل . أعادنا الأستاذ برويز أنابكي على ضبطها وترجمتها .

(٢) معناه : افتح قفل باب مخزن المعنى وانظر ، فكاه جوهر لامع وكاه در ثمين .

(٣) معناه : أيها الخادم انك المالك المكين ( بفتح اللام ) واختلط بالحبيب ، واختار من الكونين مصاحبة ذلك الصديق المختار .

كَيْسَتْ أَنْ يَارَ كُزَيْنَ شَيْخَ حَسَنٍ أَنْكَهَ أَرُو  
مُتَيَقِّنٌ شُدِّهِ هَرُ عِلْمٌ جُوَ آيَاتِ مُبِينٍ<sup>(۱)</sup>

وقد ( ۱۳۷ ب ) مدحتُهُ بقصيدة نونية مطلعها :

لَا مُتَمَعْتُ مُقَلَّتِي يَوْمًا بِإِنْسَانٍ      إِنْ كَانَ هَذَا التَّنَائِي عَنْكَ أَنْسَانِي  
وَلَا بَلَغْتُ الَّذِي أَرْجُوهُ مِنْ أَمَلٍ      إِنْ كَانَ أَهْوَى بِشَيْءٍ عَنْكَ الْهَانِي  
ومن جملة هذه القصيدة قولي :

قَدْ كُنْتُ أَنْفَضُ ذَيْلِي مِنْ غِبَارِكُمْ      وَالْيَوْمَ أَجْعَلُهُ كُحْلًا لِأَجْفَانِي  
وهي قصيدة طويلة .

وكتب إليّ يوماً دوبيت بالفارسية ، وهو قوله :

أَزْ پَرِ خِرَدِ سُوَالَمِ اَيْنِ بُودُوبِمَنْ  
أَوْ كَفْتِ جَوَابِ رَا بُوَجِهِ أَحْسَنْ  
كُفْتَمِ كِهَ بَدَهَرِ كَيْسَتْ دَرِ عِلْمِ عِلْمِ  
كُفْتَاكِهَ بُودُ شَيْخِ حَسَنِ شَيْخِ حَسَنِ<sup>(۲)</sup>

(۱) معناه : من هو ذاك الحبيب المختار ؟ هو الشيخ حسن الذي صار كل علم متيقناً بسبب وجوده ، كآيات المبين .

(۲) معنى هذا الرباعي ما يلي :

سألت سؤالا من الشيخ ذي العقل ، وهو أجنبي عن هذا السؤال بأحسن وجه . سألت : من هو في العالم عليمٌ في العلم ؟ فقال : هو الشيخ حسن ، هو الشيخ حسن .

وله أيضاً قصيدةٌ أخرى كتبها اليّ مطلعها :

حَسَنٌ حَسَنٌ بُودٌ وَغَيْرٌ أَوْ حَسَنٌ نَبُودٌ  
مُحِبٌّ خَادِمٌ أَوْ هِيچِكَسَنٌ چُو مَنْ نَبُودٌ<sup>(۱)</sup>

الى آخرها .

وحاصلُ الأمرُ أنه كان من محاسن الدنيا مصاحبةً ولطفاً ومحبةً وتاريخاً ونظماً وفضيلةً وديناً . وجدتُ من صحبته خيراً كثيراً ، رحمه الله رحمةً واسعةً ، وأمطر عليه من سحاب رحمة الهامعة . آمين .

---

(۱) معناه : إن الحسن حسن ، وليس سواء بالحسن  
وليس أحد مثلي محبه وخادمه

## ١٠٩

الملا حسين بن قنبر

الشيرازي المذهب الشاعر

مخلصه « سالك » على طريقة شعر الفرس ورد الى دمشق وتوفي بها أيضاً في حدود سنة ست وتسعين وتسع مئة . وكان شاعراً باهراً في شعره . وكان في صناعة التذهيب في غاية التهذيب ، بحيث انه كان يُضربُ المثلُ بتذهيبه . وكان رحمه الله في غاية السلوك ، وفي نهاية التواضع ، بحيث انه كان فقير المشرب ، لا يرى نفسه شيئاً ، ولا يرى لها شيئاً . وكان يصرخُ بذلك في شعره . وكان رحمه الله تعالى كريم الطبع الى الغاية ، بحيث انه كان لا يدخر من المال شيئاً . كان أول بدايته بمدينة شيراز من أرض فارس ، ثم طاف البلاد ، وجاب الأقطار ، فورد كاشان واجتمع بن فيها من أصحاب الطبع مثل وحشي ، ومحتشم ، وهما من مشاهير الشعراء . وكان يحكي عنهما وقائع عظيمة ، ومحافل جسيمة . قال لي لما رأيتُه بدمشق : كان وحشي غايةً في تحصيل المعاني العجيبة ، وكان محتشم غاية في تحصيل الألفاظ السلسة القريبه ( ١٢٨ آ ) فكان يتلفق من بينهما شاعرًا لا نظير له يكون جامعاً لألفاظ محتشم ومعاني وحشي .

وأشدني من شعر وحشي هذا المطلع وهو قوله :

دَعَا هَايِ سَحَرَ كَوَيْنَدُ مِيدَارْدُ أَثْرُ آرِي  
أَثْرُ مِيدَارْدُ أَمَا كَيِ شَبِ عَاشِقُ سَحَرَ دَارْدُ<sup>(١)</sup>

وقد ترجمت معنى هذا البيت بالعربية فقلت :

يقولون في الصبح الدعاء مؤثرٌ      فقلتُ نعم لو كان لي لي لي له صبحُ  
ولما رأيتُ هذا البيت حسناً في المعنى والتركيب أكرمتُ عليه أربعة  
أبيات أخرى فقلت بعده :

فيا عجباً مني أروم لقاءه      وفي جفنه سيفٌ ومن قدده رُمحُ  
وإنسانٌ عيني كيف ينجو وقد غدا      يطولُ له في لُجٍّ مَدْمَعِهِ سَبْحُ  
وإن كان ليلُ البعد يسود فجمه      ففي مُهْجتي نارٌ ومن نفسي قَدْحُ  
وليس عجبياً أن دمعي أحمرٌ      وفي باطني جرحٌ ومن مقلتي رَشْحُ

قلتُ : وقد اتفق في دمشق طاعون في حدود السنة التي مات بها ،  
فمات له ابن أخ ، ومملوكان ، وجارية . ولم يبق له أحدٌ . فقال لأصحابه ،  
ومن جملتهم الفقير : قد ذهب كلُّ واحدٍ في نوبته ، وبقيت نوبتي .  
فسلّمناه في الجملة . فنظّم غزلاً بالفارسية يتعلّق بموته وما يتعلّق به .  
فمات بعد نظمه لهذا الغَزَلِ بأربعة أيام أو خمسة . وهذا من غريب  
الاتفاق . والغَزَلُ المذكور هو قوله :

(١) معناه : يقولون إن لأدعية السحر تأثيراً . نعم لها تأثير ، ولكن هل لليل العاشق من سحر ؟

رُوزِي كِه مَا بَرَاهِ طَلَبِ رُونَهَادَه اِيْمِ  
اَوَّلِ وُجُوْدِ خُوِيَشِ بِيكِ سُونَهَادَه اِيْمِ<sup>(۱)</sup>  
اِسْتَادَه اِيْمِ مُنْتَظِرُ وَنَقْدِ جَانِ بَكْفِ  
اَز بَهْرِيكِ كِرِشْمَه اَبْرُو نَهَادَه اِيْمِ<sup>(۲)</sup>  
بَرَكْرَدَه اِيْمِ سَرَزِ كِرِيَانِ نِيَسْتِي  
اَنكَاهِ پايِ بَرَسْرَانِ كُو نَهَادَه اِيْمِ<sup>(۳)</sup>  
سَرِ هَمچُو شَاهِ دَرَسْرَانِ زَلْفِ كَرْدَه اِيْمِ  
دَلِ هَمچُو عُقْدَه دَرخَمِ اَنْ مُونَهَادَه اِيْمِ<sup>(۴)</sup>  
پِيشَانِي اَز خِيَالِ تُو هَر شَامِ تَا سَحَرِ  
اَيِيْنِه وَازِ بَرِ سَرَزَانُو نَهَادَه اِيْمِ<sup>(۵)</sup>

- (۱) معناه : في اليوم الذي توجهنا فيه نحو طريق الطلب ، وضعنا أولاً وجودنا جانباً .  
(۲) معناه : وقفنا منتظرين وقدمنا حياتنا في كفنا عارطين ، لأجل اشارة من حاجب (المحبوب) .  
(۳) معناه : أخرجنا الرأس من جيب العدم ، ثم وضعنا القدم على ذلك الطريق (الى المدم) .  
(۴) معناه : أدخلنا رأسنا كالمشغ في تلك الحصلة من الشعر ، ووضعنا فؤادنا مثل عقدة في تجويد ذلك الشعر .  
(۵) معناه : وفي كل ليلة ، وضعنا جبيننا ، من أولها الى السحر ، على ركبتنا ، كمرآة ، لتري خيالك .

پَرَوَانِهٖ وَشَ رَوِيْمِ دَرِ آتِشِ زَمِيْرِ دُوْستِ  
دَرِ عِشْقِ رَسْمِ وَعَادَتِ هِنْدُو نَهَادِهٖ اِيْمِ (١)  
اَفْتَادِ كِيُّ وَجُوْر كِشِي پِيْشِهٖ كَرْدِهٖ اِيْمِ  
قُوْتِ زِيْنَجِهٖ زُوْرِ زِيْبَاوِ نَهَادِهٖ اِيْمِ (٢)  
عَقْلِ سَبِكِ عِيَارِ چِهٖ سَنَجْدِ بِمَقْدِ عِشْقِ  
صَدِّ بَارِ هَرْدُرَا بِيْرَاوِ نَهَادِهٖ اِيْمِ (٣)  
سَالِكِ بِسِحْرِ كَلِكِ تُوْشْدِ دَرِ جِهَانَ عِلْمِ  
نَامِشْرِ نَهٗ بِيْمَلَا حِظَهٗ جَادُوْ نَهَادِهٖ اِيْمِ (٤)

قلتُ : ومن كان عارفاً باللغة الفارسية ومعاني شعرها علم دلالة هذه الأبيات على قرب رحيله من هذه الدنيا ، فتأملها واعلم ما فيها ، من قوادمها الى خوافيها .

قلتُ : وله نظم يُسمى عند الفرس شاه نامه ، وأسلوبه على أسلوب الرَّجَزِ في العربية ، لأنَّ كلَّ بيتٍ بقافيتين ، ولذلك يسمونه المثنوي .

- 
- (١) معناه : ندخل في النار كالفراشة لحب الحبيب ، وضعنا في العشق رسم الهنود وعاداتهم .  
(٢) معناه : لقد اخترنا لأنفسنا التواضع وتحمل الضيم ، تخليتنا عن القوة في أكفنا ، وعن العزم في سواعدها .  
(٣) ماذا يوزن من العشق بواسطة العقل الخفيف العيار ، ثمة مرة وضعناها ، كليهما ، في الميزان ( ولم نستفد ) .  
(٤) معناه : ياسالك ، لقد صار قلبك عادماً في العالم بالسحر ( المين ) وكذلك نسميه السحر .

وهو في غزواتٍ تتعلق بأمراءٍ سلاطين بني عثمان في قتالهم لسلاطين المعجم  
أرباب البدع القبيحة . ولكن الكتاب بامم الوزير السردار ، هو حسن  
باشا ابن الوزير الأعظم محمد باشا السابق ذكره في هذا الكتاب . وحاصل  
ما في الكتاب المذكور حكاية الوقعات بالفاظ حسنة ، ومعانٍ مستحسنة ،  
وعادة من ينظم في مثل هذا الأسلوب أنه كلما ذكر موت أحدٍ من  
سلاطينهم أو من شجعانهم المذكورين يذكر عقب ذلك فصلاً يتعلق  
بذم الدنيا وعدم وفائها ، ويذكر في ذلك بعض من مضى من الملوك  
السالفين إلى أن يذكر في آخر المبحث بيتين يتعلقان بطلبه السقيا من  
الساقى الصهباء ويقول له : قد كدر وجودي ما كنت فيه من المباحث  
التي يصدأ لها سيف الفهم ، فأزِل ذلك الكدر بسقيا بعض أقداح  
من الصهباء .

وقد ذكرتني قطعة من نظم الحسين المذكور فيما يتعلق بالأسلوب  
المسطور ، وفي آخرها طلب السقيا كما ذكرنا . وهي قوله :

جُنِينِ أَسْتِ رَسْمِ سَرَايِ دُوْدَرِ  
كِهِ هَرِّ لِحْظِهِ بِأَشْدِّ بَوْضَعِ دِكْرِ<sup>(١)</sup>  
بِنَخَاكَ أَفْكَئِدْ أَزْ سَرِ إِيْنِ كِلَاةِ  
سَرِ أَنْ دِكْرِ بَرِّ فَرَازْدِ بِمَاهِ<sup>(٢)</sup>

(١) معناه : هكذا حال هذه السراي (بني الدنيا) ، لها بابان ، تتغير كل لحظة  
من صورة إلى صورة .

(٢) معناه : تأخذ من هذا قبعتي فتلقي بها إلى الأرض ، وترفع ذلك حتى يلامس رأسه القمر .



أَزِينِ وَرَطِّهِ سَالِكِ كِنَارِي بِكِيرِ  
زِ اَوْضَاعِ دَهْرِ اَعْتِبَارِي بِكِيرِ<sup>(١)</sup>  
چِرَا بَهْرِ كَارِ جَهَانَ غَمِ خُوِيْمِ  
بِيَا تَا مِي اَزِ سَاغَرِ جَمِ خُوْرِيْمِ<sup>(٢)</sup>  
بِدِيهِ سَاقِي اَنْ رَا حِ دَيْرِيْنِه رَا  
كِه شُوِيْمِ زِ فِكْرِ جَهَانَ سِيْنِه رَا<sup>(٣)</sup>  
دَمَاغِ وِدِلِ اَزِ ذَوْقِ اَنْ خُوْشِ كُنْمِ  
زِ غَمْمَايِ كِيْتِي فَرَا مَشْرِ كُنْمِ<sup>(٤)</sup>

قلت وقد مات رحمه الله تعالى في أواخر سنة ست وتسعين أو في أوائل سنة سبع وتسعين وتسع مئة ، وأوصى الى أصحابه وأحبابه أن يدفن بمرج ( ١٣٩ آ ) الدحداح تحت شجرة العناب السكائنة في الطريق ، على عين الذهاب الى جهة الماء الجاري ، بالقرب من مدفن الدحداح . فأنفذوا وصيته ، ودفنوه تحت الشجرة المذكورة . وقبره 'مسطح' محجّر رحمه الله تعالى وعفا عنه بمنه وكرمه انه أرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

- (١) معناه : فياسالك اجتنب واحترز من هذه الورطة ، وخذ عبرة من أحوال الدهر والزمان .
- (٢) معناه : لماذا نتمّ لأجل مصالح الدنيا وأغراضها . تعال حتى نشرب الخمر من كأس جم .
- (٣) معناه : تعال اسقني يا ساقى من تلك الراح العتيقة ، حتى أغسل صدري من هموم الدهر .
- (٤) معناه : فأفرّج قلبي ودماعي بفريها ، وأنسى هموم الدنيا بأكلها .

١١٠

الشيخ حسين بن القاسم المغربي العتيقي

المسوب الى وادي درعة بفتح الدال المهملة وسكون الراء بعدها غير مهملة .  
قال لي : إن الوادي المذكور من توابع مدينة مراکش .  
ورد الى مدينة دمشق في أواخر صفر سنة خمس بعد الألف ، أحسن الله  
ختامها ، فزارني في منزلي بالمدينة المذكورة ، وتردد اليّ مراراً في مدرستي  
الناصرية الجوانية ، بدمشق الحمية ، وكان ذا فضلٍ ظاهر ، وذكاءٍ باهر ،  
وأخبرني أن سبب خروجه من بلاده زيارة بيت الله الحرام ، وتقبيل  
عتبة سيد المرسلين عليه من الله الصلاة والسلام ، فطاف الأقطار ،  
وجاب الديار ، الى أن ورد الى دمشق في التاريخ المذكور ، وزار  
بيت الله المقدس ، وخرج منه الى مصر . وسمعت من بعض الواردين  
أنه رجع الى بلاده .

ولما كان بدمشق سألته عن المرحوم السلطان أحمد الملقب ببولاي أحمد  
المنصور فقال لي : اجتمعت به في مقر سلطنة مراکش المحروسة ،  
وسمعت من لفظه كثيراً من نظمه .

قال : فمن جملة ما أنشدنيه لنفسه هذه الأبيات السلطانية وهي :

لا ولحظٍ سلبَ السيف المضا      وثنايا مثلِ دُرٍّ أو بَرَدٍ  
ما هلالُ الأفقِ إلا حاسدٌ      لعلاها وبهاها والغيدُ  
فلذا أمسى ضئيلاً ناحلاً      كيف لا يظني نحولاً من حسدٍ

وأنشدني أيضاً للسلطان المذكور هذا النظم الذي يفوق على قلائد النحور :

من عَنَبِرِ الشَّجَرِ أَوْ مِنْ مِسْكِ دَارِينِ      بلى ، وسنه نسياتُ الرياحين  
مَهْفُفٌ إِنْ تَشَنَّى قَلْتُ مَقْتَضِبٌ      من قُضِبِ نُعْمَانَ أَوْ كَشْبَانَ يَبْرِينِ  
إِذَا تَبَسَّمَتْ خِلَتْ الدُّرَّ مَمْتَضِبًا      تحت العقيقِ ووردًا فوقِ نَسْرِينِ  
وَإِنْ رَنَا فَسَهَامٌ مِنْ لَوَاحِظِهِ      لها بِشِيقِ قُلُوبِ أَيِّ تَمَكِينِ

( ١٣٩ ب ) قلتُ : وأخبرني الشيخ حسين المذكور أنه ولي القضاء في بعض نواحي مرآكش، من جانب الملك المنصور المذكور، وعاد اليه والله أعلم .

## ١١١

### الحسين بن عبد النبي الشعاعال بجامع بني أمية

كان رجلٌ روميٌّ قدم إلى دمشق فأحدث له بعضُ قضاةِ الشام  
إمامةَ بجامع بني أمية . فكان يقرأ الفاتحة ويقولُ : ولا الضَّالِّينَ بفتح  
اللام على صيغة التثنية . وكان أيضاً يقولُ : غير المفضَّوبِ بفتح الضاد  
وسكون الواو . وأنكر عليه الناسُ ففرغ حسين هذا عن وظيفة الإمامة  
المذكورة .

وحسين المذكور نشأ بالجامع الأمويّ لكون والده نشأ شعاعاً به ،  
وبيده خدمة مزارِ حضرة يحيى بن زكريا عليها الصلاة والسلام . فقرأ  
حسين القرآن بالقراءات المختلفة ، وقراءاته جيدةٌ وصوته لا بأس به ،  
غير أنه مع حداثة سنه يلبس عمامةً توازن قبّة جيرون كبراً ويتصنّعُ  
في مشيته ، وينتطعُ في كلامه ملتزماً في قراءته المدرد الطويلة ، وفي  
كلامه القواعد النحويّة ، على مقدار معرفته فاتفق أن قاضياً ورد إلى دمشق  
وهو يعرفُ شعر اللسان العربي وشاع ذلك عنه ، فمدحه من يعرف الشعر  
العربيّ بدمشق . فاتفق أن من لا يُشعرُ بالشعر تصنّع وتكلف  
نظم الشعر ، وإن لم يكن عارفاً به ، وصدر في ذلك عجائبٌ وغرائبُ .  
فمن حمة من نظمهم في مدح القضاة الإمام حسين المذكور وأحدثت

إيماننا هنا لكوننا عجيبة لم أعرف مثلها ، لانهم أخذوا على أسانوبها وهي قوله ، ومن خطئه نقلت : (١)

كَمَدٌ قَرْمٌ حَشْدٌ      مَحْدَثٌ حَدَلٌ حَبْرٌ  
مَطَهْرٌ حَدَثٌ حِدْنٌ      مَصْدَرُ الْحَكْمِ مَسْبَارٌ (٢)

\* \* \*

سِطَاعٌ تَعْدِكُ سَلْعٌ      سَمَاكٌ سَمِيحٌ سَمْرَحٌ  
سُكَاكٌ سَمَاكٌ سَمِيمٌ      سَمَاطٌ سَمَجَلِكٌ مَدْرَارٌ (٣)

\* \* \*

- (١) للعمري شرح قَرْمٌ بنفسه لهذه الفصيحة ، سماه « شرح الفصيحة القرمحندية » ، أو شرح الصواب بالمجون هـ . وفيه سخرية وتهكم ، ومنه مخطوطة بدار الكتب المصرية . وقد اعتمدنا على هذا المشرح في ضبط الألفاظ ، والمشروح اللغوية التي ستأتي مأخوذة منه .
- (٢) قال العمري : محمد معروف ، وهو كثير المحامد . والقَرْمٌ ، بكسر القاف وفتحها الفحل والسيد . والحَشْدُ الجماعة من الناس وغيرهم . والمَحْدَثُ بفتح الدال المشددة هو الملقى إليه الحق والصواب إماماً . والصادق الظن . والحَدَلُ بالخاء المفتوحة الضخم ، والخَبْرُ برفع الخاء العلة . ومَطَهْرٌ إن كان مفتوح الخاء فظاهر ، أي أنه كان منجساً فصار مطهراً ، وإن كانت الخاء مكسورة معناه مطهرٌ غيره ، وتكون حَدَثٌ بفتح حاء العين والقاف ، وعلى المعنى الأول حدث مكسورة الخاء مجزومة الدال . والحَدْنُ بكسر الخاء وسكون الدال الصديق ، ومَصْدَرُ صاحت المصدر في المجلس ، والحَكْمُ معروف ومِسْبَارُ الآلة من الحديد يُسبَرُ بها الجراحة .
- (٣) قال العمري : السِطَاعُ العامود الخامل لبنت الشعر الذي تسكنه العرب بالبادية . . . ، سمى : معلوم وهو يقض النحل ، سَلْعٌ : جبل بالمدينة المنورة ، السَمَاكُ : نجم ، وهو مقبرة من منازل القمر ، السَمَجُ : بفتح السين السماح ، السَمْرَحُ : نخل المسروح ، السَمْرَحُ من بقر وشتر وممر وبيوس . سَمَكٌ : يعني سكت أو سكوت ، وحية بفتح الحاء من حمر وسهم : نخل سماح معروف . السَمَلُ : الدلو المعيني ماء .

نَجَافٌ نَجْدُكَ نَجْحٌ نِظَافٌ نَسَلِكَ نَهْرٌ  
نَجَارٌ نَجْحُكَ نَوْرٌ نِقَاطٌ نَجْمُكَ مَكْشَرٌ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

نِقَابٌ نَعْتِكَ نُشْرٌ نَحَاسٌ نَجْرُكَ نَقَعٌ  
نِبَالٌ نُدْحُكَ نَظْمٌ نَفَاسٌ نَكْحُكَ مَذْكَارٌ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

شِعَابٌ شَبْرُكَ شَقِصٌ شِمَالٌ شَهْمُكَ شَرْخٌ  
شِعَارٌ شَهْمُكَ شُكْدٌ شِقَابٌ شَهْدُكَ مِهْمَارٌ<sup>(٣)</sup>

(١) قال العمري : نجاف : العتبة للباب . نجد : ما ارتفع من الأرض والطريق . النجح : اسم من النجاح . نظاف : جمع نطفة كمنكئة ، ونسكك على غير قياس ولا أساس . النسل : ما تناسل من الولد . نهر : معروف .  
وليس في المخطوطة شرح لغوي لألفاظ البيت الثاني .

(٢) قال العمري : نقاب : بكسر النون هو العالم بقاءضات الأمور . وجمع نقب أيضاً وهو الطريق في الجبل ونقاب المرأة . والنعت : الوصف . ونشر : بضم النون كريم الأصل في الطبيعة . والنجر بالفتح الأصل والنون . النقع : الأرض الحرة الطيبة ، والغبار أيضاً . نبال : جمع نبل . الندح بالضم المنتع من الأرض ، ونظم : نظم اللؤلؤ . نفاس : جمع نفاث . نكح بضم النون ما يُنكح . المذكار : المرأة التي من عاتها أن تلد الذكور .

(٣) قال العمري : شعاب : جمع شهب بالكسر . والشبر : بفتح الشين العظيمة ، ومصدر شبر إذا قاس شيئاً بشبر . الشقص : بكسر الشين الطائفة من الشيء أي شيء كان . شمال : بالكسر ، واحد الشمائل من الأخلاق وغيرها . وشمال اليد غير اليمن ، وبفتح الشين ، اسم لبعض الرياح . والشهم : الذكي الفؤاد . والشرخ : أول الشباب . والشيمار : ما ولى الجسد ولاصقه . والشنج : مجزوم المبالغة في الشبح المفتوح ، وهو الشخص والشكد : بالضم العطاء . والشقاب : جمع شقب ، وهو الشق في الجبل والشهد : العسل . ومهمار : كثير السيالان .

صِدَارٌ صَمْدِكَ صَرْفٍ      صِنَابٌ صَبْرِكَ صَدَعٍ  
صِرَاطٌ صَدَقِكَ صَتْمٍ      صِحَابٌ صَفَقِكَ مِقْدَارٌ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

مِضَاغٌ مَرْدِكَ مَحْضٍ      مِخَاضٌ مَعَقِكَ مَخْضٍ  
مِلَاكٌ مُلْكِكَ مِلْكٍ      مِلَاعٌ مَجْرِكَ مِضْمَارٌ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

دِثَارٌ دَيْنِكَ دَبْسٍ      دِلَاصٌ دَبْرِكَ دَمَخٍ  
دِهَاقٌ دَبْسِكَ دَبَلٍ      دَبَّارٌ دَبْرِكَ مِسْعَارٌ<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

- (١) قال العمري : صِدَارٌ : بكسر الصاد ما يلي الصدر الصَّمْدُ : المكان المرتفع الغليظ .  
الصرف : التوبة . وحدثنان الدهر أيضاً . الصِنَابُ : الخردل مع الزبيب . الصبر :  
معلوم ، وهو حبس النفس عن الشيء . الصَدَعُ : الشق في كل شيء . الصِرَاطُ :  
معلوم وهو الطريق القويم . الصَدَقُ : بالفتح . يُقَالُ : رَمَعَ صَدَقٌ ، أي صاب .  
وَصَدَقَ النَّظَرَ . وَصَمَّ : بصاد مفتوحة وتاء مثناة من فوق مجزومة ، كحتم وزناً :  
أي غليظ . وَصِحَابٌ : جمع صاحب . وَصَفَقَ : بفتح الصاد ، وفاء قبل التثنية :  
الناحية . ومِقْدَارٌ بمعنى القدر .
- (٢) قال العمري : المِضَاغُ : ما يعض في اللحم ، والرَدُّ : بالفتح تن الأراك الغض منه ،  
وبالضم : جمع أسرد وعض : بالحساء : خالص . ومِخَاضٌ : الحوامل من النوق .  
والمِيعُ : القفر من الأرض . والمِخْضُ : اللبن أو الميران . ومِلَاكُ الأَسْرِ : قوامه .  
وَمِلْكُكُ بالضم معلوم . وَمِلْكٌ : بالكسر : ما ملكك يدك . ومِلَاعٌ ، المِغَاةُ ، المِغَاةُ :  
المغفرة . والمِجْرُ : الجيش الكثير ، والنَمْلُ أيضاً . ومِضْمَارٌ ظاهر .
- (٣) قال العمري : دِثَارٌ : ما يُبْلَسُ فوق القميص . الدين : النهر والعبودية والملة والجزاء  
والحال والطاعة والمادة . جمع هذم الأسماء يُطلق عليها لفظ الدين . والدبس : -

مهاد مَزْرِكْ مَثَكْ      مِلَاطْ مَرْحَكْ مِدَحْ  
 مِحَاشْ مَعْدَكْ مَهْدْ      مِلَاحْ مَصْرُكْ مِعْشَارْ<sup>(١)</sup>

✱ ✱ ✱

دَوَامْ دَوَّلِكْ دَرَسْ      دِبَارْ دَبْرِكْ دَعَصْ  
 دِوَامْ دَرَكْ دَرَّ      دَلَاتْ دَهْنَكْ دِعْطَارْ<sup>(٢)</sup>

✱ ✱ ✱

— بفتح الدال ، الكبير من كل شيء ، اللباس : البرقع اللينة ، والسير : يتحرك الى  
 المال الكبير ، ولدخج : جبل ، رندمان : الممتلئ ، والنهس : بالكسر ، غسل الشعر  
 والزبيب أيضا ، وانزل : بالكسر والفتح اسقط الدهن ، وبار : بفتح الباء  
 الهلاك ، ودير كل شيء مؤخره ، ويسغار : الذي يسر به الناس .  
 (١) قال العمري : الهالك : الخراش ، وانزل : بالكسر اسقط الدهن من الأثرية لضعفه  
 السودان من الأثر ، وتارة من الخن وشبهه أيضا ، بسبب أوفت بهد وانزل  
 والمثاق : يضم الميم الأخرج ، والملاط : يجعل بين يدي اليد ، وهو مبرج ، وفتح  
 المرعى ، والصح : معروف ، والحجش : المتاع والأثاث ، وسد : ما يند ، ويتسلط  
 من كل لغة التي ، وديار : معروف ، وهو الذي يملكه أهل ، والمراح : يضم  
 اية لغة في الصح ، وسفرك : معروف ، وسفرك : مسافر بهمة .  
 (٢) قال العمري : دوام : هو الفاء ، والأسال : وناول ، فتح لذل ، ألعاب الذهب  
 من حماري ، وسر : ذهب رسوم الفراء ، ودرس : احب ، وبوطي : بالفتح ،  
 والقراءة : ديار ، بكسر الدال جماعة النمل ، العنق : الذبقة من اسن المستطرية  
 ديوام بكسر الدال مسير زواج اسن ، اناس معه ، وبار : مسوم ، وهو  
 اجوهس ، وبار : بفتح الباء ، وبارلات : الذبقة سريعة ، وديار :  
 معروف ، وعطار : ثياب العطار ، ويحيا الفيد يسمى الفريج في الخطوبة



جَرَادٌ جَزَلٌ كَجَدْرٍ جَمَاعٌ جَحَلِكٌ جَفَلٌ

جِبَارٌ جَرِيكٌ جِيئٌ جَرَابٌ جَلِيكٌ مَهْدَارٌ<sup>(١)</sup>

قلتُ : وقد كتب الشاعر المشعور ، في آخر شعره المكسور ، بخطه  
المسطور : ومن حاسمها لزوم ما لا يلزم .

ولما أنشدهما القاضي المذكور قال القاضي : أما يوجد هنا رجل يأخذ  
هذا الجئون إلى البيارستان ليكون فيه معجزة المجابين ، فإن هذا الكلام  
لا يصدر عن عاقل .

وشاعت في دمشق بين الخاص والعام وصاحبها يظن أنها من حاسن  
الكلام فسبحان الملك العلام .

وكان ذلك النظم الذي لا نظام له في أوائل ذي القعدة من شهر سنة  
سبع عشرة بعد الألف انتهى .<sup>(٢)</sup> هذه القصيدة من قبيل :

مالكم تكا كما تم علي كتكما كتكم

علي ذي جنّة افرتقوا عني

وقد شرح هذه القصيدة المذكورة صاحبنا الشيخ أبو بكر العمري .  
فلا بأس بذكر شرح بعض الأبيات وهو :

(١) قال العمري : جراد : ضرب من الحبي ، والصبر المعروف ، واحزاب : الكثير .

والجدر : بكسر الجيم وفتحه ، الجدر ، والأسل أيضاً ، والجماع بالفتح : شيء جمعه ،

وبالكسر الذكاح ، والجعل : بتدريج الجيم وفتحها الصفا ، والجمل : السحاب

المهريق مائه ، والجبار : بالكسر ، جمع جبر ، بمعنى عهد ، والجرس : بفتح

الجيم ، الصوت ، والجليل الصنف من الناس ، والجراب : بالكسر ، معروف .

والجاب : مصدر جابت الذي من موضعه . ومهدار : مبالغة في الهدر ، وهذا

البيت في مخطوطة الشرح مقدم .

(٢) كل ما سياتي سابقاً من هذا

« الحمد لله الذي خلق العقل وأردعه مَنْ أَحَب من هذا الحيوان الناطق ، وجعله زينةً للنوع الإنساني وميِّز به الصاهل <sup>(١)</sup> والناهق . وصلى الله على عبده ورسوله سيِّدِ العبادِ وأكرم الخلائق ، أكمل المرسلين سُودُداً وفخراً ، وأشرف النبيِّين وأعلام منزلاً وقَدُراً ، القائل إن من الشعر لحكمة ، وإن من البيان لسحرا ، وعلى آله أُولي المآثر وغيوث النداء ، وأصحابه أهلِ المفاخرِ ونجومِ الهدى ، صلاةٌ دائمة متوالية باقية . سامية نامية ، ما جرتِ النظمُ على النثر ذَيْلَ فخاره ، ورفع أنفه شامخاً عليه بافتخاره ، حيث وَّصفه بالحكمة منبع <sup>(٢)</sup> الأنوار ، ومهبط الأمرار . وسلم تسليماً .

وبعدُ فإنته لما تبين لنا من قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ان من الشعر لحكمة » وحاكِمَ بما قضاه لنا <sup>(٣)</sup> فنقدنا حكمه ، وعلمنا أن الشعرَ من أملح الفنون حُسناً ، وأرفمها مرتبةً وأرجحها وزناً ، تفاخرت بالبليغ منه فصحاء العرب ، وبلغوا ببداية بدائعهم فيه غاية المرام والأرب . وبَيَّنَّا أنَّنا فهمنا من تقييد هذا الحديث بمن التبعية ، أنه ليس كل شعر تكون له ( ١٤٠ اب ) مزية <sup>(٤)</sup> . ولا يبالغ لقصوره درجة الحكمة العليمة . وعُلِّمَ من ذلك أن أهل صناعة ، فيه على أقسام : فمنهم مَنْ أسفَرَ له عن محاسنه وقابله بالابتسام ، ومنهم مَنْ عبس في وجهه فتواثى ولم يَنْتَل منه غاية المرام . ومنهم مَنْ نهج فيه مَنهجِ البلاغةِ وتغافل عن الانسجام ، ومنهم مَنْ شرد وتاه في بیدائه على ضامرة بغير لجام . ومنهم مَنْ أخرج به بطلاقة

(١) م « الصاهل » .

(٢) م « نبع » ، وفي مخطوطة الشرح « صاحب الأنوار » .

(٣) في الشرح « له » .

(٤) في الشرح « تكون له هذه المثابة والمزية » .

طبعه عن الهيئة الحسنة ، وألبسه الثياب الرثة الحشنة ، فعُدَّ ذلك من قبيح النظام . كقول من قال ، وأفحش من المقال (١) . شعر :

أَنْتَ كَالْكَتَبِ فِي حِفَاظِكَ لِلوَدِّ      وَكَالتَّمِيسِ فِي قِرَاعِ الخُطُوبِ

أَنْتَ كَالدَّاءِ لَا عَدِمْنَاكَ دَلْوًا      مِنْ كِبَارِ الدِّلاءِ كَثِيرِ الذَّنُوبِ

فقال ' هذا الكلام لم يرد' إلا المدح في رومه ، ولم يسبق الى غير ذلك طرف فهمه . والذي أوقع المسكين في هذه البليّة ، أنه نشأ في القفار وصحارى البريّة ، وشارك الوحوش في طباعها الرديّة ، فهو معذورٌ بهذا الاعتبار ، ويُعَدُّ له ذلك من أكبر الأعذار .

وأما من خالط أهلَ الحَضَرِ في عالمهم ، وسمع رقيق المعاني من فاضلهم وعالمهم ، فإذا بدت من ألفاظه وحشة أو هُجْنَةٌ أو خَطَرَاتٌ على خاطره (٢) كآبة الركالة واللاكِنّة ، نفرت من تنافرها الطباع . وشدخت من قبولها القلوب قبل الاستماع . كناظم القرمحشدية ، والسلسلة المملة الرديّة .

سلسلةٌ صارَ بها شهرةٌ      كشهرة البائل في زمزمِ

أو كما قيل :

ما العقلُ إلا زينةٌ      سبجانَ مَنْ أخلاه منه

قُسمتْ على الناسِ العقو      لُ وذاك أمرٌ غابَ عنه

(١) في الشرح « وهو علي بن الجهم يمدح المتوكل على الله » .

(٢) في الشرح « أو ظهرت على نظمه ... » .

وهذه القصيدة المذكورة ، والخراعات المنشودة ، امتدح بها السيد الشريف والمولى العفيف ، السيد محمد ابن المرحوم العلامة السيد محمد الحسيني المتصل نسبه الكريم بالسيد برهان الدين صاحب الكرامات الظاهرة ، والمكارم الوافرة الباهرة ، رحم الله سلفه ، وأبقى بوجوده خليفته ، والسيد المنور بذكره خليفة الحكم العزيز يومئذ بدمشق الشام ، لازالت محمية إلى قيام الساعة ، وذلك سنة ثمانى عشر بعد الألف من الهجرة المنوره (١) على مهاجرها أفضل الصلاة وأتم السلام .

( ١٤١ آ ) وقد التمس منى بعض اخواني ، خلاصة أصدقائي وخلافي ، أن أثبت لألفاظها اللغوية بياناً ، ولعجمة كلماتها العربية ترجيحاً ، ليحل عقابها ، ويخفف أثقالها ، ويفك مشكلاتها ، ويفصل مجملها . فأيدت عن ذلك هرباً من فظاظتها ، وطلباً للتخلص من قبحها وغلاظتها . ثم بعد ذلك أجبته إلى مراده ، راغباً في اسعافه وإسعاده . وابتدأت أولاً في حل كلماتها اللغوية ، ثم تأملت في إعرابها فإذا كل سبعة من أبياتها مشتملة على المبتدأ والخبر ، فرأيت أن تكرار ذلك في كل بيت مما يملأه السمع ويؤذن بالعمى والحصر ، فاقتزحت لها إعراباً على طريقة التمليح والمجون ، ليحصل لسامعها المفاكهة ويقضي على ناظمها بالجنون .

ولا بدّ قبيل الشروع في المقصود من ذكر بعض أوصاف لهذا الناظم المتكبر المتعاضم ، دالة على قلته أدبه وحقاقته وجنونه .

فمن ذلك ما شوهد على وجه العيان ، ولا يحتاج إلى دليل ولا برهان ، أنه في الغالب يدخل الجامع ووالده من خلفه ، فإذا خلع نعله نزل ليحمّله أباه على رغم أنفه ، وفي الأسواق والشوارع لا يمشي إلا أمامه . وذلك دلالة على شفاوته وعلامة .

ومن ذلك أنه لما صار يوماً بالجامع الأموي<sup>(١)</sup> ، وذلك من الدلائل على اقتراب الساعة ، فكان إذا أقام المؤذنون الصلاة انصرفت في صحن الجامع يتباطأ بالخروج من الحرم بعد إقامة الصلاة ثم وقف الناس بأبصارهم ، ويعلموا أنه الإمام ، ويمشي متحنياً نحو العرش

ومن ذلك ما شاهدته القديرة في تربية السحاح ، وقد خرج المذكور في جنده ، فلما تألف الميراث ووقف الناس التعزية تنحن جانباً عن الناس ، وهو في عظمته انشروية ولا يلمت يميناً ولا شمالاً « فلما تمت التعزية وانصرفت الناس رأوه وبني ألميت واقفاً ، فمشى بإية ليصافحه على العادة ، فمس المذکور ظهر كفه حتى وضعه على فم الرجل وهو يقول له : « عظم الله أجزرك وأحسن عزاك » [ (٢) ] ثم يسع الرجل ، لا أنه (٣) أجابه إلى مراده ، وقبيل ظهر كفه وانصرف .

وله مثل هذه الأشياء أمور ، سدد سمعاً لكثيرها ، فهو الأحق

يقول القائل

قل الأنام وقد زأوه على حداثة قد تصدر  
من ذا المحوز حسده قلت : المتقدم بالموخر

وقد أن وقت الشروع بالمقصود في حل القصيد المذدورة ، بحسب الطاقه إلا التي لا أدكن كينيته تركيب أفاضها للقرية مع نفاها وعدم ارتباط كل كلمة بأختها ، لا بما يشبه الاستعارة أو ايجاز أو نسبة اغمولات إلى موضوعها والله المستعان .

(١) البردة من شرح

(٢) من هام ، من قوله صفت ما فيه ، في س ١٩٢ ساعد من الأصول وقد

أضواء من الشرح

محمّد قَرْمٌ حَشْدٌ      مَحْدَثٌ خَدَلٌ خُبْرٌ  
مَطَهَّرٌ حَدَثٌ خَدِنٌ      مُصَدَّرٌ الحَكْمُ مَسْبَارٌ

هذا البيت يُقال له : المستطيلُ والأطولُ من كل طويل ، إلا أنه جمع بين المشرق والمغرب طولاً ، ولا عرض له . فهو الخطُّ على اصطلاح المنطقيين ، وهذا البيت ليس من بحر السلسلة المشهورة ، بل من التي في القرآن المذكورة ، وربما هذا أطول من ذي ذراعاً أو باعاً .

## اللّغة

محمّد : معروف ، وهو كثير المحامد . والقَرْمُ : بكسر القاف وفتحها الفحلُ والسيمدُ . والحَشْدُ : الجماعة من الناس وغيرهم ، والمحدّثُ : بفتح الدال المشددة هو الملقبُ إليه الحقُّ والصوابُ إلهاماً ، كما ورد أن في هذه الأمة المُحدّثين وأنّ منهم لتعمّر . والمحدّثُ هو صادقُ الظن . والخدَلُ : بالخاء المفتوحة الضخم ، والخُبْرُ : برفع الخاء العلم . ومطهّرٌ إن كان مفتوح الهاء فظاهر أي أنه كان مُتَجَسِّساً فصار مُطَهِّراً ، وإن كانت الهاء مكسورة معناه مُطَهِّرٌ غيره . وتكون حدّث مفتوحة العين والفاء . وعلى المعنى الأول حدث مكسورة الخاء مجزومة الدال ، ويكون حدث بالكسر نسق على مطهر بالفتح فيكون الكلام مُطَهِّرٌ خالص . وحدث كلام ثان .

والخَدِنُ : بكسر الخاء وسكون الدال المهملة الصديق ، ومصدّرٌ : شديد الصدر وصاحب الصدر في المجلس ، والحكم معروف . ومَسْبَارُ الآلة من الحديد يستبر بها الجراحة .

## الاعراب

محمد مبتدأ مبين لما لم يُسَمَّ فاعله أو قائله . وقيرم حشد  
جملة حرفية خبرية ، وليس حشد مضاف إليه على ما توهمه سيديويه ،  
فإنَّ حَشْدَ قلب بعضها دحش ، وهو الإدخال بعنف ، فلماذا عزل  
عن معنى الإضافة . ومحدث خذل لم تر إعرابها في القاموس ، وإنها  
مستخرجة من الدرك الخامس من الباطوس ، فلا حاجة إلى إعرابها فإنه  
ظاهر ، ومطهر حدث خذل مرفوع على البدلية بإضافة حدث وخذن  
إلى مطهر . نُقِلَ من حياة الحيوان لابن البواب ، ومصدر الحكم مسبار  
غير محتاج إلى اعراب فإن الخير يعرفون اعرابه .

## المعنى

إنَّ هذا المدوح الذي هو محمد المبتدأ بذكره في براعة استهلاله ،  
سيداً فحلاً ، مُغَفَّل ، صادق الظن والطوية ، كبير العلم متواضع ،  
بحيث أنه يفصل خرا أصدقائه ونجاساتهم مع تصدّره في مجلس حكمه .  
ومهما حصل لهم من الجراحات الظاهرة والباطنة فإنه يسيطر الباطنة بعقله ،  
ويعالجها ويدخل المسبار الحديد في الجراحات الظاهرة ويعالجها أيضاً ، فهو  
مع سيادته ورفاسته جرائحي أيضاً . ما أظف هذه التخيلات من هذا

هذا الأستاذ ! ليس هذا في قوة البشر ولا اليقين في البيت التشجيع  
والموازنة والتجنيس في محدث وخدل والمطابقة بين الظاهر والحدث .  
قال الناظم ، آخره عليه لاطم .

سطاع سعدك سلع سماك سَمَحك سرح

سكات سرك سهم سباط سبجلك مدار

سبحان المنع . اللهم لا مانع لما أعطيت ، وأعطنا ما أعطي ذقن  
هذا الأستاذ ! ما أطف هذا الانسجام المختلط بالسحام ، وهو على  
غيره حرام ! .

## اللغة

سطاع : العامود الحامل لبنت الشعر الذي تسكنه العرب بالبادية ، ويطلق  
على العامود الحجارة المجاز .

وسَعَد : معلوم ، وهو نقيض النحس .

وسلع : جبل بالمدينة المنورة مشهور .

والسِمَاكُ : نجم وهو منزلة من منازل القمر .

والسَمَح : بفتح السين السباح . والسرح : أبال السروح ، والسارح

من بقر وغنم ومعز وتيوس وجمال باركه أيضاً ، فإنه يطلق عليها اسم السرح .  
وإن كانت في معانها ومعانها .

وسُكَّات يعني سكت أو سكوت ، وحيّة تاذع من غير شعور .

ومرَّك : مما استتر عن غيرك . وسهم : بصر . أو السهم الذي

يعنى النصب .



وسياط : معروف ، والسجل : الدلو الممتلئ ماء . وميدّار  
مبالغة في الدر .

## الاعراب

جميعه وإن كان مشتملاً على المبتدأ والخبر في جميع تشبيعاته ففيه  
نكات خفية عن فحول النحاة . فإن سطاق ، وسماك ، وسكات ،  
وسماط ، هذه الأربعة مرفوعة بحسب مضافاتها ، كما تجرّ أربعة بالحبال  
للمصائب . وسهم ومرح وسلع ومدّار مرفوعة أيضاً كأنهم رفعوا رؤوسهم  
للفرجة على المصلّين .

## المعنى

كأنه 'يخاطب ممدوحه ويقول له : إن عمود سمحك مثل الجبل المعروف  
بسلع ، أو هو بعينه مجازاً ، فلا تظن أنه من خشب كأعمدة البيوت  
المضروبة من الشعر .

وقوله : سماك سمحك مرح ، فلا يخلو من أربع قناطر من الركافة ،  
فإنه يريد الذي تسمح به وتجوّد من جنس الماشية ، من الأنعام . وصدر  
ذلك بالسماك . فهذا ليس بينه وبين السماك الذي هو النجم أو منزلة القمر  
نصبة التمتة ولا تعلق بوجه .

وقوله : سَكَتَ مَرَّتْكَ سَهْمٌ . في غاية الضعف من المعنى ، | (١) إلا أنه أُلطف بما قبله . فإنه يريد أن سَكَوتَ ممدوحه وهو بعيدٌ من العقل كلام ، أو أنه مصيب في سَكَوتِهِ كإصابته حالة تَكَلَّمَهُ ، كإصابة السهم إذا رُمي . وهو بعيد عن التعقُّل جدا .

وقوله : سَمَّاطٌ سَجَلُكَ مَدْرَارٌ ، فهو في غاية الحين وتمكين المعنى ، كأنه يقول : إذا وفد عليه ضيوفه وأمدَّهم بوائد كرمه من ذلك السَّرْحِ الذي هو البقر والغنم والإبل ، وأكلوا من لحومها الحامية ، فإنهم يعطشون عطشاً شديداً ، فيحتاجون ( ١٤١ ب ) إلى الماء ضرورةً . فذكر الناظم أن لممدوحه دلاءً كثيرة ممتلئة بالماء المدرار ، فهو بهذا الاعتبار معنى غريب عجيب . هكذا هكذا وإلا فلا لا .

وفي البيت التوزيع المعتبرُ عنه بالتوزيع ، لأنه قطع حرف السين شذراً مذكوراً وزَّعَهُ على كلمات البيت ، وبين سَمَّاطٌ وسَمَّاءُ الجناس المبدل ، وفيه كما في غيره من الموازنة والتشجيع .

قال الناظم :

نَجَافٌ نَجْدُكَ نَجْحٌ نَطَاقٌ نَسْلُكَ نَهْرٌ

نَجَارٌ نَجْحُكَ نَوْرٌ نَقَاطٌ نَجْلُكَ مَكْثَارٌ

هذا البيتُ يقالُ له عجائبُ الغرائب ، ولا بدع (٢) ، فإن ناظمه مالكُ أطرافِ البلادَةِ بأجمعها ، لا بل كأنه كوم من كيان مصر المحتوية على أجناس القمامات ولكن هكذا هكذا يكون الخِزَاعُ .

(١) إلى هنا انتهى ما سقط من الأصول ونقلناه عن الشرح .

(٢) في الأصول « عجائب البلدان ، ولا عجب » أثبتنا ما في المرح .

## اللغة

نجاف العتبة للباب ، ونجد ما ارتفع من الأرض والطريق والنجاح :  
امم من النجاح . ونيطاف : جمع نطفة كمنكة ، ونيكات على غير قياس  
ولا أساس . والنسل ما تناسل من الولد . وميكثار : مبالغة في الكثرة .

## الاعراب

نجاف معطوف على سطاق ، ونطاف على سماء ، ونجار على سكات .  
ونقاط على سماء ، كمطف نجدك على سعدك إلى آخره . والجمل من المعطوفات  
لا محل لها من الإعراب ، بل يتعين عليها الإضراب ، لأنها في غاية الإهمال ،  
على كل حال .

## المعنى

'مختل' كعقل ناظمه كآته يقول أيها المبتلى بهذا المدح المشؤم على  
قائله : إن عتبة محلك الرفيع ، وجنابك المنيع ، مبلغة لمن أمها أو حل  
بها النجاح ، وإن نطف نسلك أي أولادك في غاية الكثرة بحيث أنهم  
ينصبون من فروج أمهاتهم كالنصباب النهر .

يا مسلمين ! يا أمة الدين ! هل طرق مسامعكم مثل هذه المعاني الغلاظ ؟  
إنا لله وإنا إليه راجعون .

وقوله : نجار نجحك نور ، يعني : أصل طريقك أو اصالة نسبك نور ،  
أي إضاءة وسنا . هذا المعنى لطيف . لكن المدوح شريف كأنه يقول :  
أصالتك منورة بنور النبوة إلا أنه تمسّف وأخرج هذا المعنى بالمناقيش ،  
فهو لا فيش ولا عليش . مثل عامي .

وقوله : نقاط نجلك مكثار . لا يمكن ربط هذا المعنى ما لم يستمر بالمسامير ، ويُسكب عليه الرصاص بالقناطير ، وإلا "فإنه ينفك" مريعا . كيف يقول له ان ولدك كثير النقط ، إن كان مبتلى بداء النقط في إحليله فبها ونعمت ، وإن كان مراده أن ولدك من نقط متعددة فهذا مُشكك ومشعر بأشياء غير حميدة ، على أنه لا يستقيم على أي حالة وفي هذا البيت تشقيق اللفظ بين النون والجيم في نجاف ونجد ونجح ، والمشاكاة بين الفسل والنطف والنقط واللقط ،

قال الناظم [ زاده الله نبلا ] :

نِقَابِ نَعْتِكَ نُشْرُ نِحَاسِ نَجْرِكَ نَقَعِ  
نِمَالِ نُدْحِكَ نِظْمِ نَفَاسِ نَكْحِكَ مِذْكَارِ

هذا البيت جميعه صف الفاعل لغوية فشروية . [ وإن كانت في نفسها معنوية ] ، كما إذا جمع الإنسان قليلاً وجيراً وزنجفراً وحمصاً وبقلاء وطميناً أرمنياً وأراد بذلك طبخ الأفلونيا ، لا يتأتى له ذلك ، وإن كانت هذه الأجزاء لها حقايق في نفسها . وإنما الجنون فنون .

## والمعنى

إعلم يا ممدوحي أعانك الله على هذه القناطير المقتطرة من هذه المعاني المسطّرة أنني نقبت على نعوتك وخلاتك ، وأوصافك ، كما ينقب الطير في الجبل .

وأطال الشارح في شرح هذه الأبيات ومعانيها ونحن اقتصرنا على ذكر هذه الحصة ، والله أعلم .

## ١١٢

الشيخ حسين بن أحمد بن محمد بن أحمد

الشهير بشهاب الدين البفتاج ابن عبد الرحمن بن مهنتا الزيات . أقول :  
وردَ حسين هذا إلى دمشق مرات كثيرة . وكان منها أنه وردَ إلى  
دمشق في رمضان من سنة عشرين بعد الألف وهو شابٌ فاضلٌ صالحٌ  
عليه سبأ الصالحين ، احتوى على فضائل كثيرة ، منها حسن الخط  
واستقامة الوزن ، واعتدال الطبع ، وسلامة الذهن .

أنشدني لنفسه هذه الأبيات لغزاً في شعير :

ما أَسْمُ شَيْءٍ مِنَ النَّبَاتِ إِذَا مَا      زَالَ حَرْفٌ مِنْهُ غَدَا حَيَوَانَا  
رَبْعُهُ مَعْدِنًا تَرَاهُ وَشِمْسًا      وَتَرَى فِيهِ جَهْرَةً إِنْسَانَا  
وَبِتَصْحِيفِ بَعْضِهِ فَهُوَ نَارٌ      وَتُرَوِّي مِنْ بَعْضِهِ الظَّمَانَا

وأنشدني من لفظه لنفسه ما كتبه لبعض أصحابه ، وهو الشيخ  
أبو الوفاء بن أبي الفيث | الهيثي | (١) من حلب :

وَحَقٌّ لِيَالٍ قَدْ مَضَيْنَ عَفَايَا      وَحَرَمَةٌ أَيَّامٍ مَضَتْ بِصَفَاءِ  
لَأَنْتَ بَسُودَاوِينَ ، قَلْبِي وَنَاطِرِي      وَذَكَرَكَ وَرَدِّي بِكَرْتِي وَمَسَائِي

وأني على العهد الذي كان بيننا مقيمٌ على ودِّي وحسنِ وفائي  
وأخبرني أن جده مُهنّا كان مسمّى بعبد الرحمن ، فقال له الشيخ  
الصالح محمد أبو يحيى الكواكبي : أُنْتِ مَهْنَتًا فِي طَرِيقِ اللَّهِ . فاشتهر  
بمهنّا . وقلّ أن يُذكَرَ بعد ذلك بعبد الرحمن . هكذا نقل لي ذلك  
عن تاريخ ابن الحنبلي الحلبي في منزلي بدمشق ( ١٤٢ ب ) في يوم السبت  
الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة عشرين بعد الألف . وأخبرني من  
لفظه أن مولده في المحرم سنة ستٍ وتسعين وتسع مئة وأنشدني أيضاً  
لنفسه تضمين المصراع الأخير :

فُتِنْتُ بِظِيِّ أَهْيَفِ الْقَدِّ فَاتِسْ      بَعِينٍ لَهَا عَن قَوْسِ حَاجِبِهَا جَذْبُ  
صَبَوْتُ بِهِ لَمَّا رَأَيْتُ جَمَالَهُ      وَمَنْ ذَا يَرِي هَذَا الْجَمَالَ وَلَا يَصْبُو

## ١١٣

حبیب جاویش ابن محمود بك النخجواني<sup>(١)</sup>

ورد محمود بك المذكور في فتنة قزلباش لما استولوا على بلاد العجم ،  
ونزل صالحية دمشق عند جيسرِها ، وأعطاه السلطان سليمان زعامة .  
والزعامة عبارة عن قرى يُقَطِّعُهَا مَنْ يُعْطَاهَا ، وتخمّن على الأقل  
بعشرين ألف درهم عثماني كل سنة . وتزوج بالصالحية فولد له ولدان :  
أحدُهما حبیب هذا والثاني فروخ .

فأما حبیب هذا فإنه وصل مع الزعامة إلى أن صار جاویش السلطان .  
والجاویشية في دولة آل عثمان عبارة عن رجل يركب أمام السلطان  
وفي يده الدبوس . ومرتبته عظيمة لأنه يخرج من الجاویشية إلى أن  
يكون صنجقا صاحب طَبَلٍ وَعَلَمٍ وَلِوَاءٍ ، ولما جاء الوزير الأعظم  
مراد باشا مع عساكر الروم إلى حلب لإزالة الخارج الباغي علي بك ابن  
جانبلط ، سافر حبیب المذكور في ضمن العساكر الشامية فمات بأنطاكية  
ودُفِن عند حضرة حبیب النجّار ، فقال الناس : مات حبیب ودُفِن عند  
حبیب . وكان ذلك في رجب من سنة ست عشرة بعد الألف .

وكان حبیب المذكور كاتباً حسن الخط إلى الغاية ، بل كان من  
الجماعة المشهورين بحسن الخط . وكان يعرف اللغات الثلاث : العربية  
والتركية والفارسية . انتهى والله أعلم .

\* \* \*

## حرف الدال

١١٤

المولى الأعظم ، والكامل الأعلّم الهمام <sup>(١)</sup> الأنجد

مولانا درويش محمد

قاضي القدس وما يتبعه <sup>(٢)</sup> من غزّة ونابلس وصفد واللجون وعكّا وكفّر كنبّا وغيرها . ثم تولّى قضاء مكّة ، ثم تولّى قضاء مصر والقاهرة . وهو الشهيرُ بين موالي الروم ( ١٤٣ آ ) بجبّار زاده ، بلغه الله الحسنى وزيادة . وهو مشهور بينهم بالعلم والعمل ، لاسيّما فقه الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه .

ورد إلى دمشق في سنة عشر بعد الألف ، ونزل في بيت الأمير أحمد ابن رضوان صاحب لواء غزّة . واجتمعتُ به في البيت المذكور ، وبحثتُ معه في التفسير بحثًا متعلّقًا بقوله تعالى ( كَلِمٌ فِيهَا مَا يَشَأُونَ خَالِدِينَ ) <sup>(٣)</sup> وذلك ان المفتي ذكر في تفسيره أن " خالدين حال من الضمير المستكين " في الظرف ، وهو لهم . ولا شك أن الضمير المستكين راجعٌ إلى ما . وهي عبارة عن النعيم ، فيصيرُ المعنى استقرّ النعيم لهم

(١) ساقطة من ب ، وفي م « الكامل » أثبتنا رواية « . . . » .

(٢) ب « . . . يتبعها » .

(٣) سورة الفرقان . ٢٥ ، آية ١٦ .



حالَ كَوْنِ النعيمِ خالدين ، وذلك سهو . وأجاب عنه المولى المذكورُ  
بما حصله أن النعيمَ مصدرٌ بمعنى المتنعّم به . والمتنعّم به في الجنة أنواعٌ  
منها الأولادُ ، والخور ، وهي من العقلاء . فتوصف بخالدين . فيكونُ  
هناك تغليبُ العقلاء على غيرهم بما يتنعّم به . وهذا الجواب حسنٌ ولا  
جوابَ عن الإشكال سوى ما ذكره المولى المذكور .

ولما كان قاضياً بمصر أرسلتُ إليه مكتوباً وطلبتُ فيه شرحاً على  
المنهاج من شروحِ ثلاثة : إما شرح ابن حجر ، أو شرح الخطيب الشربيني :  
أو شرح الشيخ شمس الدين الرملي . فأرسل إليّ هذا المکتوب ، ومن  
خطه نقلتُ :

سقى هَضَبَاتِ الشامِ إنْ ضَنَّ صَيَّبٌ      مُجَاجَاتُ أَمْنِ كَاسِيَاتٍ طَلُولَهَا  
وَلَا أَنْفَكَ يَعِشِي رَبُّوتِي جَنَبَاتِهَا      كَمَا عَمَّ مَغْنَاها وَخَصَّ نَزُولَهَا  
وَسَحَّتْ عَلَى تِلْكَ المَعَالِمِ دِيمَةٌ      تَجَرَّتْ عَلَى هَامَاتِهَا ذِيولَهَا

لمركز دواوين العرفان ، ونهاية خط استقامة أفلاك الدوران ، نتيجة  
فكر الدهر العقيم الذي لم يأت بمثله ، ووجه موجّهات العلوم الدالّة على  
تقرّد مشكله ، حسن الصفات والأفعال ، منبع الفضائل والكمال :

لبورين يُعزى ولكنّه      بيوت المعالي جميعاً سَكَنُ  
حسناً أكّوس العلمِ صرفاً أما      دروا أنه في المعالي حَسَنُ

إهداء تحيّاتِ تشرقُ شمسها في أوج سماء الدوام ، حتى تنعقد تيجاناً  
على هامات الليالي والأيام ، وتسليماً تسري نفحاتها على أجنحة الملائك ،  
ويُنشَرُ عيرُها في أنوف الممالك ، تطوف بها أيدي السرور ، على منصات

الظهور ، ففتلقاها ميامن الحور الخالية عن الفصور ، يطوف بها القبول على الدراري ، وتكتسب ( ١٤٣ ب ) الكواكب من سناها .

هذا وإن عندنا من مزيد الاشتياق ، وتطلب الاجتماع والتلاق ، ما لا يحصى ولا يُعدّ ، ولا تُضبط أفراده ولا تُعد ، وقد ورد المشرفُ الكريمُ فكان أشرفَ واردي ، وعلى بلاغة مُنشئه أعظم شاهد ، تسرحُ في رياضه النواظر الحديدية ، وتجنمى من جداوله الصافية ثمار الفضائل الجديدة ، تأخذ حظها منه الحواس الخمس ، وتنبسط في فهم دقائق معانيه المعجزة النفس ، وقد نظرنا في القاهرة المعزّية ، لا زالت من آفات الزمان محيطة ، ما علقتم على تفسير الإمام الهمام قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي ، وما كتبتم من الشرح على ديوان القطب العارف الربّاني الشيخ ابن الفارض عمر ، سقى الله مرقده صيب الدرر ، فتاقت النفسُ إليه آتوقان الصادي إلى الماء الزلال ، وتطلبته تطلب الأعين لرؤية هلال شوال ، فإن لكل جديد لذّة ، ولكل ممتنع عن الأبصار عزة ، والتصدُّ التفضلُ بسرعة إرسالهما إلينا ، وإيراد محاسنها الفريدة علينا ، لتسرح النظر في روائع بدائعها ، ونتمتع الفكر بأنوار طلائعها ، ونحن مهتمون بتحصيل واحد من الشروح المطلوبة ، فلونها لم توجد مكتوبة . فذلك تأخرت قليلا ، ونرجو عن التأخير عفواً جميلاً .

[ من المحب بالإخلاص درويش محمد القاضي بمصر والقاهرة ، عُفي عنه في الدنيا والآخرة ] (١) .



(١) قوله من المحب .. إلى الآخرة من ه ، وليس في م ، ب .

## ١١٥

الشيخ الأديب الكامل الأريب الشيخ

درويش محمد الشهير في دمشق

بابن طالو

الرومي الأصل ، دمشقي المولد والمنشأ .

كان والده روميًا قدم إلى دمشق في صحبة السلطان سليم الذي أخذ بلاد العرب من يد سلطان الجراكسة الغوري قانصوه فكان خادماً لبعض أتباعه ، فتزوج أم درويش المذكور ، وهي عتقاء بنت المرحوم الأمير علي ابن طالو ، وقطن بمحلة التعديل<sup>(١)</sup> من دمشق الشام ، سقاها صوب الغمام . ثم انكسر عليه بعض المال من ضمان أمانة اقطاع كانت عليه . فسار من دمشق مع البازي عليه سواد ، ولم يعد إلى هذه البلاد .

ونشأ ولده درويش هذا فقيراً يتيمًا وحيداً ، عاجزاً خاشعاً فريداً ، وأعطى من اقطاع والده حصة يسيرة ، وفرغ عنها لأنه لم يجد من يكون نصيره ، ولزم دكتان من يعلّمه صنعة السروج ، وقال لعلّ الشغل في الحلال ينفع ويروج ، ولم يطل المكث في هذا الباب . ودلّه على طلب العلم بعض الطلاب ، ( ١٤٤ آ ) وترك ما كان غير طريق العلم وما يؤدي إليه ، وصار يصحب أهل العلم والأدب وامن بدلّ عليه . فتاه في بيداء أهل الهوى ، وصار في طريق الغرام من أرباب الجوى ، وكان صوته يجرح الفؤاد ، ويهيم بالعاشقين في كلّ واد ، وتعلّق أولاً بكلام الشيخ

(١) محلة بدمشق واقعة جانب محلة القنوات .

محيي الدين بن عربي ، وشرع يكتب الكلام الموزون والقانون الأدبي .  
وذاق لذة العلم على طريق التصوف ، وقرأ شيئاً من العربية على شيخ الإسلام  
الشيخ أبي الفتح بن عبد السلام التونسي المغربي المالكي ، وقرأ شيئاً من  
الفقه على شيخ الإسلام الشيخ نجم الدين البهنسي ، وتنوع في كل طريق ،  
ورام مرام أهل التحقيق . ولم يزل حائماً في ذلك الوادي ، منفرداً عن  
أهل كل نادي ، حتى التصق ببعض موالي الروم ، وبحث معه عن طريق  
المنطوق والمفهوم ؛ وناب في القضاء على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله  
عنه في محكمة ميدان الحصا ، وصار إلى الروم في صحبة المولى محمد أفندي  
ابن المولى بستان ، فصار من جملة جماعته ، وصار ملازماً على قانون موالي  
الروم . ودرّس في مدرسة بقسطنطينية المحمية <sup>(١)</sup> . ولم يزل إلى أن صار  
مدرّساً بأربعين عثمانياً . ومن قاعدة موالي الروم أنهم يعزلون المدرّس  
ما بين الأربعين والخمسين نحو سبع سنين . ففي هذه المدّة ورد إلى إسقط رأسه ،  
ومشعل نبراسه <sup>(٢)</sup> ، بدمشق الشام ، سقاها صوب الغمام ، فاتفق أن ابن  
خالته الأمير ابراهيم الطالوي توالى الإمارة بولاية نابلس . فتوجه معه ،  
وأعطاه الأمير ابراهيم خيلاً ومالاً وزوّده وودّعه . فذهب إلى غزّة ،  
ومدح صاحبها الأمير أحمد بن المرحوم رضوان باشا بقصيدة ميمية ، فأعطاه  
فرساً وبعض مالٍ . وذهب من غزّة إلى القاهرة فامتدح قاضيها ، واستقرّ  
بها نحو سنة .

وعاد من مصر إلى دمشق فاجتمعت به ، وطلبني لمذاكرته في تفهيمه  
بعض المشكلات في عبارة الشرح المطوّل للمولى سعد الدين التفتازاني .  
واستمرّ هناك إلى أن قربت المدّة بين الأربعين والخمسين فتجهّز لسفر الروم .

(١) هـ « ودرّس بقسطنطينية المحمية » .

(٢) هـ « مشعل نبراسه » ، ب « ومشعل نبراسه » .

وكانت أخلاقه متفاوته فكان يقرب ويبعد ، ويرضى وينغضب ، ويمر ويحلو ، ويمشق ويسلو ، ويمدح ويهجو ، وقد هجا قاضي القضاة بدمشق وهو القاضي أحمد الشهير بالإياشي ولكنه أفحش في هجوه إلى الغاية ، والحال أنه ( ١٤٤ ب ) كان قد مدحه إلى الغاية وبالغ في مدحه ، ثم أفحش في هجوه ، ومطلع مدحه له :

كيف أخشى بالشام همّ المعاشِ وملاذي بها جناب الإياشي

وذكر في هجوه له زوجته . ولعمري إنه تعدى ، في ماله تصدتي ،  
ورقع في هفوة القباحة وتمردى ، وقد أخذ بيتين من نظم شيخه الشيخ  
العلامة أبي الفتح المالكي ابن عبد السلام التونسي وجعلها مبدأ هجوه  
للقاضي المذكور . والبيتان هما :

الشامُ تبكي بدموع غِزار بكاءً ثكلى ما لها من قرار

بكاءً مظلومٍ له ناصرٌ لكن بعيد الدار والخضم جار

وهجا قاضي العسكر المنصور هو المولى كمال الدين ابن المولى أحمد  
أفندي الشهير بطاشكبري زاده . وكان هجوه للعوالي ، سبباً لطرده من  
منازل المعالي ، وإبعاده عن مفاخر الأيام والليالي . فإنه لما أُعطي مدرسة  
خير الدين باشا بخمسين عثمانياً دفعوه إلى الشام ، وأبعده عن قصده والمرام .  
فأعطوه المدرسة السلجانية بدمشق المحمية ، وجاء إلى الشام بعظمة لا ترام ،  
روضع على رأسه قبة تنازع قبة النسر كبرا ، وسار سيرة صارت  
بين الناس مثلاً وخبراً ، فكان يرفع رأسه إلى جانب السماء كأنه ينتظر  
حديثاً يسمعه ، أو يرقب مالا يضمه إليه أو يجمعه .

وعمر بيتاً صغيراً في بيته بحلة التعديل ، وكان يقول هذا البيت بيت  
الفتاوى وموضع الكتب . ومن العجب أنه نقل كتبه إلى البيت المذكور ،  
فكان يصفها ويرتبها وينظر فيها وهو ينشد هذا البيت ، وأظنه من نظمه  
ومن نتيجة فهمه وهو :

أُقلِّبُهَا حَفْظًا لَهَا وَصِيَانَةً      فَيَالَيْتَ شَعْرِي مَنْ يُقَلِّبُهَا بَعْدِي ؟  
فمات بعد ذلك بعشرين يوماً . والله أعلم .

ولما دخل رمضان من سنة أربع عشرة بعد الألف مرض وانزعج انزعاجاً  
كبيراً . ضرب خَدَمَتَهُ (١) وهو محموم ، واختلط عقله وهو مذموم .  
ففضى الله أته مات ليلة عيد الفطر من السنة المذكورة ولم تبك عليه عين ،  
ولا شكوا أحدٌ من أصحابه ألم الفراقِ عنه ولا البِئْسَ . وذلك لأنه  
ما كان يتألفُ القلوبَ . بل كان هجوه أكثر من مدحه ، وشكره أقلُّ  
من قبحه . وكنت قد زرتُ ابن خالته الأمير ابراهيم الطالوي في حلة  
التعديل وهو ماكثُ في بستانه بالحلّة المذكورة . فقال لي : نريد أن  
ندعو الشيخ درويش ( ١٤٥ آ ) يحضرُ معنا في هذا الموضع . فقلت له :  
نعم . وشرعتُ انظمُ أبياتاً لدعوته ، وأحررتُ كلماتٍ قليق بحضرته .  
فجاد القلم ، بما زاد على ما رسم . والذي كتبتُ إليه هو قولي :

مَوْلَايَ يَا كَعْبَةَ الْمَعْرُوفِ وَالكَرَمِ      وَمَنْ إِلَى الْمَجْدِ مَا بَيْنَ الْأَنَامِ نُمِّي  
وَيَا أَخَا الْجُودِ يَا مَنْ غَيْثُ رَاحَتِهِ      إِنَّ شَحَّ يَرْبُو عَلَى هَطَّالَةِ الدَّيْمِ  
قَدْ أُمَّ جَانِبِكُمْ مَنْ لَا يَزَالُ بِكُمْ      يَرْنُو إِلَى شُرْفَاتِ الْعِزِّ مِنْ أُمَّمِ

(١) « لأنه ضرب خدامه . . . » م « ضرب خديه . . . »

وجاء يرجو لقاءً في منازلكم  
وبادروا قبل لَمَحِ الطَّرْفِ إِنَّا لَنَا  
ونحنُ في صَفْوِ عَيْشٍ مَا يُرْوَقُهُ  
عندي خزائنُ أفكارٍ أضنُّ بها  
جواهرُ الفضلِ لا تُتلى محاسنها  
فَسِرْ إِلَيْنَا دَعَاءً مِنْ أُخِي ثَقَّةٍ  
قَدْ عَمَّرَ اللَّهُ مِنْهُ بَيْتَ بَاطِنِهِ  
أَيُّهُ وَإِنْ كُنْتَ لَا تَرَعِي مُودَّتَهُ  
يَأْتِي إِلَيَّ سَهَامٌ فُوقَ أَبدَا  
قَدْ كُنْتَ تُسْمِعُنِي صَوْتًا لَهُ فَرْحٌ  
واليومَ يبلغني عنكم مجاهرةً  
لا سِيًّا عِنْدَ تَاجِ الْعِلْمِ سَيِّدِنَا  
وَكَمْ وَكَمْ غَيْرَ أَنَّ الْكَمَّ نَحْصِرُهُ  
أُصْغِي إِلَيَّ كَلِمَ الْوَاشِي وَأَتْرِكُهُ  
أرومُ سلوتكم والقلبُ يَمْنَعُنِي

فشرَّفوه بأقدام من القدمِ  
طَرْفًا يلاحظُ منكم صادقَ الهِمَمِ  
إِلَّا قَدُومَكَ يَا ذَا الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ  
عَنْ كُلِّ جَامِدٍ فَهَمٌّ غَيْرِ مُنْسَجِمِ  
إِلَّا عَلَى مُفْرَدٍ فِي الْفَضْلِ وَالشِّيمِ  
عِقْدُ الْحَبَّةِ مِنْهُ غَيْرُ مُنْفَصِمِ  
فَرَبْعُ صِدْقٍ وَدَادِي غَيْرُ مُنْهَدِمِ  
وَلَا تَرَاهُ كَمَا قَدْ كُنْتَ فِي الْقَدَمِ  
منكم تسوقُ إلى التَّكْدِيرِ وَالْعَدَمِ  
يَفُوقُ بِاللَّطْفِ مَوْزُونًا مِنَ النِّعَمِ  
نَوَادِرٌ<sup>(١)</sup> أَصْبَحَتْ كَالْمُفْرَدِ الْعَلَمِ  
نَسَلِ الْمَكَارِمِ ذِي الْإِحْسَانِ وَالنِّعَمِ  
وَالْحُبِّ نَكْتُمُهُ كَالشَّعْرِ بِالْكَتَمِ  
كَأَنَّ مَا قَدْ رَوَاهُ لَيْسَ بِالْكَلِمِ  
مَا حِيلَتِي فِي وَدَادٍ غَيْرِ مُنْصَرَمِ

وما أردتُ بتبليغي شكايكم لكن لتعلم عذري عند منهزم  
فأسلم مدي الدهر في عز وفي دعة واحكم بما شئت في الأيام واحتكم  
ما غرّدت ساجعات الورق صادحة فميتت عذبات الرند والسلام  
قال المولى درويش المذكور : فوردت عليّ والليل منصوب اللواء ،  
متشح بكواكب الجوزاء . فكتبت الجواب من ساعته ، على مقاسمة بضاعته .  
وذلك ( ١٤٥ ) قوله رضى الله عنه :

توشحت كالنجوم الزهر في الظلم سمطين من لؤلؤ رطب ومن كلم  
وقلّدت جيد آرام النقا دررا بدت بهن دراري الأفق بالقيم  
وأقبلت في مروط الزهو رافلة تجرّ تيهاً فضول الريط من أمم  
جيداء منصات القرطين مائسة العطفين ، مخضوبة الأطراف بالعمم  
كأنها حين وافت والفؤاد بها صب صبابة شرح مرّ كالحلوم  
فما الرياض بكأها الطرف ليلته بكاء طرف قريح بات لم ينم  
شوقاً لطيف خيال بات يرقبه من ناقض العهد والميثاق والذمم  
يضاحك المزن فيها الأقوان ضحى عن ثغر مبتسم بالدر منتظم  
فالورق صادحة والودق ضاحكة ثغوره بين منهل ومنسجم  
تجاذب الرياح أعطاف العصون بها فتنتني والهوى ضرب من اللمم  
يوماً بأحسن مرأى من شمائلها وقد أتت بعتاب من أخي كرم



مُهْتَبِ الْقَوْلِ إِلَّا أَنَّهُ أُذُنٌ  
لَا يَعْرِفُ الْقَوْلَ إِلَّا مَذْقَ سَاعَتِهِ  
هَيْمَاتٍ مَا الْوَدُّ مِمَّنْ كُنْتُ أَعْمِدُهُ  
فِيَالِهِ مِنْ عِتَابٍ لَمْ يَفْزُ أَبَدًا  
سِوَى أَمْرٍ سَاءَ ظَنًّا فِي صِنَائِعِهِ  
وَشَاتِمِ الْعَرَضِ فِي مَا قِيلَ مِنْ قِدَمٍ  
لَا تَعَزُّ مِنْ قَالِ الْإِحْسَانِ وَالنَّعَمِ  
كَمْ مِنْ أَخٍ صَارَ مِ وُدِّي صَبْرْتُ لَهُ  
يَا مَنْ تَعَمَّرَ مِنْهُ بَيْتٌ بَاطِنِهِ  
وَمَنْ لَهُ مِنْ وَدَادِي كُلِّ خَالِصَةٍ  
أَصْبَحَ إِلَى الْحَقِّ وَأُسْمِعَ مَا أَقُولُ فِلي  
وَأَنْتَ رَجَاءُ الْفَضْلِ الَّتِي بَسَقْتُ<sup>(١)</sup>  
لِاصْوَحَتْ وَأَقَامَتْ فِي مَنَابِتِهَا  
مَالِي عَلَى طَلَلٍ دَمَعُ يِرَاقٍ وَلَا  
وَلَا أَعْوَجُ عَلَى سِقْطِ السُّوَى وَبِهِ

تُصْغِي إِلَى قَوْلٍ وَاشٍ بِالنَّفَاقِ سُمِّي  
وَالشَّاهِدُ الْعَدْلُ مَا يَتْلُوهُ مِنْ قَسَمٍ  
بَاقٍ وَقَدْ حَالَ عَنْ عَهْدِي وَلَمْ يَدْمِ  
بِمِثْلِهِ أَحَدٌ فِي سَالِفِ الْأَمَمِ  
فَسَاءَ ظَنًّا بِجَلِّ غَيْرِ مُتَمِّمِ  
مَنْ بَلَغَ الْقَوْلَ لَا مَنْ عَنْهُ ذَاكَ نَمِي  
بَلِ ذَاكَ يُعَزِي لِبِهِمِ الْقَاعِ وَالنَّعَمِ  
حَتَّى أَرْعَوِي، وَوَدَادِي غَيْرُ مُنْصَرَمِ  
وَظَاهِرُ الْبَيْتِ أَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَرْمِ<sup>(١)</sup>  
أَصْفِيَتِهَا صَفْوَةَ الْأَخْلَاقِ مِنْ شِيَمِي  
صَبْرٌ لَهُ رُكْنٌ رَضْوَى غَيْرُ مُنْهَدِمِ  
أَغْصَانُهَا فِي حَمِي الْمَعْرُوفِ وَالْكَرَمِ  
تَسْقَى بِمَاءِ غَزِيرِ السَّكْبِ مُنْسَجِمِ  
يُورِقُ الْجَفْنُ ذِكْرُ الْبَانِ وَالْعَلَمِ (٢١٤٦)  
سِوَارِحُ قَدْ كَحَلَّنَ الطَّرْفَ بِالسَّقَمِ

(١) هذا البيت ساقط من هـ . وفي ب د و ظاهر الأمر أن البيت لم يرم .

(٢) هـ ، م ، ب ، سبقت .

يُريك برق ثناياها إذا أتسمت  
لكن أعوج على عهد به عهدت  
تبسم البرق مجتازاً على إضم  
حماسن الفضل والإفضال والنعيم  
وَشامها النجم عقداً غير منقسم  
وأسلم على حالي ودي وصد قل  
ما زان عقد نظام جوهر الكلم

قلت : وقد كان درويش الطالوي المذكور قد أرسل قصيدة إلى سلطان الغرب ، هو مولاي أحمد المنصور ، على لسان رسول من أتباع المنصور المذكور ، يقال له عبد العزيز الثعالبي ، وصرح باسم الرسول المذكور لكونها ذاهبة على يده . فلذلك وقعت عند السلطان باردة ولم تقع لها الخطوة الزائدة .

ومن جملة القصيدة المذكورة قوله :

ومرت بوادي الشجر مجتازة اللوى  
تجاذب من نجد شميم عراره  
لوى الرمل فيه البان مرخي الذوائب  
فيرنو لها الخوذان عن لحظ غاضب  
ووافت حمى الزوراء ليلاً فساجلت  
على الكرخ داراً بالدموع السواكب  
وطابت رياض الخابريّة وانتنت  
تباري الصبا والليل في مسح راهب  
وللمغرب الأقصى ثنت من عنانها  
تؤم حمى البيضاء عزت لطالب  
بحيث ترى البيت الإمامي معقلاً  
تطيف به الأملاك من كل جانب  
مجر العوالي السمهرية والقنأ  
ومجرى الجياد المقربات السلاهب  
وعليها اسود أنس يوم سلمها  
وفي الحرب تلفى داميات المخالب

توشحتِ الغدران تحت جداولِ  
بها يكلاً اللهُ الخلافةَ في حمى  
حمى الملكِ المنصورِ مولاي أحمد  
أسود على متن السراحين غابها  
تلوى بأيدي الدارعين كأنها  
ترى السرَدَ نهياً والفتيرَ حبابه  
مؤيد شرعِ الله مشتجر القنأ  
سليل القضا أن ينتضي يوم معركِ  
ومجري الجواري المنشآت الى العدى  
إذا انتضيت فالهام غمد لضاربِ  
ملكِ قصي العزمِ داني المواهب  
إمام الهدى رامي العدى بالمقانبِ  
من الأسلِ الخطي دامي المخالبِ  
صلالُ تقاً مذعورةً عن مساربِ  
فكرع في حوضٍ من الدمِ راعب  
ومعترك الهيجا بماضي المضارب (١٤٦ ب)  
وفيه المنايا مزقت في الكتابب  
بموجٍ من الأبطال طامي الغوارب

وقد كتب المرحوم أديب الزمان ، ووحيد الأقران ، الشيخ محمد الصالحى الملاي قصيدةً سنينة وأرسلها إلى الأديب درويش صاحب الترجمة ، وأجابه عنها مرأعياً للوزن والقافية ، وقصيدة ابن الصالحى هي قوله في سنة تسماية وسبع وثمانين :

حذار فؤادي فالظباء فوارسُ  
وإياك والإقدام في حلبة الردا  
فلله من قلب عصاني كأنه  
فياقلب كم هذي الغواية في الهوى  
وما غير آسادِ العرين فرائسُ  
فخيلُ المنايا للنفوس تحالسُ  
خصيم لطرِد القولِ مني يعاكسُ  
فحتى متى في الموت هذا التنافسُ

أَلَمْ يَأْنٍ مِنْ سَكْرِ الْغَرَامِ إِفَاقَةً  
فِيَا ظِيٍّ مَا هَذَا النِّفَارِ إِلَى مَتَى  
سَرَى الطَّيْفُ فِي وَهْنٍ مِنَ اللَّيْلِ يَبْتَغِي  
فَجُومَ جَفْنِ الصَّبِّ سَاعَةً قُرْبِهِ  
وَدَارَتْ كَوْوَسٌ لِلْعَتَابِ وَأَيْنَعَتْ  
فَمَا رَامَ إِلَّا أَنْ أَفَاقَ إِفَاقَةً  
لَقَدْ أَبْلَتْ الْأَيَّامُ فِينَا بِلَاهَا  
وَقَائِعُ أَنْسْتِنَا حُرُوبَ ابْنِ وَاثِلِ  
أَمَا عَلِمْتَ أَنِّي وَإِنْ كُنْتُ عَاجِزًا  
طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ يَوْمَ كَرِيهَةٍ  
إِذَا خَفَقَتْ فِي الْبَحْثِ رَايَاتُ فِكْرِهِ  
كَثِيرُ رِمَادِ الْقِدْرِ دَانَ نَوَالُهُ  
إِذَا عَصَفَتْ نَحْوَ الْقَفَارِ رِيَّاحُهُ  
فِيَا ابْنَ الْكِرَامِ الْأَقْدَمِينَ وَمَنْ لَهُ  
نَظْمَتْ عَقُودًا مِنْ عِلَاكَ اسْتَفَدَّتْهَا  
(١٤٧ آ) فَدُونِهَا كَالزَّهْرِ تُجَلِّي لِنَاظِرِ

فِيصْحُو فَوَادٌ لِلْمَهْمِ مَجَالِسُ  
أَمَا أَنْ أَنْ تَعْطُوا الظُّبَاهُ الْكِرَانِسُ  
طُرُوقَ عَلِيلِ أَقْلَقَتَهُ الْوَسَاوِسُ  
يَظُنُّ بِأَنَّ الطَّيْفَ ضَيْفٌ مَوَانِسُ  
قَطُوفُ الْأَمَانِيِّ وَالظَّنُونُ الْهَوَاجِسُ  
إِذَا الدَّارُ شَسَعِي وَالْقَفَارُ الْبَسَابِسُ  
وَجَارَتْ عُرُوفٌ بَيْنَهُنَّ تُجَانِسُ  
وَأَرَبَتْ عَلَى أضعَافٍ مَاجِرٌ دَاحِسُ  
سَيَنْصَرُّنِي شَهْمٌ مِنَ التَّرِكِ فَارِسُ  
إِذَا قَصَّرَتْ عَنْهَا الْكِهَامَةُ الْعَوَابِسُ  
تَلَّتْهَا جِيُوشٌ لِلطَّعَانِ تَدَاعِسُ  
وَلَيْسَ عَلَى أَبْوَابِهِ الدَّهْرُ حَارِسُ  
سَقَاهَا الْحَيَا وَالْهَاطَلَاتُ الْبَوَاجِسُ  
عَلَاءٌ عَلَى هَامِ السَّمَاكَيْنِ جَالِسُ  
وَأَقْبَسَنِي مِنْ نُورِ وَضْفِكَ قَابِسُ  
كَمَا جَلِيَّتْ فِي الرُّوضِ مِنْهُ عِرَائِسُ

فان صادفت منك القبول فحسبها  
عسى السيد المولى يكتب عبده  
وشرف بنظم قد حكته ازاهر  
فانت حياة الفضل<sup>(١)</sup> تنشر ميته  
ولا زالت الآداب منك نواضراً  
إذاما عفت تلك الدروس الدوارس  
مدى الدهر لا تذوى لهن مغارس

فكتب مولانا المرحوم درويش افندي الجواب ، وأجاد في الصواب ،  
راجياً لطف الملك الوهاب :

أنت تشني كالغصن والغصن مائس  
وترنو بطرف أو طف وهو ناعس  
رداح نجوط البان تروي رشاقة  
وتهزأ بالخطي حين تقايس  
من القاصرات الطرف مهزومة الحشا  
لطيقة طي الكشح هيفاء أنس  
يفوق سناها البدر ليلة تمه  
ويأوي لداني أفيقه وهو ناكس  
إذا مارنت نحو الحليم استفزه  
هوى واستالته ظنون هو اجس  
أنت منزلي تحتال والليل دمس  
كهاز أدني وهنأ حبيب يوانس<sup>(٢)</sup>  
فما الروض بالأزهار كلاله الندى  
كما كلالت تيجانهن عرائس  
بكاه الحيا حتى تضاحك نوره  
وحدت عز أليها عليه البواجس

(١) « العلم » .

(٢) ب « موانس » وهذا البيت ساقط من .

كَسَتْهُ يَدُ الْوَسْمِيِّ<sup>(١)</sup> بُرْدًا كَأَنَّمَا  
 فَأَصْبَحَ غَبَّ الْقَطْرِ يَزْهُو كَجَنَّةٍ  
 بِهِ الزَّهْرُ فِي الْأَكْمَامِ يَسْطَعُ نوره  
 يَطُوفُ بِهِ وَاشِي النَّسِيمِ فَتَشْتَنِي  
 وَقَامَ خَطِيبُ الدَّوْحِ فِيهِ مُعْرَدًا  
 تُجَاوِبُهُ وَرُقٌّ بِالْحَانَ مَعْبَدٍ  
 تَذَكَّرُنِي عَهْدَ التَّصَابِي فَأَنْشِي  
 بِأَحْسَنِ مِنْهَا بِهِجَةً حِينَ أَقْبَلْتِ  
 وَكَيْفَ وَمَنْ وَشَىٰ مَعَاظِفَهَا فَتَىٰ  
 رَقِي مِنْ ذُرَى الْأَدَابِ أَرْفَعَهُضِبَةً (١٤٧ ب)  
 فَيَا ابْنَ الْأَهْلِ شَادُوا الْفَخَارَ بِعَزْمِهِمْ  
 بَعَثْتَ عَقُودًا بَلَّ جَمَانًا مِنْظَمًا  
 وَكَلاَفْتَنِي عَنْهُ الْجَوَابَ وَحَبْدًا  
 أَجَبْتِكَ بِالرِّضَاضِ عَنْ دُرِّ رَحِيكَ

حَبَّتُهُ بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ  
 جَنِي جَنَاهَا لَمْ يُصَافِحْهُ لَامِسُ  
 كَزُهرٍ لَهَا سَيْفُ الْمَجْرَةِ حَارِسُ  
 غُصُونُ رَبَاهَا الْهَيْفُ وَهِيَ مَوَائِسُ<sup>(٢)</sup>  
 عَلَيْهِ قَمِيصٌ حَاكَاهُ الطَّلُّ وَارِسُ<sup>(٣)</sup>  
 وَتَشْدُو عَلَى الْأَغْصَانِ وَهِيَ أَوَانِسُ<sup>(٣)</sup>  
 وَفِي الْقَلْبِ مِنْ فَرْطِ الْغَرَامِ وَسَاوِسُ  
 وَحَيْتُ كَمَا حَيْتُ ظَبْيَةٌ كَوَانِسُ  
 نَمَّتْهُ إِلَى نَحْوِ الْمَعَالِي مَغَارِسُ  
 فَمَنْ ذَا يُضَاهِيهِ وَمَنْ ذَا يُجَانِسُ  
 وَلَيْسَ لَهُمْ فِي غَيْرِ مَجْدٍ تَنَافُسُ  
 حَكْمِي دُرِّ دَمْعِي حِينَ بَانَ الْمَجَالِسُ  
 سَوَالٌ وَلَكِنْ أَيْنَ مِنِّي تَجَانِسُ؟  
 عَرَائِسُ زَهْرٍ قَدْ جَلَّتْهَا الْحَنَادِسُ

(١) هـ « يد الأنواء وشياً » .

(٢) ب ، م « دارس » .

(٣) هـ « موائس » .

فَإِنْ يَكُ مِنْهُ مَا يَرُوقُ لِنَاظِرٍ      فَأَتِي لَهُ مِنْ نَوْرِ وَصْفِكَ قَابِسُ  
فِدُونَكُمَا تَمْسِي الْهُوَينَا وَتَنْشِي      حِيَاءً وَطَرْفُ الْعَيْنِ مِنْهَا يُخَالِسُ  
إِلَى بَابِكُمْ تَرْجُو الْقَبُولَ تَفَضُّلاً      عَسَاهَا بَقْرُبٍ مِنْكَ تَحْظِي وَتَأْنَسُ  
فَلَا زِلْتَ بِالْآدَابِ تُتَحِفُ صَاحِباً      مَدَى الدَّهْرِ مَا طُنَّتْ بَعْلِمِ مَدَارِسُ  
وَمَا نَاحِ قَمْرِي الرِّيَاضِ مُغَرِّدَاً      فَحَنَّ مَشُوقٌ نَازِحُ الدَّارِ آيسُ

قلتُ : وقد راسلَ كثيراً من علماء عصره ، وكتبَ جملةً من أدبائه  
معه ، وأجابوه على الوزنِ والقافية ، ومدحوه بالجملة الكافية ، وغالبُ  
المراسلات ، في مجموع جمعه وسماه « السانحات » (١) ، ولقد باعوا كتبه بعد  
بماقه ، وطلع للناس كتبٌ فيها كان قد استعارها حالَ حياقه ، وبيعت  
كتبه مختلفة الأثمان ، فمنها ما بيع بالزيادة ومنها ما بيع بالنقصان .

ولقد أخذت منها « حاشية الكشاف للسعد التفتازاني » ، و « حاشية  
المواقف (٢) للمولى علي الخراساني » ، وغير ذلك من كتب الأدب .  
ولعمري لقد اجتهد في الفن المذكورِ ودأب ، حتى استُحْسِنَتْ  
قصائدهُ ، وسارتْ شوارِدُهُ ، وكان مائلاً إلى قصيد (٣) ابن أبي الحديد ،

---

(١) هو سانحات دمي القصر في مطارحات بني العصر . لم يُطبع . ورأيت منه  
مخطوطة في لينينغراد في مكتبة الكلية الشرقية .

(٢) هـ « حاشية المولى للمولى . . . » .

(٣) هـ م ، ب « قصيد » . والمعروف أن لابن أبي الحديد « القصائد السبع  
العلويات » طبعت بصر سنة ١٣١٧ في مدح آل البيت . ولله يغير إلى  
هذه القصائد .

ذكرها لها بالكتابة والنشيد ، وكان له تشيع لطيف ، وحب لآل البيت النبوي الشريف ، وقصائده مشهورة ، وفي الدفاتر مسطورة .

وكان قد كتب من الروم قصيدة إلى دمشق الشام وخصني بإرسالها إلي دون أهل الشام ، وذكر فيها علماء الشام قاطبة ، وإن لم يكن بينه وبين بعضهم مناسبة ، ومطلعها :

أُنْسِيْمَةَ الرُّوضِ المَطْيِيرِ بِالْعَهْدِ مِنْ زَمَنِ السَّرُورِ

إلى أن قال ذاكراً للفقير ، المعترف بالقصور والتقصير :

وأبو<sup>(١)</sup> الضيا حسنٌ إما مُمُ الفَضْلِ والجود الغزيرِ (٢١٤٨)

أدب يروُفَكَ مثل زَهْرِ الرُّوضِ غِبَّ حَيَا مَطْيِيرِ

عَجَبِيَا لَهُ فَاقَ الأَوَا ثَلَّ وَهُوَ<sup>(٢)</sup> فِي الزَّمَنِ الأَخِيرِ

وقال في ذكر أمراء دمشق :

وَمَشَيْدِي أَرْكَانَهَا أَمْرًا مُعَلِّمَهَا الخَطِيرِ

مَنْهُمْ جَنَابُ الطَالُو يُّ سَلِيلُ أَرْتُقَ ذِي السَّرِيرِ

فِي الحَرْبِ كَاللَيْثِ الهِصُو رِي السُّلْمِ كَالغَيْثِ المَطْيِيرِ

مُحْيِي<sup>(٣)</sup> مَكَارِمَ حَاتِمِ بَيْنِ الأَنَامِ بِلَا نَكِيرِ

(١) « د وَأَبِي » .

(٢) « وَهُوَ » ساقطة من « . »

(٣) « دُيْحِي » .



وَالْمَنْجَكِيُّ مُحَمَّدُ السَّامِيُّ عَلَى الْفَلَكَ الْأَثِيرِ

فَهُوَ الْأَمِيرُ ابْنُ الْأَمِيرِ — رِ ابْنِ الْأَمِيرِ ابْنِ الْأَمِيرِ

قلت : وقد أرسل الى دمشق قصيدة فريدة ، متضمنة لأبيات  
مجيدة ، وخص بها المولى الأجد ، والماجد الأسعد ، الكامل المعين ،  
الدفترى محمد أمين . وهي في الحقيقة أنيقة ، سقيت بماء السليقة ، وهي هذه :

سَلَامٌ كَرَّ بِالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ      عَلَى مَعَهْدٍ بِالشَّامِ طَالَ بِهِ عَهْدِي  
مَغَانِي الَّتِي عَاطَيْتُ مَشْمُولَةَ الْهَوَى      بِهَا <sup>(١)</sup> غَضَّةُ الْأَطْرَافِ نَاعِمَةُ الْخَدِّ  
مَرَادِ الْفَتَاةِ الرَّوْدِ مِنْ سِنَخِ الْمَهَا      وَمَغْنَى الْغَوَانِي مِنْ سَعَادٍ وَمِنْ هِنْدِ  
سَقَى الْعَهْدَ عَهْدِي مِنْهَا بَلَّ سَقَاهُمَا      سَحَابٌ وَنُوتِي لَا أَرَى مَنَّةَ الْعَهْدِ  
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ سَقَى الْمَزْنَ مَنْزِلًا      بِجَلْقٍ أَوْ جَادَ الْحِيَارَ بَعَهَا بَعْدِي  
وَهَلْ بَاكَرَ الْوَسْمِيُّ دَارَ أَعْلَى اللَّوَى      لَبَسَتْ بِهَا شَرِخَ الصَّبَا حَالِكِ الْبُرْدِ  
أَلِفْتُ بِهِ حُسَانَةَ الْجَيْدِ نَاعِمًا      يَشْفُ مَهَاهِ الْجَوْنِ مِنْ جَوْهَرِ الْعِقْدِ  
تَضَائِشِ حَرِّ الصَّبَا بَرْدِ ظِلَّةِ      وَتَأْوِي إِلَى أَفْيَاءِ أَغْصَانِهِ الْمُلْدِ  
زَمَانٌ بِهِ رِيحَانَةُ الْعَمْرِ غَضَّةٌ      تَرَفُّ رَفِيفَ الْأَقْحَوَانَةِ وَالرَّزْدِ  
وَإِذَا أَنَا خِدْنٌ لِلصَّبَا وَذُوَابِي      حِبَالَةُ رَيْمٍ مِنْ مَهَا الْأَجْرَعِ الْفَرْدِ  
سَقَى اللَّهُ أَيَّامِي بِهَا وَسَقَى الْهَوَى      مَغَانٍ بِهَا وَجَدِي الْقَدِيمِ بِهَا وَجَدِي

وخصّ مغان<sup>(١)</sup> من دمشق ومنزلاً  
 فبالجانب الغربي منها معاهد<sup>٢</sup>  
 بدور سماه الحسن أقمار بهجة  
 لبست بها روق الشباب طرازه  
 من الربرب اللآني نشأ<sup>(٣)</sup> مع الهوى  
 تهادي أناة الخطو نشوى من الصبا  
 تريك على مثل الكتيب إذا مشت  
 وإلا بروض الحائري<sup>(٤)</sup> أراكة  
 على من به صلي الإله وقدست  
 لها أرج قد طبّق الكون نشره  
 من النافثات السحر في عقد النهي  
 لها بشر الدر الذي قلّده من

أحبّ الى المشتاق من جنة الخلد  
 لأتراب هند<sup>(٥)</sup> من سلمي ومن رعد  
 منازلها قلبي على القرب والبعد  
 هوى كل ذات الدل مياسة القد  
 بأفياء سرح<sup>(٦)</sup> وارف الظل ممتد  
 وفي اللفظ<sup>(٥)</sup> سحر منه هاروت يستجدي  
 قضيب نقاً أوبانة في ربا نجد  
 سقتها عهد الوحي موصولة العهد  
 حضائره الأملاك عن موقف الضد  
 فمنه لعمرى نكهة الورد في الورد  
 وفي لحظها ما ليس في الصارم الهندي  
 دموعي فوق النحر والصدر والنهد

(١) « مغان » ، ب ، م « معانا » .

(٢) « معاهد » .

(٣) « نشأ » .

(٤) « أراكة » ، ب « سرح » خطأ . والسرّح كل شجر طال ( اللاموس ) .

(٥) « اللفظ » .

(٦) « الجباري » .

تَسَاقَطَ فِي لَبَاتِهَا مُتَنَاثِرًا      كَمَا انْتَشَرَتْ يَوْمًا لِأَلْيَمِ مِنْ عِقْدِ  
 غَدَاةَ رَأَتْ أَنَّ الْفِرَاقَ مُحْتَمٌّ      وَقَدْ أْزَمَعَتْ خَوْصَ<sup>(١)</sup> الرِّكَابِ بِنَاخِدِي  
 فَخَرَّتْ حِذَارَ الْبَيْنِ صَرَغِي إِلَى الثَّرَى      فَأَلْحَفْتُهَا<sup>(٢)</sup> بُرْدِي وَأَفْرَشْتُهَا خِدِّي  
 إِلَيَّ أَنْ أَفَاقَتْ مِنْ رَسِيسِ هَوَىٰهَا      وَقَدْ أَضْرَمَتْ أَحْشَاءَهَا جَمْرَةً<sup>(٣)</sup> الْوَقْدِ  
 تَقَاضَتْ رُجُوعِي ثُمَّ قَالَتْ مَتَى اللَّقَا      فَقُلْتُ مَتَى شَاءَ الْأَمِينُ أَخُو الْمَجْدِ  
 مُحَمَّدٌ أَعْنِي السَّابِقِي الَّذِي لَهُ      حَيَاتِي وَنُصْحِي وَالْحَفِيزَةُ مِنْ وُدِّي  
 أَمِينٌ عَلَى حِفْظِ الْوَدَادِ مُهَذَّبٌ      كَرِيمٌ السَّجَايَا صَادِقُ الْقَوْلِ وَالْوَعْدِ  
 مِنَ الْقَوْمِ حَازٍ وَالسَّبِقِ فِي حَلْبَةِ الْعُلَى      وَقَدْ ذُكِرُوا فِي الذِّكْرِ فِي مَعْرِضِ الْحَمْدِ  
 هُمُ السَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ وَلَنْ تَرَى      لَهُمْ فِي سَمَاةِ الْجُودِ وَالْمَجْدِ مِنْ نَدٍّ  
 سَمَوًا نَحْوَهَا فَاسْتَنْزَلُوا النَّسْرَ طَائِرًا      مِنَ الْأَفْقِ وَاحْتَلَوْا ذُرَى النُّجْمِ السَّعْدِ  
 بِكُلِّ فِتْنَةٍ مِنْ بَأْسِهِ يَوْمَ حَرْبِهِ      لَهُ قَامَةٌ تُغْنِيهِ عَنْ لَامَةٍ سَرْدِ  
 إِذَا وَرَدَتْهَا الْبَيْضُ وَالسُّمْرُ صَدَّهَا<sup>(٤)</sup>      عَنِ الْوَرْدِ مَا تَلْقَاهُ مِنْ أَسَدِ وَرْدِ  
 وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا أَغْرَ مُجَجَلٌ      رَفِيعٌ عِمَادِ الْمَجْدِ حَامِي حَيَا الرَّفْدِ

(١) ب « فرس » .

(٢) ه « فألحفتها » .

(٣) م ، ب « جرة » .

(٤) ه « ضدها » .

أحبتنا بالشام والدار غربة<sup>١</sup>      وصرف النوى ما زال يعبث بالصد<sup>٢</sup>  
(٢١٤٩) لئن حال ما بيني وبين لقائكم      أرادي طام<sup>٣</sup> "أزرق الماء مر بد<sup>٤</sup>  
يكظ على تياره متلاطماً      إذا ضربته الريح صخابة الرعد  
كأن الجواري المنشآت هوا بطاً      به فتح ربد قد تهوت إلى وهد<sup>٥</sup>  
وتصعد في تياره فكأنها      كواسر فتح تبتغي الوكر في فند<sup>٦</sup>  
ومجولة الأعلام طامسة الصوى<sup>٧</sup>      يضل القطا الكدري فيها عن الورد  
تساقط فيها الريح حسرى من الوجا      ويقصر عن غاياتها سابق الربد  
تعسفت كلاً منها فوق سابح<sup>٨</sup>      وسابحة لا تسأم الدهر من ورد  
ولم آل جهداً في الذي أنا طالب<sup>٩</sup>      ولكنها الأيام غالبة الجهد  
فإني لأرجو جمع شملي بقر بكم<sup>١٠</sup>      على حسن حال لم ترع بنوى صد<sup>١١</sup>  
يجلق معنى اللهور دار الفتها<sup>١٢</sup>      ويمسي بها نواره في ثرى جعد  
وظل شباهي وارف وجنا به<sup>١٣</sup>      مراد الظباء من كل حسانة الخد<sup>١٤</sup>  
تبسم عن مثل الأقاحي يعد من<sup>١٥</sup>      جنى النحل ممزوجاً براح من الشهد  
على ساكنيها من خليل وصاحب<sup>١٦</sup>      سلام كريا المسك والعنبر الورد<sup>١٧</sup>  
يعطر وادي النيربين نسيمه<sup>١٨</sup>      ويشني خزامى الروض فيه على الرند

(١) « أرادي أكلام » ، ب « أرادي كام » .

قلتُ : وشعره كثير ، وإنشاؤه غزير ، وهو موجود في أيدي  
الأدباء تتناقله عُصْبَةُ النجباء ، فرحمه الله رحمةً واسعة ، وأمطر عليه  
سحاب رحمة الهامعة .

ومن شعر مولانا درويش أفندي المذكور ما كتبه لحضرة الأمير محمد  
ابن منبجك من دمشق الى البقاع العزّيزي<sup>(٢)</sup> ، وفي الشعر السلام على ابن  
حضرة محمد أمين أفندي ، الدفترى بدمشق سابقاً ، وعلى حضرة الوزير  
الكبير الكامل الأجد ، السيد محمد ، والي ولاية دمشق الشام ، سقاها  
صوب الغمام ، وكان نخبتهما<sup>(١)</sup> بالبقاع العزّيزي<sup>(١)</sup> لمهيم سلطانى ، وهذه  
صورة ما كتب :

بالله يا نَشْرَ العبيرِ سِيرى بَرَوِضاتِ الغَري<sup>(٢)</sup>

طافَ المشاهدَ وَأُنثى نشوانَ من كأسِ رويّ

ينحوبأعلى الكَرخِ داراً جادها عَمْدُ الوَلِيّ

وأقام بالزوراء منها في رياضِ الحائري<sup>(٣)</sup>

(١٤٩ب) متنزّل الآي الكريمة مهبط الوحي السنّي<sup>(٤)</sup>

إنْ جُزّتَ من أرضِ العرا ق على المناظر في مُضِيّ

(١) ب ، هـ « مقيا » .

(٢) في المحي « العري » .

(٣) هـ ، ب « الجابري » ؛ نفحة « الحائري » .

(٤) نفحة « متنزّل الآي الكريمة ومهبط ... » ؛ وفي هامش هـ بخط حديث « يتأمل

معنى هذا البت فظاهرة كفر » .

وأُتيتَ ربيعَ الشامِ مُجتاً      زَ الفُراتِ الى ثديِّ  
وشهدتَ منَ عليا البقا      عَ مُنازلاً لكرامِ حيِّ  
نَزَلُوا به فَسَمَّا بِهِم      وادي القُرى وديارِ ميِّ  
ولقيتَ منَ لُبنانِ أُرِّ      واحَ النسيمِ العنبريِّ  
تُذَكِيهِ فَاغْمَةُ الرِيا      ضَ بِمَنْدَلِ الشِخْرِ<sup>(١)</sup> الذَكِيِّ  
قُلْ لِلأَمِيرِ ابْنِ الأَمِيرِ      ابْنِ الأَمِيرِ المَنْجَكِيِّ  
مُعَلِي المَعَالِي والعوا      لي في الوغى، مُرَدِي الكَمِيِّ  
مُحِي مَكَارِمِ جَدِّ      هَ الأَعلى الكَبيرِ اليوسُفيِّ  
مُتَفَضِّلاً يُقَرِي السَلا      مَ كخَلقِهِ الزاكِي البَهيِّ  
أَعني<sup>(٢)</sup> جَنابَ أَخِي الوِدا      دَ الأَبهريِّ الدَفْترِيِّ  
أَعني مُحَمَّدًا الأَمِينِ<sup>(٣)</sup>      نَصيرَ أنصارِ النَبِيِّ  
سَبَّاقَ غَايَاتِ العُلى      رَكْنُ المَعَالِي السابِقِيِّ  
مِنْ مَعْشَرٍ سَبَقُوا إِلَيَّ      الخيراتِ بالنصِّ الجَلِيِّ  
يا صَاحِبِي وَوَقِيئِي      شَرِيَّ حَسودِ كَمَا العَوِيِّ  
وهِبَاكُمَا عَصْرَ الشِبا      بَ نِشاطِهِ مِنْ غَيْرِ عِيِّ

(١) ب ، م ، د ، السمر .

(٢) ب ، م ، د ، عني .

(٣) ب ، م ، د ، محمد الأمين .

إن جئتُ لمختيم المولى الشريف الموسوي  
ووقفنا بسرّادق حاز السيادة من قصي  
فتحملاً مني السلا م كمنك دارين الزكي  
لجناب مولانا الوزيري<sup>(١)</sup> مولانا علي  
وابن الأئمة من قريش في ذري الشرف العلي  
فهو الشريف ابن الشريف الهاشمي  
ثم اذكرا<sup>(٢)</sup> من حال مؤلاه المحب الطالوي<sup>(٣)</sup>  
جملاً فما تفصيل حال العبد عنه بالحق  
ذَكَرْتُكُمَا الأَنْوَاءَ ذَكَرِي بِالغَدَاةِ وَبِالعَشِيِّ  
وَبقيتُمَا فِي ظِلِّ عَيْشٍ وَأَرْفِ النِّعْمِ هِنِي

(١٥٠) وقد<sup>(٤)</sup> أنشدني لنفسه معرّضاً بجملة جلي الزعيم الشهير بقره تاش:

أغار عليك من موسى السيوري ومن قره تاش ذلك الفتنة خوري

(١) ساقطة من هـ .

(٢) نتحة « ثم اشرحن » وكذا في المحي .

(٣) بعد هذا في النحة :

ماذا لفي في ثمر صيدا من دروزي غوي

دين التناسخ دينة لابل يدين بكل غي

ويرى الطبايع أنها نقالة في كل شي ...

ولفصيدة هناك تمة طويلة ، وقد نقلها المحي أيضاً ١٥٤/٢ .

(٤) قوله : وقد أنشدني ... إلى آخر الكلام لا يوجد في هـ .

١١٦

## درويش ولي المستاري

نسبة إلى مستار وهي قصبة في <sup>(١)</sup> أقصى أرض الروم

وهو لنا صاحب صادق ، وتلميذ مصادق ، صالح فالح ، فاضل كامل ، اجتمع بنا في دمشق ، وقرأ علينا كثيراً في المعاني والبيان ، وقرأ عليّ « شرحي » لديوان الأستاذ الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه . ثم إنّه سافر إلى الحج إلى بيت الله الحرام ، وجاور بمكة والمقام ، وكان معه كتاب مجموع ، فيه فوائد كثيرة ، بخطنا ، فرأى المجموع المذكورَ رجل فاضلٌ بمنى يُقال له عليّ بن ادريس الصنعائيّ ، نسبة إلى صنعاء اليمن ، فكتب تحت خطنا الفاضلُ اليمني المذكور من نظمه هذين البيتين وهما :

وقفتُ على لفظٍ وخَطِّ كَأَنَّهُ      من الدُرِّ منظوماً وللروضِ منسوبا  
فوفيتُهُ مِنْ مَدْحِهِ بَعْضَ حَقِّهِ      وإنْ لمْ أكنْ يوماً إلى الفضلِ منسوبا

---

(١) ب ، « من » .



١١٧

درويش آغا<sup>(١)</sup>

ضابط القابي قولي الذي عيّنوا من جانب السلطنة العلية مع الوزير أحمد باشا الحافظ محافظ دمشق الشام ، والسردار على العساكر ، لقتال الأمير اللعين ، فخر الدين بن معن . وهو رجلٌ بُسْتَنَوِيّ الأصل ، له وقارٌ وعقل ، وقد عين من جانبه سردارَ الباب زعيمَ المدينة الدمشقيّة ، والصالحيّة . وسردار المحكمة قاضي القضاة . وعيّن في كلِّ شارعٍ من شوارع دمشق الشام بلوكباشي وصحبته بمض أنفاريّ من القابوقلية ، وهم يدورون على الدكاكين ويأخذون من كل دكانٍ قطعةً . ثم زاد الأمرُ على ذلك من الظلم ، وذلك في أواخر ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وألف من الهجرة النبوية ، على مهاجرها ألف تحيّة .

---

(١) هذه الترجمة ساقطة من ب ، ه ، والظاهر أنه أضافها سنة ١٠٢٢ هجرية .

## حرف الرء

١١٨

الشيخ رشيد بن نعيم<sup>(١)</sup>

شيخ العرب المعروفين بالسرديين ومضاربهم من الجلقاء إلى العلاء

أعان الملاقاة التي ذهبت للحج في سنة ثمانى عشرة بعد الألف . فرام  
عسكر دمشق أن يمطوه إمارة العرب في أرض حوران . فانتصر عليه  
عمرو بن جبر شيخ عرب المفارجة وكسر جماعته في المحاربة في السنة  
المذكورة . وكانت ( ١٥٠ ب ) إمارة العرب المذكورة في يد عمرو المذكور ،  
واستمر رشيد راجياً للإمارة . فأرسل ولدي أخيه هما : أحمد وشويبي إلى  
جانب الشام ، وأحدهما أمرد بغير لحة والثاني ابتدأت لحيته في الطلوع ،  
ومما كالبدرين الكاملين والغصنيتين اليافعين ، لها جمالٌ مفرطٌ إلى  
الغاية ، وحسن زائدٌ إلى النهاية . فأما أحدهما وهو شويبي فقد سار إلى  
جوانب حماة ليجتمع بالأمير شديد أمير آل حيار ، فطعن وجاء مطعوناً ،  
فأدركته الوفاة في جانب غوطة دمشق الشام في قرية قبر الست ، وهي  
قرية بالقرب من دمشق ، بها قبر السيدة زينب بنت الحسين بن علي عليهم  
رضوان الله تعالى .

(١) هـ « رشيد بن سلامة بن نعيم » ، ب « رشيد بن سلام بن نعيم » .

وأما الآخر وهو أحمد فإنه قدم دمشق الشام ونزل عند كنعان بلوكباتي المشهور ، فَطَمَن الآخر ومات بعد أخيه بيوم واحد . ودُفِن أحمد في دمشق فانظر إلى العجب العُجَب ، وحكمة رب الأرباب ، كيف جاء الإخوان إلى الشام ليدركا دولة الدنيا فأدركا شهادة الآخرة . فسبحان الحي الذي لا يموت ولقد حضرني في ذلك قول الشريف الرضي :

يا تغلب ابنة وائل مالي أرى

وإلى آخره وهي في ديوانه (١) .

(١) هذه الترجمة تختلف تماماً في ه ، ب ، عما هي عليه في « م » وهذا نصها في ه ، ب .

رشيد بن سلامة بن نعيم . كبير الطائفة السردية من الفارجة .

صارت في أواسط صفر سنة اثنين وعشرين وألف محاربة عظيمة بينه وبين عمرو

ابن جبر كبير الطائفة الثانية من الفارجة . وكانت الواقعة بالقرب من القرية التي

يُقال لها جبا من نواحي حوران . وكانت الكسرة على عمرو بن جبر لكونه

تبت على بنيه ، وكان الأمير حمدان بن قانصوه أمير بلاد عجلون مع عمرو .

وكان الأمير ناصر الفجلي ، من أسراء آل مهري ، مع رشيد بن سلامة السردية ،

ولحق الأمير ناصر المذكور عمرواً حتى صار وراءه وضره برمح كاد يسمره ، لكن

غطس على قربوس السرج حتى فاته الرمح . ورأى الأمير حمدان هارباً راهباً ،

فقال له : إلى أين يا فلاح ؟ إلى أين يا حضري ؟ فف حتى ادركك . فذهب

لا يلوي على أحد ، ونهب مال عمرو ، ومال ابن قانصوه .

وكان عمرو المذكور ملتجئاً إلى الأمير فخر الدين ابن معن أمير لواء صفد يومئذ .

وقيل إن وصوله إلى القرية المذكورة إنما كان لكونه قاصداً قلعة بانياس لكون

الأمير فخر الدين بها . ولذلك حنق ابن معن حنقاً عظيماً . ولما بلغه خبر

انكسار عمرو أغذت في السير ليدرك رشيداً قبل ذهابه ، ومعه ألف خيال وخمس مئة

راجل . فلم يجده . فرجع بنيه ، ولم يستفد من سيره سوى بقاء حقه .

والأسر لله جلّ وعلا . م (١٥)

# حرف الزاي

١١٩

السيد زين

نقيب الاشراف ببعلمك<sup>(١)</sup>

وهو الفاضل الأديب ، والصدیق الكامل الأريب ، أرسل لي مكتوباً  
عند قدومي من الحج الشريف ، وزيارة ذلك البيت المنيف ، وذلك سنة  
إحدى وعشرين بعد الألف من الهجرة الحمديّة ، على صاحبها ألف ألف  
سلام وتحيّة ، وفي صدر المكتوب المذكور هذه الأبيات :

سلامٌ عليكم مالنا عن جنابكم	سلوٌ وإن طال التباعدُ بالجسمِ
ففي القلب من حرّ التفوّق لاعجٌ	عليّ له ما ليس للنارِ من وشمِ
وما أنا ممن يكتفي في وداده	وفي حفظه عهد الأحبّة بالاسمِ
ولكنّ تصاريّفُ الزمان بأهله	لتقديرها تجري على حسب الاسمِ

(١) هذه الترجمة ساقطة من هـ ، ب .

## ١٢٠

### زكريا بن خضر البقاعي العينتي<sup>(١)</sup>

صاحبنا القديم ، ورفيقنا الوفيّ السليم ، الصافي في فكره ، المستقيم في سيره وسمّره ، المرحوم الفاضل ، الفقيه الكامل ، الصالح الفالح . من قرية عينتيت ، بعين مهملة ، وياض مثنائة من أسفل ، وتاء مثنائة من فوق . وهي قرية من قرى شوف الحرادين ، وهي في جبل لبنان .

قدم الشيخ زكريا المذكور من القرية المذكورة في حدود خمس وسبعين أو سبع وسبعين وتسع مائة ، ومكث بدمشق مدة يجامع الأمير منجك المعروف بمسجد الأقباب خارج دمشق . وقرأ كثيراً وتفقهه ابن الطيبي ، وكان رفيقنا في القراءة عليه . ثم لازمني في القراءة ، قرأ عليّ العربية والأصليين وشيئاً من المنطق . وذهب الى مصر وتفقه بشيخ الإسلام نور الدين علي الزيادي ، وأجازه بالفتوى والتدريس بخطه ، وتولّى إعادة الناصرية الجوانية عندنا ، وأنا مدرّس بها . وتولّى تدريس المدرسة النحتاسية خارج دمشق بالقرب من مرج الدحداح . ولم يزل يفيد ويستفيد ، ويبديء ويعيد ، إلى أن توفاه مولاه ، وبلغه رضاه ، في ليلة الاثنين سادس عشر شهر رمضان من سنة عشرين بعد الألف .

---

(١) تفردت « هـ » بهذه الترجمة .

# حرف السين

١٢١

سنان باشا

المعروف بكجك سنان

أي الصغير لأنه (١) قصير القامة في الجملة

ورد إلى دمشق حاكماً بها في يوم الخميس من أواخر رمضان في سنة سبع عشرة بعد الألف، وهو في الأصل كان من بمالك الأمير الكبير محمود باشا المقتول ( ١٥١ آ ) في مصر في سنة خمس وسبعين وتسع مئة . وتاريخ قتله ظلمه (٢) . وكان المذكور خادماً له ، وكذلك الوزير الأعظم مراد باشا الذي أعطى سنان المذكور حكومة دمشق كان من جملة أتباع محمود باشا المذكور . فلما كانا خادمين في باب مخدومها المذكور تذكر كل منهما صحبة الآخر ، فلما أن مراد باشا المذكور وصل إلى الوزارة العظمى ، والصدارة الكبرى ، وصار إليه (٣) الحل والعقد ، والقبول والرد ، أرسل إلى سنان باشا المذكور إلى مصر وطلبه . فتورد إليه في

(١) ب « ذلك لأنه » .

(٢) ه « ظلم » .

(٣) ب ، م « له » .

حلب ، وهو نخيم هناك لقنال الخوارج البغاة ، بعد أن أوهى شوكة  
الباغي علي بن أحمد بن جانبولاد ، فجعله بمجرد قدومه أميراً الأمرء في  
بلاد قرمان .

ولقد نهضت من دمشق إلى حلب في صفر الخير من شهر سنة سبع عشرة  
بعد الألف ؟ فرددت إلى الوزير في نخيمه خارج حلب في الشهر المذكور ،  
 واجتمعت به فرأيت سنان باشا المذكور ملازماً له في غالب أوقاته . وكان  
إذا غاب يسأل عنه في غالب ساعاته .

ومن العجب انني اجتمعت بسنان باشا المذكور في الخيم المنصور بصحراء  
حلب وتذاكرنا معه السفر إلى جانب قهر الأعداء البغاة فقلت له : ما نيتكم  
بعد كسر البغاة ؟ فقال : نيتي أن أسير إلى مصر لأن وطني بها ،  
ووطري في جوانبها .

وطني مصر وفيها وطرِي ولعيني مشتهاها مشتهاها<sup>(١)</sup>  
وشرع يذكر ما له بمصر من العلائق ، وما له هناك من الأموال والعقارات  
والدواب والخيول ، والمدخول ، ويقول : أنا لي في مصر ملاذٌ ونعيمٌ  
لا يكون إلا للسلطين .

فقلت له : إنما تسير من هنا إلى دمشق حاكماً بها .

فأخذ يُبعمد ذلك ، ويقول : ما خطر لي هذا المعنى ولا ترقبت همتي ،  
وأنا أحلف له أنه لا بُدَّ أن يُرَدَّ إلى دمشق حاكماً بها فعند ذلك

---

(١) في هامش ه : « هذا البيت للشيخ ابن الفارض المصري . والمشتهى مسجد بمصر كان  
الشيخ كثير التردد إليه »

سكت ، ومدّ يده اليّ وقال : عاهدني على الاخوة الكاملة الصادقة .  
فمددتُ يدي اليه وعاهدته عهد الله على أن يكون أخاً لي في الدنيا  
والآخرة ، وقرأنا الفاتحة على ذلك .

فإن قلتَ : من أين علمت أنه يتولّى حكومة دمشق ؟  
قلتُ : كنتُ قد رأيتُ وأنا في حلب أن باب دمشق قد أُغلقَ ،  
ورأيتُ سنان باشا المذكور أخذ مفتاحه بيده ، وورد إلى الباب وفتحه ،  
ودخل راكباً إلى المدينة ومعه جماعةٌ مستكثرةٌ .

فلما أخذ حكومة دمشق في السادس والعشرين من رجب من سنة  
سبع عشرة تذكّرُ بشارتي ، وفهم حقيقة إشارتي ، فأرسل إليّ مكتوباً  
( ١٥٢ ب ) من نواحي توقّات يخبرني بما صدرَ له من إعطاء الحكومة  
المذكورة ، وتذكّرُ ما صدر بيني وبينه من البشارة والأخوة .

وكان دخوله إلى الشام في يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر رمضان  
من سنة سبع عشرة .

ولما دخل إلى مدينة دمشق في التاريخ المذكور كنتُ جالساً للتفرّج  
على دخوله في شبّاك جامع منبجك ، في محلة مسجد القصب . فاتفق  
انه صرّبَ بطرفه فرآني ، فالتفتَ غاية الالتفات ، وضحك وتبسّم  
وسلّم ، ووضع يده على رأسه وتعجّبَ الناسُ من التفاتهِ في موكبه ،  
والعساكر محدّقةً به في موكبه .

ودخل إلى دار الحكومة بدمشق ، وسلّمَتُ عليه عشية يوم دخوله  
فوجدتُ عنده قاضي القضاة ابراهيم أفندي الازنيقي<sup>(١)</sup> ، المنفصل عن قضاء  
دمشق حينئذ ، ومعه تاج الدين أفندي الشهير بابن تاج الدين القاضي سابقاً  
بمدينة حماة . فلما رأني قام وطفق يمشي لاستقبالني . فلما تلاقينا اعتنقني

(١) « الأرنؤقي » خطأ .



وجعل يقبل وجهي وجبيني وجلسنا معه ، فحكى لبراهيم افندي المذكور ما صدر بيننا في الحيم ، وما بشرته به من دخوله إلى دمشق حاكماً بها ، وذكر أنه لم يكن ذلك في خاطره ، لم يحل يوماً في خاطره . واستمر الكلام يدور إلى أن قرب وقت الغروب فقمنا من عنده . وهو يوم تاريخه مقيم بدمشق حاكماً بها . وله مع الخلق ملاءمة وملاطفة ، لا سيما الأعيان والأمراء والعلماء .

وقد صدر منه أنه في ليلة الاثنين خامس شوال من السنة المذكورة قتل نحو خمسة عشر رجلاً من السكبانية (١) الذين كانوا معه : وذلك أن الوزير لما انتصر على البغاة السكبانية ، وهزم أكابره ، ولم يزل يطردهم إلى أن أخرجهم من فلك آل عثمان ، وأدخلهم في ملك شاه للعجم عباس ابن خدای بنده . اختفى بعضهم في نواحي حلب وبعضهم في نواحي الشام فأطلع بعضهم سنان باشا صاحب الترجمة فاعتقل منهم جماعة وقتلهم بعد دخوله إلى دمشق ، فما أصبحوا إلا وهم مقتولون ، وفي كل ناحية منهم جسد مطروح .

واختلفت الأقاويل في سبب قتلهم . فمنهم من قال : إن قتلهم لكون الوزير الأعظم قد عهد إليه في ذلك . ومنهم من قال : إن عند العسكر منهم طائفة فقال لهم : اقتلوهم . فقالوا : لا نقتلهم حتى تقتل من تحت يدك منهم . وبيت سنان باشا الآن في مصر ، وأولاده كذلك ، وهو في دمشق (١٥٢ آ) حاكماً بها .

واقعد أخبرني من لفظه أن بيته بصر على بركة الفيل ، وأنه لا نظيره . وقال لي : معيشتي بصر في غاية الرغد ، وأنه بها ناعم البال ، عديم البلبال .

(١) « السكبانية » .

والمطلوب من الله تعالى أن يعينه على حفظ الرعايا ، وحراسة البرايا ،  
فإن الحاكم هو قلب رعيته ، وهو المعين لهم بحسن نيته ، والحمد لله وحده .  
قلت : وقد كانت فرقة من عرب آل جبار المعروفين بأولاد أبي ريشة  
قد نفروا من العراق بعد موت أميرهم الأمير أحمد بن أبي ريشة ، فوصلوا  
إلى نواحي تدمُر ، وانضم إليهم قوم من طائفة السكبان الذين هربوا من  
وقعة عليّ بك ابن جانبلاط ، فعاثوا في تلك البلاد ، وأكثروا في الأرض  
الفساد ، ومهّدوا لأقرانهم مهاد النجاة ، فما كان إلا مهاد الهلاك ، وقطعوا  
الطريق ، وأخافوا الرفيق ، وكفروا بنعمة مولاهم ، الذي بنعمه أولاهم .  
ولما ورد من حلب العسكر المصري الذي كان قد طلب بموجب الأمر  
المطاع السلطاني ، لقتال كبير السكبانية محمد بن القلقندر والأسود سعيد  
الشقي ، فوردوا إلى حلب ثم إلى بلاد البستان . فكان الوزير الأعظم  
مراد باشا رأس العساكر السلطانية ، فالتقى جيش السلطان مع جيش البغاة  
وكبيرهم محمد بن قلقندر وسعيد الأسود ، فكان النظر يحزم بأن عسكر  
البغاة يغلب عسكر السلطان فاقترضت القدرة الإلهية ، والحكمة الأزليّة ، أن  
عسكر السلطان قد غلب وكسر عسكر البغاة ، وهرب بقيّة السيوف .  
ومن جملة الذاهبين والمهربين الجماعة المذكورون ، وكانوا في العدد نحو  
أربع مئة سكبان ، فلما انضموا إلى العرب المذكورين كان السكبان يضربون  
بالبنديق ، وكان العرب يضربون بالرماح والسيوف ، وأخذوا قلعة القسطل ،  
وقلعة القسطينيّة ، ونهبوا المعصرة ، وقتلوا بها من الرجال والنساء ما يزيد  
على عشرة أشخاص . فلما بالغوا في القتل والنهب والغارة والعداوة والطغيان  
قصدهم العسكرُ الدمشقيُّ وأميرُ الأمراء بدمشق يومئذ سنان باشا المذكور  
فمنضٍ العسكرُ الدمشقيُّ ومن انضم إليهم من عرب المفارجة وكبيرهم

عمرو بن جَبْرِ ، فأدركوا العرب والسكبان في نواحي قلعة القطراني ،  
فقتلوا من السكبان نحو ثلاث مئة رجل ، وأمسكوا منهم نحو خمسين رجلاً ،  
ودخلوا بهم إلى دمشق راكبين الجمال ، وعلى كتف كل واحد منهم خشبة  
( ١٥٢ ب ) طويلة هي خازوق له

فلما دخلوا إلى دمشق في يوم الخميس خامس ذي الحجة من شهر سنة  
سبع عشرة بعد الألف ظهر أهل دمشق لاستقبالهم ، ولم يبق في المدينة  
'مخدّرة' في خدّرها ، ولا محجة وراء سترها إلا وقد خرجت لنظر  
القوم المذكورين .

وفي اليوم الثاني أتلفوهم بالخازوق ، وفرقوا أجسامهم على المحلات  
بدمشق . ومن العجب أن واحداً منهم كان أقرع أشقر ، مما ضرب  
الخازوق في بدنه كان يطلب الماء فلا يسقى . ثم إنه في الليل هرب من  
الخازوق ومشى من تحت القلعة إلى أن دخل في سوق برّا فوجد في  
الصباح ميتاً وهو إلى القبلة ، وما علم الناس كيف نزل عن الخازوق مع  
أنه مربوط اليدين موثق الرجلين .

والحاصل أن سنان بأمّنا المذكور أعطي من السعد في هذا الباب ما لم  
يعط لأحد من الحكام . سار من دمشق إلى أن وصل إلى قلعة القطراني ،  
وهناك اصطف الموكبان ، واصطدم الجيشان ، واقتتل الفريقان ، وتقابل  
الجمعان . ثم إلى الله تعالى رسل الخذلان على جيش البغاة ، وقتل من السكبان  
ما يزيد على ثلاث مئة رجل ، وقطعت رؤوسهم ، وحملت إلى دمشق ،  
ودخلت على رؤوس الرماح ، وكان دخولها يوم الخميس خامس ذي الحجة  
من سنة سبع عشرة بعد الألف وأتوا بخمسين رجلاً من السكبان وقتلواهم  
بالسياسة الشنيعة ، والهينة المظيعة والحاصل أنه لم يسبق أحدًا بمثل هذه  
النصرة العظيمة .

وقد أخبرني سنان باشا المذكور من لفظة ليلة الاثنين تاسع ذي الحجة المذكور أنه رأى بعينه رجلين من السكبان وجّه كل منهما بندقيته إلى الآخر وقتل كل منهما الآخر عندما تحقّقوا الخذلان ، خوفاً من السياسة العظمى . وأخبرني أيضاً أن رجلاً منهم كانت زوجته معه ، فلما تحقّق أنهم مأخوذون قتل زوجته بيده ، وألقاها في البرية خوفاً من وقوعها في يد العساكر السلطانية . وبالجملة فالحمد لله على هذه النعمة العظيمة ، التي أوجبت الفرجة الجسيمة ، في البواطن السليمة ، والقلوب المستقيمة .

وفي المحرم ورد الخبر من باب السلطنة بعزل سنان باشا المذكور عن ولاية الشام ، وإعطائه حلب ، وأعطوا الشام لرجلٍ من داخل بيت السلطنة يُقال له حافظ أحمد باشا . وقد ورد المتسلم عن أحمد باشا المذكور في أوائل المحرم ، وقالوا إنّه رجل مليح .

| وإذا جاء إلى دمشق كتبنا له ترجمة إن شاء الله تعالى | (١) .

---

(١) ما بين الخطين ساقط من هـ ، ب . وقد وردت ترجمة حافظ أحمد باشا في الجزء

## ١٢٢

### الشيخ سعد الدين بن سعد الدين

الذي صار الآن شيخاً في طائفة بني سعد الدين .  
لما كان (١) يوم السبت عاشر جمادى الأولى من شهر سنة اثنتين وعشرين  
بعد الألف صدرت جمعية كبيرة عن الشيخ المذكور . وسبب الجمعية أن  
الشيخ صاحب الترجمة (٢) زوج ابنه الشيخ موسى لابنة عمه الشيخ محمد بن  
عيسى الدين بن حسن بن الشيخ حسين ، واجتمع بابن أخيه الشيخ كمال الدين  
في بيت الشيخ كمال الدين وصالحه هناك ، وكان بينهما المقيم المقعد ، فحضر  
الشيخ كمال الدين إلى المقعد المذكور مع أخيه حسين ، وكان الاجتماع في  
القاعة المعظمة التي كانت مبنية على امم الشيخ عيسى بن محمد بن سعد الدين ،  
وهي في الحقيقة من محاسن الأبنية في دمشق . وكان المهر ست مئة دينار  
من الذهب : أربع مئة المقدم ، ومئتان المؤخر . وكان الوكيل من جانب  
الزوجة الشيخ شمس الدين الميداني الشافعي ، وكان الوكيل من جانب الزوج  
الشيخ شرف الدين الدمشقي الشافعي . وكان المجلس حافلاً ، فلذلك ارقبك  
الشيخ شمس الدين في لفظ المقعد وقال للشيخ شرف الدين الدمشقي :  
زَوَّجْتِكَ مَوَاتِي ثُمَّ قِيلَ لَهُ لَيْسَتْ مَوْلَيْتِكَ وَأَنَا هِيَ مَوَكَّلْتِكَ ، وأيضاً

(١) هـ ، ب « وقعت في يوم السبت عاشر جمادى الأولى من شهر ... عنده جمعية  
كبيرة ، وسبب الجمعية ... » .

(٢) هـ ، ب « ان الشيخ سعد الدين المذكور » .

أنت لا تزوّج المخاطب الذي هو الشيخ شرف الدين وإنما تزوّج موكّلاً  
المخاطب . فرجع وأعاد الكلام ثانياً وثالثاً ، حتى إنَّ الشيخ أحمد  
الميناوي صحَّحَ اللفظَ . وما كان المجلسُ قليلاً يُعذرُ فيه الناطق إذا  
تجلجج ، ولا يُلام إذا أراد أن يتوكّل فتزوّج ، وَاَمَّ العقدُ بعد تعقيد  
وهو مجلس جمعَ الشيخَ والمريد . فقلته الحمدُ على كل حال ، وإليه المَفزع  
في جميع الأحوال .

## حرف الشين

١٢٣

السيد شرف الدين الحسنى التبريزى

من سادات لاله بنواحي تبريز

نزىل محمد أمين السابق<sup>(١)</sup>

قلتُ : إنَّ السيدَ المذكورَ كانَ بدمشق . فلما تولّى امارَةَ الأمراءِ ببغداد الوزيرُ الكبيرُ محمود باشا ابنَ المرحومِ سنان باشا الشهيرِ بابنِ جفال أرسلَ مکتوباً إلى السيدِ شرف الدين المذكورِ بتطلُّبه اليه ، وكتبَ في المکتوبِ الذي أرسله : إنَّ مناصبَ بغدادَ محلولةٌ ، فإذا حضرتَ إلى هذا الطرفِ أعطيتُكَ منها ما تريد . وأرسلَ يقولُ له : ان احتجتَ إلى دراهمٍ لأجلِ خراجِ ( ١٥٣ ب ) الطريقِ ، فاقترضْ من صديقٍ أو رفيقٍ ، وأنا أوفى القرضِ ، كما يوفى المكلِّفُ القرضَ ، ففعل ما به أمره ، ولم يُسَوِّفْ رحيله ولا سفره . بل سارَ اليه ، ووردَ عليه بالتحية والسلام ، إلى مدينةِ السلام . وكانَ الإرسالُ والسيرُ في سنة سبعِ عشرةَ بعدَ الألفِ من هجرةِ البشيرِ النذيرِ .

(١) هذه الترجمة ساقطة من ه ، ب .

## ١٢٤

### الشيخ شرف الدين بن يونس الحكيم

كان الفقيرُ إلى مولاه ، المستغني عن سواه ، بدمشق المحروسة ، دامت بقاعها المأنوسة ، في سنة ست وتسعين من هجرة سيد الأنام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ، فتمصَّب عليّ بغيرِ طريق الشيخ شرف الدين المذكور ، ورام أن يوصل اليّ مكروهاً . فنظمتُ هذه الأبيات الثلاثة متوجِّهاً إلى لطف الله جلّ وعلا فانتصرتُ عليه ، وظهر أنه متمصَّب عليّ ظلماً ، وأنه يريد بي ضرراً ومهتماً . والأبيات هي قولي :

إلهي لهم مالٌ وجاهٌ وشِدَّةٌ      ونصرةٌ أعوانٍ وأعوانُ أنصارِ  
فَمَنْ لضعيفٍ عاجزٍ أهدَّقتُ به      عيونُ عوادي الدهر كالأسدِ الضاري  
سوى لطفِكَ المأمونِ في كلِّ آفةٍ      وغوثِكَ يا عوناً على كلِّ جبارِ

وقلت في المعنى متضرِّعاً إلى عالمِ السرِّ والنجوى :

بتذلي في بابِ عزِّكَ سيدي      وتضرَّعي في الليلة اللبِّلاهِ  
أنظرُ اليّ بعينِ لطفِكَ إنني      أدعوك في السراءِ والضراءِ



## ١٢٥

### الأمير

#### شديد بن الأمير أحمد<sup>(١)</sup>

في سنة ثمان عشرة بعد الألف اتفقت عجيبة<sup>٢</sup> وهي أنه كان في خيمته في بعض صحارى حلب ، وكان ابن عمه الأمير مدلج بن المرحوم الأمير ظاهر معه في الخيمة ، وكان الأمير شديد يلعب بالشطرنج مع بعض أقاربه ، ولم يكن عنده من اخوته أحد . فاختلس مدلج الفرصة في خُلُقِ الأمير شديد . وكان أبو شديد أحمد قد قتل والد مدلج ظافر ، فناداه وهو يلعب بالشطرنج يا شديد يا شديد ! فقال له : نعم . فما أتم قوله نعم إلا ومدلج قد ضربه بخنجر في صدره خرج من ظهره ، ولم يحتج في إخراج روحه إلى رمية أخرى ، بل كانت روحه في تلك الضربة ، وذهبت إلى غضب الله ، لكونه كان مدمناً على تعاطي القبايح ، مع زيادة الظلم والقهر ، وعدم الإنصاف عند الشكاية من أحد وكان مع ذلك جباراً عنيداً متكبراً خسيساً ، قبيح المنظر والفعل والوصف ، غير محسن في شيء من الأشياء . ( ١٥٤ آ ) ولقد أرسل الأمير فخر الدين بن معن مكتوباً يُخبر فيه عن قتل المذكور ، وقال في مكتوبه أن تاريخ قتل الأمير شديد قد اتفق في هذه الكلمات وهي : مدلج قتل شديد ولد أحمد .

قلت : حساب هذه الحروف بطريق حساب الجمل ألف وثمانى عشر . وهؤلاء الطائفة أعني آل جبار من عاداتهم ان من استولى على خيمة

(١) في « الأمير شديد بن المرحوم الأمير أحمد الحيارى » .

المال والسلاح يكون أميراً حاكماً على العرب كلتهم ، فذلك أن لهم خيمة من الشعر كبيرة جداً ، ولها نواظر وحراسٌ بالنوبة في اليوم والليل . وكلّتها صناديقٌ مقلّلة بالأفقال المحكّمة ، والصناديقُ ملوّنة من الذهب والفضة والجوهر والسلاح وغير ذلك من نفائس الأشياء النفيسة ، فمن استولى عليها كان حاكماً على العرب ، سلطاناً على جموعهم .

والعجب أن والد شديد الأمير أحمد قد قتلَ ظاهراً في بيته وهو ضعيفٌ عنده ، فقدّر الله تعالى أن ولدَ القاتل قتلَ ولدَ المقتول . ومحلُّ حكومة هؤلاء الطائفة بلاد عانة ، والحديثة ، وبلاد سلّميّة وغير ذلك من البلاد . فسبحان الله القادر الذي لا يسيد ، وهو العزيز الحميد .

وفي (١) هذه السنة بعينها مات أميرُ البحر الذي يقال له مر (٢) ادريس . وكان ميمون النقيبة ، قويّ الطالع ، غالباً للكفرة ، كامراً لشوكتهم ، ولم يتولّ منصباً لسلطان الإسلام ، بل كان يغزو الكفار ومهما اكتسب من غنيمتهم أنفقه على نفسه وعلى جماعته . وكان طاعناً في السن ناهز الثمانين رحمه الله تعالى .

وقد أرسل الأميرُ فخر الدين بن معن مكتوباً يذكر فيه ألقاباً هي بحساب الجمل تاريخ موته ، وهي قوله : ( مدلج قتل شديد ولد أحمد ) (٣) . توفي وذلك بالواو في الأوّل سنة ثمانٍ عشرة بعد الألف رحمه الله تعالى .

(١) ماسياتي حافظ من ه ، ب

(٢) كذا ، ولعلها « مير » أي أمير

(٣) في الأصل « مصدر رايس .. ٤٠ » والتصحيح من المحي ٢٢٢/٢ .

## ١٢٦

### شاهين الشاطر<sup>(١)</sup>

في ليلة الأربعاء ، وهو العاشر من جمادى الآخرة ، من شهر سنة ثمانية عشر بعد الألف ، صدرت قصة بدمشق ، وهي : أن شاهين هذا قدم دمشق مع حضرة الوزير الحافظ أحمد باشا في السنة المذكورة . وكانت خدمته للوزير أمام فرسه بالقرب . ويُسمى في اصطلاح آل عثمان شاطراً ، ولكنه كان جميلاً إلى الغاية بحيث أنه كالبدر الكامل في ليلة أربع عشرة ، وأما قدّه فإنه يفضحُ الفصن الرطيب . وكان يكنى بأبي شامة ، لشامة كبيرة في خده الأيسر . فلما دخل دمشق خطر في باله أن يترك خدمة الحكّام وأن يلبس خرقة مولانا جلال الدين الرومي وهي<sup>(٢)</sup> الصوف الطويلة ، وشاور الوزير الكبير المذكور ( ١٥٤ ب ) في أن يترك خدمته ، وأن يدخل في خدمة الطريق المذكورة . فأجابه إلى قبول ذلك ، وأمر وكيله أن يخيّط للشاطر المذكور ما يناسبه من الأثواب لأجل دخوله في طريق الفقراء . ففي تلك الليلة المذكورة نام الشاب المذكور في وكالة العسرونية منفرداً ، وكان في الوكالة المذكورة رجلٌ خبيث من أولاد الجند بدمشق يُقال له ابن خضر ، فعزمه إليه وقال له تكون عندنا الليلة . فسلم . وطاوعه . فشربوا الشراب المحرّم ، وطاشت الحجرة في هاماتهم ، فطلب ابن خضر فعل الفاحشة من الشاب المذكور فلم

(١) هذه الترجمة ساقطة من ه ، ب .

م (١٦)

(٢) يباس في الأصل

يَرْضَ ، وتكالما ، ثم تلاكبا وتخاصما ، ونزل الشابُ الشاطر إلى أسفل  
الوكالة ، وأراد أن ينام هناك فنزل إليه شاب أمرد مثله يُقال له خليل ،  
وقال له : أنا لي حجرةٌ منفردة وأنا مُمعك ، فطاوعه على ذلك ، وصعد  
إلى حجرة خليل . وإذا بالخبيث الأسود ابن خضر دخل عليها بعد كَسْرِهِ  
الباب ، وضرب الشاطر ضربة في رأسه ، ثم وضع على رأسه مخدة وجلس  
فوقها رجلاً ، فلم يزل على ذلك إلى أن فَعَلَ الفاحشةَ ، فلما رفعوا المخدة  
وجدوه ميتاً ، فألقوه من طلاقة بالوكالة ميتاً ، ثم خافوا فذهبوا واحتملوه  
إلى خندق قلعة دمشق وألقوه فيه ، ثم جاؤا وشرعوا في إتمام السكر  
خذلهم الله تعالى ، وما صدَّهم ما فعلوه عن الميل إلى أمّ الخبائث .  
ففي اليوم الثاني علم بذلك الوزيرُ فأمر بخنق ابن خضر في القلعة ، ولم  
يشهروه لكون أبيه من الجنند . فخنُقَ بعد ليلتين من موت الشاطر .  
وكان معهم في المجلس رجل حلبي يقال له رمضان كان ذنبه أنه حمل  
معهم الشاطر لما أرادوا إلقاءه في خندق القلعة ، فأمر الباشا المذكور بصلبه  
فصلبَ تحت قلعة دمشق ، في يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة .

## حرف الصاد

١٢٧

الشيخ صلاح الدين الكوراني الحلبي<sup>(١)</sup>

وهو من الأدباء ، كاتبٌ في محكمة حلب ، محرّرٌ لصكوكها ، بل هو كبيرُ الكتّاب ، ورئيسُ بني الآداب وأخوه تاج الدين<sup>(٢)</sup> نائبٌ في القضاء وهما جالسان في باب قاضي القضاة : أحدهما للنيابة<sup>(٣)</sup> والثاني للكتابة<sup>(٤)</sup> . وأهل بلده راضون من الاثنين ، لحسن سلوكهما .

كتب اليّ الشيخ صلاح الدين المذكور ثلاثة قصائد أجبتُه عن واحدة ، واعتذرتُ عن عدم الإجابة عن القصيدتين الباقيتين . فأما القصيدةُ التي أجبتُ عنها فهي هذه :

قدومٌ قد اخضرتُ به حلب الشهباء      من البدرِ حتى قدّم الدرّ والشهباء (١٥٥ آ)  
قدومٌ خوافي الأُنس منه قوارمٌ      بخفضِ جناحِ القُرْب تأتلف<sup>(٥)</sup> السربا

(١) انظر ترجمته في المحي ٢٥٢/٢ .

(٢) قوله « تاج الدين » ساقط من ب ، هـ .

(٣) هـ ، ب « للنيابة في القضاة » .

(٤) بعد ذلك في هـ ، ب « فأما الكاتب فاسمه صلاح الدين ، وأما النائب فتاج الدين » .

(٥) هـ « تأتلفي » م « تألف » .

ومجدبة كانت تغرّ سراتها كألِ فروى فضله الآل والصحبَا  
له قدمٌ قد أخصبَ الحيّ قادمًا وقد كان ميتاً يشتكي الجور والحدبَا  
وكم شنف الأسماعَ قبلي<sup>(١)</sup> نواظرٌ وطابقتها فاستوطنَ الطرفَ والقَلبَا  
وكم مرّ بي عيشٌ وحالي عاطلٌ يساقطُ عن جيدِ اللقائلِ أوْ رطبَا  
وأقعدي حظي عن القُربِ مُشيداً

« أُسْرِبَ القَطَا هَلْ مَنْ يَطِيرُ بِنَا قُرْبَا »

رَجَوْتُ بِإِرْخَاءِ الأَمَانِي عِنَانَهَا تَلَاقِينَا ذَاتَا لِرِسْمِ النُّوَى سَلْبَا  
فَوَادِي عَلِي عَهْدِ المَهْوَى مُضْرَمٌ<sup>(٢)</sup> الحَشَا وَقَدشَابِ فَوَدِي والغَرَامُ بِهِ شَبَا  
وَكَابَدْتُ مِنْ خَطِّ الصُّكُوكِ كَأَبَةً عَلِي الخَطِّ<sup>(٣)</sup> حَتَّى ذِيَلَتْ خَطْمَهَا خَطْبَا  
وَبتُ غَرِيبَ الجِنْسِ لِإِلفِ لِي سَوَى حَمِيمٌ مِنَ الدَّمْعِ الَّذِي يَصْحَبُ السُّخْبَا  
وَكَم قَدَرَفَعْتُ الأَمْرَ دَفَعْتُ شِكَايَةَ عَلِي نَزَعِ خَفْضِ القُرْبِ مَا بَيْنَنَا نَصْبَا  
وَعَضَّتْ عَلِيّ النَّايِبَاتُ بِنَانَهَا وَكَم أَنشَبَ الدَّهْرُ الخُؤُونَ بِنَا حَرْبَا  
وَمَا ذَا يُرَجِّي المَرْءُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا<sup>(٤)</sup> وَقَد حَلَفْتُ أَنْ لَا تَرَى صِلَةَ القُرْبَى

(١) م « قبل » .

(٢) م « هضم » .

(٣) « على الخط » ساقطة من م .

(٤) م « الدنيا » .

وأبي فتى قد بصر الله لبه  
ولما دعاه الفضل من أهله لبي  
نعم أخرست في حُبِّهم عنادل  
وفي الروض صوت الصعوق قد أقلق القُضبا  
وغابت أسود الغاب يوم فريسة  
وقد حضرت لا من فراسته الذبا  
وليس يفيدُ الناس إلا مغانم  
من الذكر بالحسنى وإحسانهم نهباً  
يروغ بشوب الغول أو برودة الحربا  
فتباً لخلِّ راغ عنك مُثعلباً  
وقامت له العرجا ولاقت له الحدبا  
وكم قعدت عن سبِّها كل صافين  
وقد بيست ضرع الأمان بها خلباً<sup>(١)</sup>  
إلى أن أتاح الله بعض بقیة  
من الخطِّ فيها شاهد الناظر الحبا  
فلما التقينا وانطوينا اشارة  
على بث آداب لنا تسجر الشبا  
تيمّن طرفي أن مرآك نوره  
محيط به والقلب غادرته القطبا  
شربت كؤوس القرب مُترعة بكم  
ومع غيركم ذا تيممها تُربا (١٥٥ ب)  
وإني لمجبول على الود طينة  
وأحفظ برّ العهد لا أغضب الربا  
أبى من دمشق فاضل بعد فاضل  
ولكن ضياء البدر قد مزق الحُجبا  
هو الحسن المشهور عذب حديثه  
وموصولة بعدي مُسألة الحزبا  
رجائي بأن لا يبعد الله ذاته  
عن الغيب في الأولى كذلك في العقبى

فَأَنْسُ الْفَتَى فِي نَفْسِهِ بِقَرِينِهِ      وَسَلَّ عَنْهُ تَسْتَأْنِسُ بِهِ الْكَامِلُ النَّدْبَا  
وَقَدْ أَعْرَبَتْ أَلْفَاظُهُ عَنْ بَدِيعِهَا      وَفِي سَبْقِهَا فَاقَتْ عَلَى الْعَرَبِ الْعَرَبَا  
فَلَا رَطْبٌ إِلَّا مَا جَنَى ثَمَرَاتِهَا      وَلَا رَطْبٌ إِلَّا مَا جَرَى ذَوْفَمٌ<sup>(١)</sup> عَذْبَا  
قَدْ اغْدَوْ دَقَّتْ يَمِينَاهُ عَنْ بَرْقِ بَشْرِهِ      وَفَاقَ بُوَيْلَ الْفَضْلِ شَعْرَهُ سُجْبَا<sup>(٢)</sup>  
تَضَلَّعَ عِلْمًا مُحْكَمَاتِ دُرُوعِهِ      وَأَسَّسَ فُضْلًا مَا اسْتَطَاعَ عَوَالَهُ نَقْبَا  
حَكَمْتُ لَهَا بِالْفَضْلِ دُونَ صِحَابِهِ      وَأَحْكَمْتُ تَسْجِيلًا عَلَى الْحَاسِدِ الْعَتْبَا  
أَرَقُّ مِنَ الضَّحْضَاحِ يُبْدِي شَمَائِلًا      بِأَوْفَرَ مِنْ عُشْبِ الرَّبَا عَطَّرَ الشَّعْبَا  
وَمَا قَدِّمَتْ شَهَابُونَا<sup>(٣)</sup> غَيْرَ ذَاتِهِ      نَزِيلًا بِهَا إِلَّا وَتَسْتَغْفِرُ الذَّنْبَا  
وَلَمَّا سَمِعْنَا مِنْهُ عَذْبَ حَدِيثِهِ      نَسِينَا وَلَمْ نَذْكُرْ عَذَابًا وَلَا نَصْبَا  
إِلَيْكَ تَوَجَّهْنَا بِهَا لَا إِلَى السَّوَى      وَهَلْ مِنْ تَصَابِيٍّ مِثْلُ مَنْ قَدَّصِبَا صَبَا  
ذَكَرْتُ رِسَالَاتٍ مَضَّتْ فَاسْتَفْزَنِي      مِنْ الْفِكْرِ مَاضٍ يَنْتَضِي الصَّارِمَ الْعَضْبَا  
وَقَامَ يِرَاعِي كَالْقَنَا مَا دَرَيْتُهُ      عَلَى الطَّرْسِ حَتَّى ذَالَ<sup>(٤)</sup> الْمَسْلُوكَ الصَّعْبَا  
وَقُلْتُ لَهُ لَا تَقْطَعْ الْكُتُبَ بَيْنَنَا      فَلَمْ أَلْقَ مَا يَبْقَى سِوَى رَقْمِكَ الْكُتْبَا

(١) م « ذَوْفَم » .

(٢) م « وفاق بفضل من شعره سجباً » .

(٣) م « شهباناً » .

(٤) م « ذلك » خطأ .



ولا تَحْتَفِلْ إِلَّا بِجَلْبِ جِوَابِهِ      لعلَّ به نُجَلَى<sup>(١)</sup> على ذوقنا الصهباء  
 ولَطْفٌ له منك العبارةَ خافضاً      لديه جَنَاحَ الذُّلِّ وأَعْظفَ له الجنبا  
 وَقُلْ يا بَدِيعَ المَجْدِ يا حَسَنَ الثَّنَا      أُهاديك أُعْزَايا كَشَفَ الحُزْنَ والكُربا  
 هو العَلَمُ المشهورُ في كلِّ بلدةٍ      ويذكرُه في الشرقِ مَنْ يَعْرِفُ العُربا  
 سماه فَردٌ من بني آدمٍ إذا      تصحَّفَ لكنْ نسلُه يملأُ الرَّحبا  
 ثلاثيُّ لَفْظٍ والطبائعُ أربعٌ      قد اعتدلتُ فيه وما قُلتُ ذا كِذبا  
 حكى صَدَقًا لکنْ على الدرِّ مُطبَّعاً      وفاخرُ شُهْبِ الأَفَقِ من أرضه الخصبا  
 وإنْ عَكَّسُوهُ فهو قوتٌ لذي الضنا      على الفرشِ مثلي حينِ ناسبه طببا  
 ويقطعُ قَلْبَ القَوْمِ إنْ قَطَعُوا له      قواماً ولكنْ بعدَ تصحيفه شربا (١٤٨)  
 وقلْبِكَ ما يَبْقَى عن القَطْعِ مُخْبِرٌ      عن الشكرِ عن صرَعِ<sup>(٢)</sup> العيونِ لنا غصبا  
 ومِنْ غَيْرِ تصحيفٍ لذي القَطْعِ إنَّه      مَسْمِيٌّ لِإِحْدَى الخَمْسِ يَسْتَعْطِرُ النُكبا  
 على نَفْسِهِ فَلْيَبِكِ مَنْ لَمْ يَنْلُ به      فواكُهْ مِنْ مَجْنَى حاسِنِهِ غُلْبا  
 فيا زائراً قد كنتُ منتظراً<sup>(٣)</sup> إلى      زيارته في سائرِ الدهرِ لا غِبا

(١) « تحلى » .

(٢) « صرح » .

(٣) « منتظراً » .

قَدِمْتَ عَلَيْنَا بِهَجَّةٍ نَجْتَلِي بِهَا      وَنَجْلُو بِهَا الْأَجْفَانَ تَعْتَلِقُ الْهَدْبَا  
وَشَرَّفْتَ أَبْصَارَ أَفْسَنْفٍ<sup>(١)</sup> مَسَامِعَا      عَسَى الْقَلْبُ بِالتَّعْجِيبِ يَزْهَوُ بِكُمْ عُجْبَا  
فَلَا زِلْتَ تَوْلِينَا بَدَائِعَ فِكْرَةٍ      بِأَبْكَارِ دُرٍّ لَا نُدْنُسُهُ ثَقْبَا  
وَلَا زِلْتَ فِي أَعْلَامِ مَقَامٍ إِذَا حَدَثَ      حُدَاةُ حِجَازٍ فِي السَّرَى تُطْرِبُ الرِّكْبَا

قلت: وهذا جوابي عن قصيدته المرقومة، مراعيًا للوزن والقافية  
المرسومة، وقد صدر الجواب على سبيل الارتجال، وظهر منظوماً  
كنظم الأمثال:

أَلَا مَنْ لَصَبٍ حَارٍ فِي حَبِّكُمْ لُبَا      وَلِمَا دَعَاهُ الْوَجْدُ فِي حُبِّكُمْ لَبَا  
هُوَ أَوْرَثَ الْأَحْشَاءِ شُكْرًا مَوْبِدَاً      وَمَا خَامَرَتْ خَمْرًا وَلَا قَارَفَتْ<sup>(٢)</sup> صَهْبَا  
أَقَامَ بِهَا دَاعٍ مِنَ الشُّوقِ لَمْ يَزَلْ      يَجَاوِلُ مِنْ دَاءِ الْغَرَامِ بِكُمْ طَبَا  
فَهَلْ لِي مِنَ السُّكْرِ الْعَظِيمِ إِفَاقَةٌ      لِعَمْرِي لَقَدْ حَاوَلْتَهُ مَطْلِبَاً صَعْبَا  
تَكَاثَرَ دَعْمِي كَالسَّحَابِ إِذَا هَمَى      وَأَصْبَحَ صَبْرِي<sup>(٣)</sup> بَعْدَكُمْ فِي الْهُوَى نَهْمَا  
تَرَنَّقَ مِنْ بَعْدِ الْأَحْبَةِ مَوْرِدِي      وَقَدْ كَانَ وَرْدِي فِي الْعَذَابِ بِهِمْ عَذْبَا  
وَأَصْبَحْتُ صَبَاً أَسْكَبُ الدَّمْعَ بَعْدَهُ      فَيَا وَيْحَ صَبٍّ قَدْ غَدَا دَعْمُهُ صَبَاً

(١) • • • نضفت • •

(٢) • • • نارتت • •

(٣) • • • قلبي • •

وقد ضاقَ صدري بالصدود وبالنوى  
شَرِقتُ بِغَرْبِ الدَّمْعِ سَاعَةً وَدَعُوا  
وما كان لي ذنبٌ سوى صدقِ نيتي  
خَلِيلِي مِنْ قَيْسِ بْنِ عِيْلَانَ هَلْ إِلَى<sup>(١)</sup>  
وهل ظِلُّ ذَاكَ الضَّالِّ مِنْكُمْ كَعَهْدِهِ  
وهل سَاعَةٌ أَحْيَا بِهَا مِنْ تَوَاصُلِ  
أَنَا الْخِلُّ لَا وَجْدِي الْقَدِيمِ بَزَائِلِ  
مَعَاذَ الْهُوَى لَا كُنْتُ مِنْ خَانَ عَهْدِهِ  
أَلَا رَبُّ مَا مَوَّنَ الْحِرَانَ أَمْتَطَيْتُهُ  
وقد نزعْتَ أبداننا<sup>(٢)</sup> راحةَ اللَّظَى  
نسوقُ سراجينَ السَّبَاسِبِ سُرِّدَا  
وزَمَمَ حَادِي الْعَيْسِ يُطْرِبُ سَامِعَا  
وهبَّتْ قَبُولٌ بِالقَبُولِ عَشِيَّةً  
ولما بدتْ أَعْلَامُهُمْ هَيِّجَ الْهُوَى

وقد كان مأوى الوصل في حبيهم رَحْبًا  
فِيَا لَكَ دَمْعًا يَمَلُّ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَا  
فَإِنْ كَانَ ذَا ذَنْبٍ فَأَسْتَغْفِرُ الذَّنْبَا  
مَوَارِدِكُمْ مِنْ نَهْلَةِ تَمْنَحِ الشَّرْبَا  
ظَلْمِيلاً فَقَدْ اسْقَيْتُهُ أَدْمَعِي سُجْبَا  
تَبَعَّدُ لِي بُعْدًا أَوْ تُقَرِّبُ لِي قُرْبَا  
وَلَا حِخْتُ فِي عَهْدِي خَلِيلًا وَلَا صَحْبَا (١٥٦ ب)  
وَلَا كَانَ صِدْقِي فِي ذِمَامِ الْهُوَى كَذْبَا  
وَوَجْهِي لِحَرِّ الشَّمْسِ صَيَّرْتَهُ نَصْبَا  
إِلَى أَنْ لَبَسْتُ فِي الْفَلَاحَةِ الْحَرْبَا  
فَتُنَكَّرْنَا أَنْسَاءً وَتَعَرَّفْنَا نَهْبَا  
بِذِكْرِ الْجَمِيِّ شَوْقًا فَقَدْ هَيِّجَ الرِّكْبَا  
وَقَدْ نَكَبْتُ عَنْ مِلْتَقَى جَمْعِنَا النِّكْبَا  
غَرَامِي وَأَبْكِي نَاطِرِي لَوْلَوْ أَنَّ رَطْبَا

(١) « أتى » .

(٢) « ابرادنا » .

ولما يزيلُ الحزنَ أو يدفعُ الكربا  
فدائرةُ الآدابِ قد أصبحَ القُطبا  
وقد غرستُ كفاه في باطني حُبًّا  
فلا ابتغي عِتقاً من الرِقِّ أو سلبا  
بمدحِ صلاحِ الدينِ من زَمَنِ الشُّهبا  
ونظَمَ في أنثاه أشعاره الشُّهبا<sup>(١)</sup>  
وألزمُ مدحي للصديقِ ولو سببا  
وانظرُ مثواه على جَدْبِهِ خِصبا  
ويحملُ عن منخطوبه في الوري خُطبا  
ويا أيها الساقى لنا سَلْسَلًا عَذبا  
وقد فارقَ الأوطانَ والحَيَّ والشعبا  
أقامتُ يدُ الأيامِ ما بيننا حربا  
غدا عاجزا عن مثله العَرَبُ العَرِبا  
بشغري وتاهتُ عندَ إقبالنا عَجبا  
ولم ألقَ ما يُسالي الفؤادَ عن الحمى  
سوى نظمِ درِّ جاءني من مَبجَلِ  
حياتي وأحياني بصفوٍ وداده  
وصيّرني رقاً رقيقُ نظامه  
بلى أنا مملوكٌ تشرفَ قدره  
وحلّى وجودي من جواهرِ نظمه  
أنا الخِلُّ لا أجفو خليلي وإن جفا  
ولستُ بناسٍ وُدّه طولَ مدّتي  
رعى اللهُ من يرعى ودادَ خليله  
فيا أيها المهدى عُقوداً ثمينَةً  
تفضّلتُ لطفًا بالقريضِ لنازِحِ  
وصيرتُ لي صلحاً مع الدهرِ بَعْدَ ما  
لعمري لقد أبديتُ عِقْدَ بلاغَةٍ<sup>(٢)</sup>  
إلى حلبٍ لما أتينا تَبَسَّمَتُ

(١) هذا البيت ساقط من « ه » .

(٢) « ه » لعمري لقد أبدت عُقود بلاغة « ه » .

وقالت لنا أهلاً وسهلاً ومرحباً بمقدم مولى غدا صدره يحفظنا كتبنا  
وماست بنايتها وقالت لأهلها هلموا إلى فضل على البحر قد أربى  
وقابلنا من أهلها كل مقبل يرى أننا ضيف وإكرامنا قربي  
قلت : وقد كان الشيخ صلاح الدين الكوراني المذكور قد أرسل إليّ  
قصيدتين غير هذه القصيدة ، الأولى طائفة والثانية نونية . ولم أستطع  
مناظرة الطائفة والنونية ، لكننا على جناح سفر ، ولأننا لم نكن ،  
بسبب فكر الرجوع ، على مستقر ، فأجبتُه عن البائبة فقط ، وكتبتُ  
القصيدتين المذكورتين بغير جواب ، والله الموفق للصواب .  
فأما الطائفة فهي هذه :

خليلي إن الصخب بالركب قد شطأ ولاحق دمعِي في السرى يسبق الشطا  
فسمار وبدر التيم في هودج العلى تودُّ الثريا أن تكون له قرطا  
ولما دعى داعي الوداع أجبتُه بروحي على رسلٍ ومن جاء ما أبطا  
ولما وقفنا برهةً وأماط لي غطاء اللقا اسبلت من عفتي مرطا  
يسلمُ باليمنى عليّ إشارة ويمسحُ بالسرى من الدمع النقطا  
وبيسمُ عن سنطِي عقيقٍ ولؤلؤٍ فجالسته أبكي بما جانس السمطا  
وانسانُ عيني رامُ دُرّاً لشغره ألم تَرَهُ في بحر أدمعها (١) غطا

فريدٌ كأن النسر من طي شعره  
جرى قلم الريمان في طرس خده  
تشابه خمري في الهوى برضابه<sup>(١)</sup>  
وإن قسته بالبدر وجهاً أجابني  
بسطت له عذري على الجمر قابضاً  
غلطت بعشقي في حواشي خدوده  
وقد بعته روعي بشرط وفائه  
فَنَقَّصَ صبري من ميزان حاجب  
على خاله قد حام طائرٌ مُهَجَّجِي  
وتكتب بالهندي لحظه بالحشا  
وساق غبار الخد نزهة ناظري  
يُخَالِفُنِي والقاب طوع غرامه  
دنوت فأقصاني وصرتُ فما هوى  
صبرتُ له صبر الكرام على البلا

ميج فتيت المسك إن خالط الشطناً  
فحقق من هامات عذاله الخطأ  
ولا فرق عندي إن أباح لي الخطأ  
أما الفرق بادٍ؟ فاجتهدك قد أخطأ  
ولا عذر إلا بالجوى يقتضي البسطا  
وقابلته صبراً فأورثه الكشطا  
فقال أليس البيع لا يقبل الشرطا  
فهلاً أقام الوزن في بيعتي قسطاً  
وكيف خصاص الطير لا تألف اللقطا  
ومن قدَّه الخطي في مهجتي خطأ  
فجل حساب الدمع في وجنتي ضبباً  
فأهواه إن أبدى الرضا أو السخطا  
وبتُ فما أوى ورمتُ فما أعطى  
وعدل الهوى عندي إذا جارا واشتطا

ولستُ على الحالينِ إلا مُرابطاً  
وغادر أرباب الهوى تحت طاعتي  
وعُذراً إذا شغلت عن فرض ذكره  
وذات جناحٍ حرّكتُ لاجعِ الهوى  
أجاذبها بالدمعِ والدمعُ راحةٌ  
تذكرني غيداً كأنَّ مُغورها  
عذولي ضريرٌ عن سناهن في الهوى  
كواعبٌ إلا أنهن كواكبٌ  
وتركنني في فرقدِ الحبِّ هائماً  
عديم ثراءٍ لا ثناءٍ وظالمي  
أقاربه يغشون بينهم الصفا  
يحطّ بني الآداب عن رفعة الفتا  
ويعلو بطيرِ الجهلِ قدراً وإن رأى  
فيرقل<sup>(١)</sup> من بالجهل يرفع فاحراً  
ويمجد من بالفضل سفلاً حائراً  
ولله في صرف الزمان إرادة

(١) • • • • •

## ١٢٨

صالح من البيت السفاحي بحلب<sup>(١)</sup>

غريبة<sup>٢</sup> ورد خبرها دمشق الشام في أواسط شهر ربيع الأول من شهر سنة ثلاث وعشرين بعد الألف من هجرة خير الأنام ، عليه من الله أفضل التحية وأتم السلام ، وقد بالغ بحلب في الخروج عن الطاعة ، وعن سنن السنة والجماعة . ودخل في الطائفة الذين يقال لهم السكبانية . وهؤلاء قوم خالفوا جميع الملل والنحل ، وصيتروا غاية أمرهم الخروج عن طاعة السلطان ، وسلاحهم الآلة التي يقال لها التفتك وهي البندقية ، فيخدمون أميراً يكون خارجاً عن الطاعة على أن يدفع لكل فردٍ من أفرادهم في الشهر شيئاً معبئاً من المال ، وأصل سك الكلب وبان صاحبه يعني الكلابي أي الخادم للكلب وقت الصيد ثم اضطروا وصيروه اسماً لمن كان موصوفاً بالبطالة والنطالة . والفراصة ، وغالبهم يتعاملون فعل قوم لوط ، لزالوا من دركات جهنم في هبوط .

ولما تمادى الشاب السفاحي صاحب الترجمة في الخروج بالغرور والشروع في باطنه بالسرور وإذا والدته ووالده عرض أبوه وأمه أمره على الحاكم بحلب المحروسة وهو الوزير الشهير بأحمد باشا ككجي زاده يعني ولد الخباز ، وهو في الحقيقة حاكم مستقيم ، وسلوكه قويم ، مشكور السيرة . بمدوح السريرة . وطلباً من الحاكم المذكور انه يقتله ليستريحاً من شره ، ويريحاً الناس من قهره وقصره .

(١) هذه الترجمة ساقطة من « ه » .



فقال لها الحاكم : أفلا نضع ما هو خيرٌ من ذلك ؟

فقالا له : ما هو ؟

فقال : نرسله يقذف في السفن السلطانية ، فإنّ الأمر السلطاني قد ورَدَ  
بتحصيل مجرمين لسدّ هذه الخدمة .

فأما والده فرضي بذلك ، وأما الأم فقالت : لا أرضى بما هنالك ،  
ورضيت بقتله ، على أن يُدفنَ في تربته ومحلّه ، لتزوره وتعرف مقرّه ،  
وإن فقدت في عمره بره .

فوعدهما الحاكم بقتله في ليلة عيتمها لهما . ففي تلك الليلة المعينة دخل  
والد الولد المذكور إلى بيت الماء ووقع مغمسياً عليه ، فحرك ، فإذا هو  
ميت ليس به روح ، بل هو هناك منبوذاً مطروحاً ، بعد أن كان في يومه  
ذاك قد ذهب إلى قرية قومه وعنتن لولده المعزوم على قتله موضعاً في  
يومه . وعزله وعز عليه أن يكون له .

ففي الليل ذهب بعض الجيران إلى الحاكم وأخبروه ، وبما جرى من  
موت الوالد المذكور قد خبروه ، فدقّ لإحدى يديه على الأخرى عجباً ،  
واقى مما لقي من ذلك نصيباً . ودفن الوالد مكان الولد . والله البقاء  
فهو الفردُ الصمد .

وأما الولد فإنه ذهب إلى حضرة أحمد باشا الوزير بحلب وتاب لديه ،  
وصار بذلك نظره عليه . وأعطاه تولية وقف آبائه وجدوده ، وأمات  
بذلك قلب مبنغضه وحسوده . فالعجب أن القبر كان قد هيأه الوالدُ  
لولده ، فصار للهيء لا للهيئاً له . وهو ولده ، بعد أن مزق من الخوف  
كبده . ولعمري لقد صار في الدهر من هذا الشيء ما تحار له الأبواب ،  
ويقضى منه بالعجب العجاب . ولكن سيأتي الكلام ، بعون الله الملك العلام .  
فان الفزع بعد الشدة كثير . والله تعالى هو الحليم الخبير . وهو حسي  
ونعم الوكيل .

## ١٢٩

صاحبنا ورفيقنا الشيخ

صالح المصري<sup>(١)</sup>

انفق أنه سار معي إلى قرية يبرود من فواحي دمشق الشام ، سقاها صوب الغمام ، وكان ذلك في ذي القعدة الحرام من شهر سنة احدى بعد الألف . وسببُ المسير أن ربيع القرية المذكورة وقفُ مدرستنا الناصريّة الجوافية . فذهبتُ لتحصيل ربيع القرية المذكورة ، بصدق النية ، وخلص الطويّة . لأنّ تدريس المدرسة المذكورة كان قد فوّض اليها ، وعيّن علينا ، فلما وصلتُ اليها ، ودخلتُ عليها ، جُسُنّا خلال بيوتها ، واستقصينا محاسن نعوتها . فرأينا ما يدلُّ على عظم أصلِ البناء في القرية المذكورة . وهي في الحقيقة من البلاد القديمة المشهورة ، ورأينا آثار كنيسة مبنية بالفُسَيْفِيسَاءِ الذهبية ، المنسوب إلى بناء من بناء قسطنطينيّة غير أنها مهدومة الأركان ، وقد وقعت عروشها على الحيطان ، وأخني عليها الذي أخني على لبد . وتداولتها أيدي الزمان ومن يبقَى إلى الأبد . فرأيتُ بها داراً دار عليها جور الزمان ، وتغلب عليها تغلب الحدّاث ولم يبق منها سوى العتبة العُلّيا . وفوقها أبيات نُفِيش بِالْحِظَّةِ الأعلَى . فتأملتها كثيراً وأجريتُ العبرة عبرةً أسالت مطراً غزيراً . فإذا هي هذه :

(١) هذه الترجمة ساقطة عن « ه » .

يا خاطب الدنيا وأحداؤها منه ومن أمثاله ساخره  
هيهات أن يدفع عنك الردى ما شئت من أبنية فاخره  
يلهو بها بعدك مُسْتَمْتِعٌ وفي غدٍ أعظمك الناخره  
أحسن بما قد شئت من منزلٍ لو كان يُغني عنك في الآخره

قلتُ : واستمرت مدةً لا أدري قائل الأبياتِ ولا أعرفه ، لا بطريق  
الشكِّ ولا على سبيل الإثبات ، إلى سنة خمسة عشر بعد الألف من هجرة  
خير الأنام ، عليه من الله الصلاة والسلام ، فتملكتُ ديوانَ الأديب المشهور  
بجده لأمه الشيخ العارف أبي محمد المبارك المعروف بابن التعاويذي ، فرأيتها  
في ضمن الديوان المذكور . فسبحان من يبقي على نوالي الأيام والشهور ،  
ولا تُفنيه الأعوامُ ولا العصور ، ولا تغيّره الحوادث والدهور . وهو الله  
الملك الغفور .

قلتُ : الذي في الديوان « منه ومن أماله » . والذي رأيتُه منقوشاً على  
الباب « منه ومن أمثاله » .

قلتُ : وقد اتفق لي نظم بيت عند المسير إلى يبرود ، وارتواء القلب  
بالماء البَرود ، وهو قولي :

قد كان قلبي على حرّان من ظما واليوم أصبح من سكان يبرود  
واللطيفة هنا المطابقة بين حرّان ويبرود ، وهما قريتان من قرى  
دمشق الشام ، وفيها التلميح بالمشق أولاً والسلوان ثانياً . وحرّان هذه

قرية من نواحي مَرَج دمشق ، ويقال لها حرّان العواميد . والمشهور  
أنَّ حرّان مدينةٌ عادية من بلادٍ ديارٍ مُضرٍ بالميم والضاد المعجمة ، وبها  
مقرٌّ بطريك النصارى اليعاقبة ، والنسبة اليها حرّاناني ، والمشهور حرّاناني ،  
وهو خطأ ، وإن كان القياس لأن النسب سماعي وما نُسب إلى حرّان  
في السماع .

## حرف العين

١٣٠

عبد الحليم اليازجي الباغي الخارجي<sup>(١)</sup>

هو رجلٌ من الطائفة السكّبانِيَّة . والسكّبانِيَّة عبارةٌ عن طائفةٍ كان وضعُهُم أن الواحدَ منهم يحملُ البندقِيَّةَ على ظهره ويقودُ الكلبَ في ساجوره ويمشي أمام الأمير أو الكبير ، حين يسير إلى الصيد . وهو لفظٌ فارسيٌّ مأخوذٌ من سَكْ . فأما سَكْ فهو الكلبُ بلغتهم ، وأما بآن فهو بمعنى الحامي ، أي حامي الكلب .

وهؤلاء الطائفة لم يكونوا أولًا شيئًا مذكورًا حتى جاء إلى بلاد الشام أميرٌ يُقال له أبو سيفين تولى ولاية لواء نابلس . فصحب منهم نحو مئة رجلٍ يستعينُ بهم على رعايا بلاد نابلس ، لأنهم لا يخلون من نوع شراسة . فاعتاد الأمراء استصحابهم إلى ولاياتهم ، فكثروا ، إلى أن تولى لواء صفد أميرٌ يقال له درويش بك ، فاستصحب منهم جماعةً كان كبيرهم عبد الحليم اليازجي صاحب الترجمة . فاستمر درويش بك في صفد مدة ، وهم معه . فاتفق أنه عزّلَ بالأمير عليّ الشهير بدالي عليّ الجركسي . فذهب عليّ المذكور لأن يتسلم ولاية صفد .

فقال عبد الحليم اليازجي لدرويش بك : لا تسلم الولاية المذكورة لدالي عليّ ، وأنا أمنعه بالحرب والضرب . فقال إلى كلامه هذا ، ولم يُسلم .

(١) انظر ترجمة موجزة له عند المحي ٢/٣٢٢ .

فلزم أن أمير الأمراء بدمشق وهو خسرو باشا الخادم أرسل كدخداه  
باكير آغا مع كثير من عسكر دمشق إلى ولاية صفد ليؤخّر جواد درریش بك  
منها ويُسَلِّمَها لدالي علي بك . فلما وصلوا إلى نواحي صفد خرج اليهم  
درويش بك مع اليازجي عبد الحليم وامن معه ، فقابلوهم وقاتلوهم ، ومنعوهم  
من دخول صفد . ودام القتال بينهم أياماً إلى أن تجرّدَ للقتال عسكر  
الشام وبرزوا للطعن والضرب . وصبروا لكرّات الحرب ، وجأهروا  
بالمبارزة . وصابروا في المناجزة ، ونادوا بشعارهم ، ولحقوا بآثارهم حتى  
ضَيَّقُوا عليهم المجال وجُرِحَ في ذلك اليوم كثير من الأبطال .

وأما عبد الحليم فنزل بجماعته (١) إلى السهل ، فقطعوا مُرادق  
دالي علي بك ، ونهبوا ما فيه . فأراد التأخّر عن مكانه ، فناداه بعض رفاقه :  
إلى أين الهرب ؟ وما هذا الرهب ؟ وأنت مشهور بالبسالة ، معروف بالبطالة ،  
عُدْ إلى موقفك ، ولا تكن من خار وتهول ، فإنّ الموت مقرّر ،  
والهلاك له وقتٌ مقدّر .

فرجع يزأرُ زئيرَ الأسود ، وثبت في موقف الموت وهو بنفسه يجود ،  
وليس معه سوى نفرٍ قليل . لكن كلّ منهم يسير من الموت إلى ظلِّ  
ظليل . فركب ممتنّ الثبات ، ونادى : لا فرارَ عن المات . فيقال إنه  
قتل في ذلك اليوم من السكبانّيّة نحو العشرة . واستحلّ دماهم استحلالَ  
دمِ الكفّرة . فكسر نفوسهم . وأوجب بؤسهم ، ودخل عليهم الليل .  
واحتاط بهم الويل ، ودخل ذو الفقار بملوك الأمير منصور بن الفريخ إلى  
مدينة صفد من ناحية من نواحيها ، فردّه السكبانّيّة بالبندق ، وقتلوا

(١) « مع جماعته » .

من جماعته شاباً كان لديه مقبولاً ، فأصبح في الفلاة مقتولاً . فتقهقر ورجع عن الإقدام ، واتصف بالندم والإحجام . ثم لم يزالوا بين تأخرٍ وتقدم ، واستصوابٍ وتقدم ، إلى أن أشارَ العقلاء على درويش بك أن يخرجَ مَع مَنْ مَعَهُ ، وأن يُفَرِّقَ العسكرَ الذي جمعه . وقال له الناس : مقاتلةُ السلطان لا تليق ، وأنت لذلك لا تطيق .

فخرج من المدينة خائفاً يترقب ، وهو برداء الليل يتنقّب . وخرج معه عبد الحلیم مع جماعته السكبانية ، وكان سيرهم على صيدا من الجهة الشَّقِيفِيَّة . فوردوا على الأمير ابن معن أمير البلاد الشوفيَّة ، وأمير (١) الأسكلة الصيداوية . فزَوَّدَهُم وسيَّرَهُم ، وفي بلاده ما قرَّرَهُم . فأما درويش بك فقد سار إلى الباب العالي ، لازال محفوفاً بالمعالي . وذهبت وراءه المحاضرُ والشكايات ، وعن وقعت بهم النكيات ، من أهل هاتيك البلاد الصفديَّة ، وأسعفهم فرقة من أهل البلاد الدمشقيَّة ، حزننا على ما أصابهم ، وتأسفنا لما وقع بهم وثابهم .

فلزم أن الوزير الأعظم ابراهيم عرض حال درويش بك على حضرة السلطان ، فأمر بصلبه . فصَلِبَ بِثِيَابِهِ . ورجا الوزير في ذلك جزيل ثوابه . ولم يلتفت إلى ما كان يُنسب إليه من السيادة ، ورأى إزالة الظالم من الوجود أفضلَ عبادة .

وأما عبد الحلیم وأصحابه السكبانية فقد ساروا على ساحل البحر إلى طرابلس الشام ، ثم إلى جانب حلب ، حتى دخلوا إلى مدينة كيلنز ، بإشارة من أميرها . فشرعوا في الفساد المعتاد . فتنبه لهم أميرُ الأمراء بحلب فأرسل اليهم خداه وردى صوباشي أحداً أمراء المئة بدمشق . فذهب اليهم

مع عددٍ وافرٍ من عسكر دمشق ، فنازلوهم على بابِ كَلْتَز ، وقتلوا منهم عدداً وافرأ ، وجمعاً مُتْكَاثراً . وخرج عبدُ الحليم من كَلْتَز مع مَنْ بقي معه من جماعته المذكورين ، وساروا مكسورين غير منصورين .

ولما خرج منها هارباً ، سار إلى نواحي حصن 'سَمَيْسَاط' طالباً ، فقاتله حاكمُ الحصن المذكور ، وتواقعا ، وجرى بينهما موافقٌ ومواقع ، ومحارباتٌ بسيفٍ ومدافع . فتارةً كان غالباً ، وآونةً كان مغلوباً . ووقتاً كان سالباً ، وحيناً كان مسلوباً . إلى أن دخل إلى الرها (١) . واحتال إلى أن جاءت له أحكام سلطانية بأن يكون محافظاً بها .

وفي أثناء ذلك خرج عن ربة الطاعة رجلٌ يُقال له حسين باشا ، كان قديماً أميرَ الأمراء بولاية الحبشة ، وخلع من عنقه قلادة الطاعة ، واستمرَّ يُفسد في بلاد قرمان جَهْرًا الاستطاعة . حتى وصل إلى مدينة يقال لها أركنلي (٢) ، وهي قصبه حسنة مخصبة ، لطيفة بحسنها معجبة . فنثار إليه أهلها ليردّوه ، وعن بلدهم يدفعوه ويصدّوه ، فسطا عليهم كالأسد إذا صال ، وقطع منهم الأوصال .

ونمي خبره إلى حضرة السلطنة بقسطنطينية الحميّة ، صانها الله عن طوارق البلية . فأرسل إليه عسكرٌ عظيم ، فخاف من هولهم وفترَّ قاصداً

---

(١) الرها : هي مدينة حرّان . في تركية اليوم .

(٢) كذا في الأصل وفي المحي « أركله » وقال : بفتح الهمزة والراء وسكون الكاف الفارسية ، وفتح اللام ثم هاء . قصبه من أعمال قرمان على طريق القسطنطينية ، وهي وقف على الحرمين الشريفين . وفيها من الأعاجيب في محل قريب منها فوار ماء يخرج منه الماء سيالاً ، فإذا وصل إلى الأرض جد وصار كالرخام الأبيض لا يتكسر إلا بالحديد ، دون غيره ...



أن يخرج إلى بلاد العرب ، وظنّ أنه يُنَجِّيه الهرب . فمنعه من العبور  
عن جسر جيحان ، فَمَطَّفَ إلى جهة الشرق ، حتى وصل إلى الرُّها ،  
وظنّ أنه أصاب والحال أنه خاب وسما .

وكان عبد الحلیم اليازجي بالرُّها ، فأومئَ عبد الحلیم أنه ناصرُه ،  
والحالُ أنه خاذلُه ، ولم يمض أيام قليلة إلا ومحمد باشا ابن المرحوم  
سنان باشا الوزير الأعظم قد قصد البلد المذكورة ، يجاهير من العساكر تسدّ  
الفضا ، وتقدّم السيفَ بشدّة المضا . فنازلها وحاصرها ، وقابلها وقاتلها ،  
وكابرها وكاثرها ، فصدمتها جيوشُ الشام ، وقصدوا من فيها من الطغاة  
الطغّام ، وثار بينهم القتّام .

وفي يوم وصول عسكر الشام إليها ، ونزولهم عليها ، لاقاهم من طائفة  
عبد الحلیم وطائفة حسين باشا طائفة شديدة البأس . مشدودة المراس .  
فصدموا الشاميين مرّة بعد مرّة ، وردّوهم بأصدق كرّة . إلى أن تجمع  
الشاميتون على تلّ عالٍ هناك ، وتحزّبوا واستمسكوا بعض استمساك .  
وقال لهم ابراهيم الشهير بيالتوز ، وكان من جملة كُلماتهم ، بل كان عظيم  
'حماتهم : كيف لنا دخولٌ بعد هذه المرّة إلى الشام ، وهل يليقُ بنا  
الهربُ ونحن اصحابُ الاسم بالشجاعة بين الأنام ؟ هيمهات أن أهرب أو أرضى  
بالوصف القبيح ! وإنما أكر عليهم ولو صرّعتُ بينهم كالذبيح !

وشاور من شاوره من أقرانه ، وخاطب من قارب من اخوانه .  
وصاح صيحةً اقشعرت منها الجلود ، وشابهت بإثارتها الناسَ اليومَ الموعود .  
وركض جواده سابقاً ، وكان هو وجواده في الحديد غارقاً . ولحقه من  
الشاميين زمرةٌ وافية ، وجاهير كافية ، ففر جماعةُ اليازجي بين أيديهم فرّةً

قبيحة ، وما بالوا بالفضيحة . واستمرّوا في آثارهم إلى أن كثر دسّوهم على باب المدينة كراديس ، وقطعوا منهم رأس كل شجاع رئيس . ووقفوا حول القلعة كالأسود الخادره . وكانت فرقةً لدين الإسلام ناصره .

وباغني بمن أثقُ به أنْ يالتوز ابراهيم أظهر في ذلك اليوم من الشجاعة ما شاع أمره ، وبهر خببره وخببره ، وانقضى ذلك اليوم والنصرة للشاميين شائعة ، وأنوارها ساطعة . وفي اليوم الثاني وصلت بقية العساكر . واصطفت جميع الجماهر . ووقف إبراهيم المذكور على حصانه ، منفرداً كاسمه بين أقرانه ، وإلى جانبه حسن صوباشي الشهير بتركان حسين ، وعلى رأسه خوذة صفراء تبرز أنوارها ، وتضيء منها أقطارها ، وهم في مقابلة القلعة واقعون ، ولمواضع وضِع الخيام متحيطون . فرماهم عبدُ الحلیم من القلعة بمدفع هاج فملاً صوته النواح ، ووقع في الأرض ، وفي باطن ابراهيم طاح . فوقع رأسه على قربوس جواده ؛ وحركه من إلى جانبه فوجدوا الضربة في داخل فؤاده . ومات مثاباً سعيداً ، ومضى مشكوراً حميداً . فدفنوه عند مزارٍ هناك .

والعجبُ أنه في اليوم الذي قبل يوم موته شاهد موضع دفنه ، فقال : ما أحسن هذا الموضع وما ألدّ الدفن فيه ، لا سيما لمن كان مؤمناً يخاف الله ويتقيه .

وفقد عسكرُ السلطان بفقده ناصراً كبيراً وكانوا يؤمّلون به خيراً كثيراً . وتفرقت جماعته المجموعة ، وقلّ من أجرى عليه دموعه . وتوزّع الناس أسبابه ، ولم يعرف أحدٌ أحبابه . إلا أن رجلاً من أمثاله وأقرانه وأشكاله ، يُقال له مسيح ، كان من غرسه . وطال ما كان في الحياة يفتديه بنفسه ، بكى عليه وانتحب ، ولشجاعته ومكارمه ندب . وكان يقول

عند بكاؤه عليه : لَأَخُذَنَّ بِشَارِكٍ مِنَ الَّذِينَ اغْتَالوك . ولَأَخُذَنَّ دَمَكَ مِنْ قَوْمٍ قَتَلوك وَمَا قَاتَلوك . واستمر ينادي بذلك في قيامه وقعوده . وركوعه وسجوده .

فبينما هو جالس في بعض الأوقات إذ سمع قائلاً يقول : خرج عبد الحلیم اليازجي للقتال ، وبرز للنزال . فخرج من مخيمه مع شردمة قليلين ، يظن أنهم يدومون على القتال ملازمين . فتوسط صفوف العدو ، من غير ترتب ولا هدوء . والتفت وراءه فما وجد من جماعته أحدا ، ووجدهم قد تفرقوا بدداً . فلم يرجع عن قصده ، ولا حاد عن جدده . فجاءته بندقية ألقته صريماً ، وأجرت دمه نجماً . فنار قائماً على ركبتيه ، وقائم سيفه بيديه ، وهو يزأر كالأسد الحصور ، أو كالكمي الغيور ، إلى أن تكاثر عليه العدو ، وهو وحيد ، وقطعوا رأسه من الوريد ، وبقي مطروحاً تسفى عليه الرياح ، وتسقيه دموع الغواصي في الغدو والرواح .

وفي اليوم الثاني نادى مناد من قبل عبد الحلیم اليازجي ليمتقدم من يريد فيأخذ جسد مسيح فيواريه التراب . ويدفنه عند من مضى من الأحباب . وأنشد قول القائل :

نفلق هاماً من رجالٍ أعزّةٍ علينا ، وهم كانوا أعقّ وأظلماً  
فأخذه جماعته بالأمان ، وغسلوه وأدرجوه في الأكفان ، ودفنوه عند صاحبه إبراهيم . جوار بلدة الخليل إبراهيم .

ولعمري لقد وقعت لطيفة . وهي أن الرها بلدة إبراهيم الخليل ، (١)

(١) سقط من « ه » قوله « ولعمري ... حتى وكان إبراهيم » .

وكان ابراهيم قد ألقى فيها في النيران . فأول من قُتل فيها من المسلمين إبراهيم المذكور ، وهو قدر في الكتاب مسطور .

أخبرني صاحبنا حسين بلوكنياي الكردي الشهير بابن شرف أنه لما دام نزال المسلمين للبلدة المذكورة ، وعلم عبد الحليم أن فرقته مأخوذة لأنها محصورة ، شرع في طلب الأمان من الوزير محمد باشا المذكور ، على شرط أن يسلم لهم حسين باشا ، ويكون هو منهم ناجياً ، وبالخيانة مع حسين راضياً . وكان حسين شجاعاً باسلاً ، وبطلاً حافلاً ، لكنه كان عاطلاً من الحملة والحديعة ، فوقع من شرك اليازجي في مصيبة سريعة فأنزل اليازجي أخاه حسناً بالأمان ، بعد أن استرهن عنده عليه زمرة من الشجعان . وترددت الرسائل ، وتعددت الوسائل ، وحسين كالمحبوس في مكانه ، يظن القوم اخوانه وهم من خواتمه . فانهقد المقال ، وكثر القيل والقال . فأخرج حسيناً من موضعه وهو لا يدري إلى أين . ولم يعلم أن ذلك الطلوع يسوقه إلى الحين . فلما تحقق حسين أنه ذاهب إلى الحين . قال لليازجي مخاطباً ، وله باليم الكلام 'معاتباً : هكذا تكون اليهود من الشجعان ، لا كنتك عادم الإيمان ، فلذا خنت في الأيمان . وقد أحلت الله عليك ، وسقت عاقبة خيانتك إليك . وأنزله من الصياصي ، بعد اغضابه لمالك النواصي ، وتسلمه أهل الشام ، وأعطوه الوزير بعد العشاء في الظلام .

فلاطفه الوزير بالكلام ، وقال له : لأي شيء خنت سلطان الاسلام وأنت تعلم أن سيف السلطان قاطع طويل ، وأن من عصاه لا يجد إلى النجاة من سبيل ؟

فاعتذر بأعذارٍ غيرٍ مقبولة ، وإن كانت في معرض العُدْر منقولة وأرسله الوزيرُ إلى باب سلطان الاسلام السلطان الأسعد الأجد ، مولانا السلطان الغازي محمد . وهناك أحضروه الديوان ، ونادى بشعار الشرع فأجابوه الى ما أراد . وحقّقوا عليه في الأرض الفساد . فحكم القاضي بقتله ، وُصِيبَ بقضاءِ القادرِ وعدله ، ونال جزاء ما اكتسب من الاثام ، ونعوذ بالله من غضب الملك العلام .

وبعد تسليم اليازجي لحسين باشا ارتحل عسكر الشام مريوماً ، ورحلوا من منازل منازل الرها جميعاً . لهجوم جيش الشتا ، حيث كان قد قرب وأتى . ولم يمكث الوزيرُ بعدهم إلاّ أياماً قليلة ، ومدة غير طويلة . ورحل هو الى جانب حلب . ونال اليازجي بوحيل القوم غاية الأدب ، واستمرّ مُدة الشتا في الرها مقياً ، وسار في الربيع الى عينتاب يظنّ أنه صار من الحرب سليماً .

فغضب السلطانُ لبقائه في الحياة ، وأرسل الى قتاله عسكراً جهزه وأمضاه . وجعل المقدمَ على العساكر كلها الوزير حسين باشا ابن الوزير الكبير الأعظم محمد باشا . وكان الوزير حسين باشا المذكور في بغداد والياً عليها من جانب السلطان محمد . فلما تحقق عصيان اليازجي عبد الحليم ، وأنه مارجع عن العصيان بشكاه العقيم ، وأنّ فسادة قد زاد ، وضرّ به جميعُ العباد ، أرسل السلطانُ نصره الله تعالى إلى حسين باشا المذكور حكماً وعليه خطبة بأنه يقصدُ اليازجي المذكور العاصي ، وأنه يجمعُ عليه من عسكره الداني والقاصي . وأرسلَ من جانب باب العالي أيضاً

الوزير ابراهيم باشا الذي كان والياً بجلب ، 'مقدماً على نحو عشرة آلاف عسكري من جانب عسكر باب السلطان بقسطنطينية المحمية .

فمشى السردار الكبير ، حسين باشا الوزير ، من جانب بغداد ، الى أن وصلَ إلى مدينة آمد من ديار بكر . فجعل إقامة بها لتمهيد أمور العسكر ، وبث الأحكام إلى البلاد ، يستدعي الأجناد ، لقتال اليازجيّ الخارجيّ . وجاء من جانبه حكمٌ إلى السيد الشريف محمد باشا ، وهو وزير بدمشق ، يدعوهُ مع عسكر دمشق إلى التوجه إلى جانب البلاد الحليّة ليكتفوا بمينتاب ، ومنْ هناك يسرون جميعاً لقتال اليازجي المذكور . وكان وصول الحكم إلى دمشق في أواخر شعبان سنة تسع وألف .

وكان السلطان نصره الله تعالى أرسل خطّه بيده ، وهو الذي يُسمّونه خط همايون إلى حسن باشا حين جعله سرداراً على العساكر التي عينتها لقتال اليازجي ، وحاصل الخطّ أنه أجاز له أن يُعطي ما أراد من المناصب ، ويتصرف فيما شاء من المراتب ، ويعزل من اختار ، ويؤكّي من يقع عليه الاختيار ، كل ذلك استجلاباً لحاظره ، وحثاً له على الرغبة في قتال المذكور بنفوذ أوامره .

فسار حسين باشا إلى ديار بكر ، ومن ديار بكر إلى عينتاب . وهناك التقى مع العسكر الشامي . وساروا من هناك يقطعون المراحل إلى أن وصلوا إلى مرحلة يقال لها البستان . فنزلوا بها وباتوا تلك الليلة . وكان نزولهم في مقابلة جبلٍ فيه مكان أهل الكهف على أصح الأقوال فبينما هم على الصباح ، وإن بعسكر اليازجي الخارجيّ قد أقبل من جانب الشرق ،

وشرع كل من الفريقين في صف عسكره . وتقدمت عساكر السلطان ، من جانب ديار بكر ومن جانب وان ، ومن جانب أزرن الروم والأكراد التي جاءت من جزيرة ابن عمر . وتصادم الفريقان ساعة وإذا بعسكر اليازجي قد عبر على عسكر السلطان . وكان عسكر الشام واقفاً لم يحارب . وذلك لأن اكبر الدولة قد أجمع رأيهم على أن يتركوا عسكر الشام ذخيرة لهم الى وقت الاحتياج . فلما ترجع جانب الخارجي أمر الوزير عسكر الشام بالتقدم الى المحاربة فتقدموا وكبروا ، وصدموا عسكر الخارجي صدمة أزالتهم عن منازلهم ، وأظهروا صئجق الرسول ﷺ . فلما ولت عسكر اليازجي وضعوا فيهم السيف ، فقتلوا منهم في ذلك اليوم ما يزيد على أربعة آلاف رجل ، وهرب اليازجي ، واستمر هارباً الى أن دخل إلى مكان يقال سمسون<sup>(١)</sup> على ساحل البحر . ودخل الشتاء فشق حسن باشا في مدينة يقال لها توقات . وكانت الواقعة المذكورة في يوم الأحد سابع عشر ربيع الآخر سنة عشر بعد الألف .

وفي يوم الجمعة السادس والعشرين من شوال وردت الأخبار إلى دمشق بموت اليازجي الخارجي المذكور ، وأنه مات في سمسون في اليوم

---

(١) رسمها المحي « ساميدون » وقال : بلدة مشهورة في بلاد الترك بالقرب من طرابزون .  
والعامة تقول « صاميصون » بالصاد . ٣٢٤/٢ . قلت : والعامة تقول في أيلنا « صمصون » .

السادس والعشرين من رمضان من السنة المذكورة بعلّة الزحير . وأخبر من ذكر ذلك عنه أن جماعته افترقوا فرقتين الواحدة طلبت الأمان من سردار حسين باشا المذكور ، والواحدة ذهبّت مع أخيه حسن بك إلى العاصي رُسْتَمَ المقيم بمدينة ملطيّة .

وقد صحّ أن خسرو باشا الخادم الآتي ذكره إن شاء الله تعالى عينه السلطان نصره الله تعالى سرداراً على عساكر كثيرة لحرب رستم المذكور . وقد أرسل إليّ خسرو باشا المذكور مكتوباً يسأل فيه الدعاء ، ويستنهض همه الصالحين من دمشق على الدعاء له بالنصر . والله تعالى هو اللطيف الخليم ، وهو بكل شيء عليم .



## ١٣١

علي بك بن الأمير أحمد

ابن جانبلاذ الكردي<sup>(١)</sup>

كان هذا الرجل صنّيق<sup>(٢)</sup> قصبة صغيرة يقال لها العزيز . وكان عمه حسين باشا ابن جانبلاذ تولى حلب من جانب السردّار سنان باشا الشهير بابن جفال الفرنجي الأصل ، ويُقال إنه أخذ منه علي توليه حلب سبعة آلاف ذهباً . وكانت توليته المذكورة على شرط أن يُعطي في كل سنة للسلطنة ست كرات ، كل كرة مئة الف ذهباً ، وعلى أن يسافر مع سنان باشا المذكور الى حرب قزلباش بخمسة آلاف مقاتل .

فلما جاء الى حلب تباطأ في الذهاب الى السردّار المذكور ، وخرج من حلب متراخياً ، فما وصل الى السردار إلا بعد انقضاء حربه مع عباس سلطان قزلباش . وكانت الكسرة قد وقعت على جانب السردار المذكور وانتصر عباس المذكور . فلما وصل حسين باشا الى السردار قتله في مدينة وان .

فلما وصل خبر قتله الى حلب عصا ابن أخيه علي بك المذكور ، ورفع علم العصيان ، وجمع الطائفة الذين يُقال لهم السكبانية حتى صار عنده منهم ما يزيد على عشرة آلاف . ومنع مال السلطنة .

(١) ترجم له المهدي ( ١٣٥/٣ ) ترجمة موجزة .

(٢) ب « صنّيق » .

وكان السلطان أحمد ، نصره الله وأيده ، وخلد ملكه وأبده ،  
قد أرسل حاكماً إلى حلب يُقال له حسين باشا ، فلما وصل إلى مدينة آذنة  
أرسل علي بك إلى رجل يقال له چمشيد ، كان حاكماً في آذنة وعنده  
رجال من السكبانية التابعين لعلي بك المذكور : بأنك تعمل ضيافة  
لحسين باشا واقفه ، واقتل جميع جماعته ، ولا تعطهم أماناً لحظةً  
واحدة . ففعل ما أمره به وقتل حسين باشا المذكور ، واستمر في حلب  
مُظهِراً عِصيانه .

وأرسل يوسف باشا بن سيفا صاحب عكثار إلى باب السلطان أحمد ،  
نصره الله تعالى ، رسالةً يطلب أن يكون أميراً على عساكر بلاد الشام ،  
على أن تكون جميعته بجهة ، ويلتزم بإزالة علي بك المذكور عن حلب .  
ويقال إنه بذل مالا كثيراً ، حتى إنه نال من الأذن السلطاني ما طلب ،  
فجاءه الأمر على ما التزم .

فلما جاءه الأمر المذكور أرسل إلى عسكر دمشق يطلبهم بموجب  
أنه صار أميراً عليهم لقاتلة علي بك المذكور ، فاجتمعوا في دمشق وتشاوروا  
في ذلك ، فأجمع رأيهم على أن يسافروا . فسافر بعضهم إلى حماة ،  
وجاء ابن جانبلاد إلى حماة ، وقلقيما وتصادما ، فما هو إلا أن كان  
اجتماعهم بمقدار كحجر جزور ، فانكسر ابن سيفا وأتباعه ، ورجع بأربعة  
أنفار ، وترك الدار والديار . وكان قدومه بصفة التكبر والتكبر ،  
والنجس والتبختر<sup>(١)</sup> . وكان رجوعه كسيراً ، ولم يجد مُسْعِفاً ولا نصيراً .  
بلغني أن عمه الأمير محمود ابن سيفا قال له وقد مر على منزله بحصن  
الأكراد : تشرفنا يا أمير في هذه الليلة .

(١) « والتبختر » ساقطة من ب .

فقال له : أي والله نُشَرِّفَكَ .

وكرر ذلك مستهزئاً على حالته التي هو فيها .

ثم لما انتصر علي بك نزل في نخيم الشاميتين ، ونخيم ابن سيفا ، واستولى على جميع ما هنالك . ثم أرسل وراء الأمير فخر الدين بن معن أمير الشوف وأمير بلاد صيدا وصنجق صفد ، وأظهر له أنه قريبه ، مع بُعد النسبة بينهما . فحضر اليه واجتمعا عند منبع العاصي ، وتشاورا على أن يقصدا طرابلس لأجل الانتقام من ابن سيفا . فسار ابن سيفا في البحر وأخلى لهم طرابلس وعكثار ، وما يتبعهما من هاتيك الديار . وأرسل أولاده وعياله إلى الشام ، وأجلس بملوكه يوسف في قلعة طرابلس ، فتحصن بها وأرسل إلى عمه محمود بن سيفا فتحصن بحصن الأكراد .

وسار في البحر إلى أن وصل إلى جزيرة قبرس ، وأخذ له الفرج مالا كثيرا وتجملات لا تعد ، لأنه كان قد أوسق مراكب في البحر . ولم يقر له قرار في البحر ، فرجع إلى جانب القبلة فكان خروجه من ساحل حيفا ، وهي داخلة في ولاية الأمير أحمد بن الأمير طرباي من عرب حارثة . وخرج إلى حيفا بسبعة رجال . ولو أراد ابن طرباي للمكة وقتلته ، وأخذ جميع ماله ، لأنه كان معه من قسم النقد ما يزيد على مئة كرة من الدنانير ، كل كرة مئة ألف . غير أن الأمير أحمد بن طرباي أخذته أريحية الإمارة ، وقال للأمير يوسف : يا عم والله لو كان عندي مال لساعدتك به ، ولكن أنا فقير من المال ، وعندني خيل عتاق . فأعطاه من الخيل خمسة ليس لها ثمن ، لكمال جنسها وأصالتها . وقام في ضيافته ومساعدته . وعف عن ماله وكثرته بل أرسل إليه ابن جانبلاذ أن يُنسيكه ، وماله له ، وما يريد منه إلا رأسه ، وأن يرسله إليه حيا ، فأعرض عن ذلك كله ، وقال : دَخَلَ في جواربي ، وثبتت

حققه بدخوله إلى داري ، والمال يزول ، والثروة تحول ، ولا يبقى سوى  
الثناء الجميل . وأما الدنيا فلإنها ذاهبة عما قليل .

وأرسل ابن سيفا إلى الشام خبراً بأنه طلع من حيفا ، وطلب من عسكر  
الشام مَنْ يذهب إليه ليأتي في حمايتهم إلى الشام . فذهب إليه جملة من  
العسكر الشامي طمعاً في ماله لا رغبةً في مودته ، ولا ميلاً إلى محبته .  
فورد دمشق وعسكره الأموال المحملة ، والمراكب المثقلّة . فلما وردها  
نزل في بيت بهرام ، المقابل للدفاتر السلطانية بدمشق الشام . ثم أخذته  
حمية الأنفة فاشترى بيتاً كان ملكاً لأمير الأمراء سليمان باشا الرمضاني  
بائتي عشر ألف دينار ، ومكث بدمشق متراضاً . هذا ما صدر له .

وأما ابن جانبلاذ والأمير فخر الدين بن معن فلإنها أرسلها إلى طرابلس  
درويش بك ابن الأمير حبيب بن جانبلاذ فضبطها ، واستولى على غالب  
أموال مَنْ وجد هناك ، واستخرج دقائن كثيرة لأهلها . ولم يستطع أن  
يملك قلعة طرابلس لخصافتها . وتحصن يوسف بموك ابن سيفا بها . وسار  
علي بك وابن معن إلى جانب البقاع العزيزي من نواحي دمشق ، ومروا بن  
معها على بعلبك ، وخرّبا ما أمكن تخريبه منها واستقروا في البقاع ، وأظهرا  
أنها يريدان قتال عسكر الشام ، لاسيما وابن سيفا قد استقر بها .

ولم تزل العساكر الشامية ترد إلى دمشق حتى استقر في وادي دمشق  
الغربي ما يزيد على عشرة آلاف ، وتزاحف العسكران حتى استقر ابن  
جانبلاذ وابن معن في نواحي العرّاد ، وزحف العسكرُ الدمشقي إلى مقابلتها .  
وأما ابن سيفا فإنه احتجّ بالتضاعف ، ومكث في دمشق ، ولم يرحل  
مع العسكر الشامي . غير أن ابن أخيه محمداً خرّج مع العسكر ، ومعه  
طائفة تابعة له .

فاستمرت الرسل متردةً بين الفريقين ليصطلحا . فلم يقدر لهما  
الاصطلاح لسبق المقادير الأزلية . وفي الحقيقة طال طلب ابن جانبلاذ ومن  
معه للصلح ، ولم يأت الصلح سوى رجل من عسكر دمشق كان جاويز  
العسكر الدمشقي يقال له محمد بن الدردار ، فإنه خيث الطوية ، غليظ  
الأفعال التي ليست بمرضية . فإنه كان يُصرحُ بِشتمِ ابنِ جانبلاذ علي بك  
ويشتم ابن معن .

فلما لم يتفق الصلح مع تكرر طلبه ، وقد تقارب العسكران ،  
وتزاحف الجيشان ، توهمَ ابنُ جانبلاذ من صدمةِ العسكر الشامي ،  
لأنه كان مشهوراً بالنجدة والشجاعة . فشرع في تفخيز أكاير الشاميين عن  
الاتفاق ، ليقع بينهم الشقاق والفراق . فأرسل إلى طائفةٍ من أكايرهم :  
منهم شاهين القبرصي ، ومنهم ابراهيم القيصري ، ومنهم همت المشهور  
بفرقة همت ، وآخرون لا أعرف أسماءهم ، فوردوا عليه في نخيمه ليلاً ،  
وألبسهم الخلع ، وتوافقوا معه على أنهم منكسرون عند المقاتلة .

وكان في جانب ابن جانبلاذ الأمير فخر الدين بن معن ، وأحمد بن  
الشهاب مُقدّم وادي التيم ، ويونس ابن الحرفوش الذي صار آخرأ أمين  
بلاد بعلبك من جانب الباغين لا من جانب السلطنة . وانضم إلى هؤلاء  
جموع من البقاع ومن بلاد صفد تبعاً لابن معن .

وأما ابن جانبلاذ فقد كان عسكره في الغالب السكبانية ، الطفاة  
البغاة الخارجين عن الدين ، المارقين عن الإيمان مروق السهم عن الرمية ،  
فلما لبس الأعيان من عسكر دمشق الخلع من ابن جانبلاذ طابت  
نفسه للاقاء عسكرهم . فتناوش الفريقان القتال يوم السبت من أواسط  
جمادى الآخرة من شهر سنة خمس عشرة بعد الألف ، ولم يقع قتال

يفصل بين الفريقين . ففي صبيحة يوم الأحد وقف العسكر الشامي في مقابلة عسكر ابن جانبلاذ الباغي ، واقتتلا فما مرّ مقدار جلسة خطيب إلا وقد انفلّ العسكر الدمشقي ، حتى قال ابن جانبلاذ : العسكر الشامي ما قاتلنا وإنما قابلنا للسلام علينا وانصرف .

فلما هرب عسكر دمشق رجع بعضهم إلى دمشق ذاهباً إلى قلعة المزيريب ، فخرّاهم الله وسوّدَ وجوههم ، فإنّ النساء أحصنُ حالاً منهم بكثير ، لأنّ النساء أقمنَ في دمشق وغلّقتن أبوابهن ، وربما ضربتِ المرأةُ بعضَ مَنْ وَرَدَ عليهن من السكبانية .

وأما هؤلاء فإنهم كانوا يُظهرون الشدّة والقساوة والقدرة على الضعفاء في الأسواق وفي أزقة المدينة . ولما قابلهم مَنْ قاتلهم لم يقفوا بمقدار صلاة ركعتين ، وتعالى الله تعالى أن يُضيع حقَّ أحدٍ ، تعالى عن ذلك وتقدّس والعجب أنهم كانوا جالسين في مقابلة العدو وكانوا في كل يوم ينقلون تبّن الفلاحين وشعيّرهم ومؤنّتهم من بيوتهم ، مثل الكشك والبُرغُل والطحين . هؤلاء الفلاحون هم رعاياهم ، وتجب عليهم حمايتهم . والله إنّ الفلاحين ما وجدوا من الأعداء عشر ما وجدوا من هؤلاء الأحداث . عليهم غضبُ الله تتبعه اللعنة إلى يوم القيامة .

أخبرني رجل منهم صادق القول وهو من أصحابنا قال : كنا في قلعة المزيريب نحو خمس مئة رجل . وإذا بفارس يسوقُ فرسه طلق العنان ، وهو يقصد جانبنا . فلما رأيناه بادرتنا إلى خيولنا هرباً . ففنا مَنْ ركب فرسه عَرِيّاً بغير سرج ولا لجام ، ومنهم من ركب فرسه وتوجّه بوجهه إلى جانب ذنبها يظنّ أن ذنبها رأسها من شدة ما حصل له من الجزع ، ومنهم من ركب فرسه وهي مقيّدةٌ في قيديّ من الحديد ، وكان كلّها ضربها لتعدو به حرّكت ذنبها وهي واقفة . فلما تكرّر ذلك منه ومنها سألت

رجلا عن سبب وقوفها وعدم عدوها . فقال له : إن فرسك مقيدة في رجلتيها بقميد من الحديد . فنزل بعد ذلك عنها ، وشرع في التعرف أسباب حلتها من قيدها . ومنهم من ركب الفرس ورأسه مكشوف يظن أن عمامته على رأسه ، إلى غير ذلك .

ولما هربوا من الفارس الذي رأوه من بعيد فبعضهم استمر هاربا يوما ، ومنهم من سار إلى البرية لا يدري أين يسلك . فبعد أيام ظهر أن الفارس الذي خافوا منه إنما كان قادما عليهم ليبشرهم بحصول الصلح بين ابن جانبلاذ وبين أهل المدينة على مال أخذوه من ابن سيفا ، ورحل ابن جانبلاذ . فترجعوا إلى المزريب بعد أيام .

هذا ، ولما هرب العسكر المشقي من صدمة ابن جانبلاذ قصد بعضهم دمشق ، وقصد بعضهم المزريب ، كما شرحناه . فأما الذين رجعوا إلى دمشق فقد اختفوا ، ومنهم من تلبس بصورة النساء وجلس بينهن ممتجرا مقلتا . وكان إذا تكلم يميل صوته إلى نحو كلام النساء ، ليظن من يراه أنه امرأة ، وإن كان امرأة في الأفعال ، إذ الذكورة تقتضي الغيرة . ومنهم من دخل في التبن وغطس فيه ، ما عدا عينيه . فلما تبين الأمر أن ابن جانبلاذ يريد الصلح تظاهروا في الجملة . وأغلقت أبواب المدينة . وقام قاضي دمشق إبراهيم أفندي [ بن علي الازنيقي ] بخدمة المدينة وخدمة أبوابها . وكذلك الرجل المدعو بحسن شونيزه الذي صار مستوفيا بدمشق .

وأما ابن جانبلاذ فإنه بعد أن كسر الجماعة زحف حتى نزل بقرية المزة . وكان نزوله في الخيام . وأما ابن معن فإنه كان ضعيف الجسد في هاتيك الأيام . وكان نزوله في جامع المزة .

فذهب الشيخ محمد ابن الشيخ سعد الدين الجبائي إلى ابن جانبلاذ يريدُ  
التكلم معه فيما يصير إليه حاله بالنسبة إلى المدينة . فسأله ابنُ جانبلاذ  
عن ابن سيفا . فقال له : إنه خرج البارحة من المدينة ليلاً خائفاً يترقب ،  
وفي صحبته الأمير موسى بن الحرفوش . فإنَّ الأمير موسى المذكور خرج  
مع ابن سيفا من جهة باب الفراديس . فلما وصل إلى الباب المذكور وجداه  
مقفلاً ، ولم يجداه له مفتاحاً . فأمسك الأمير موسى بيده فأمسكاً كبيرة  
وضرب بها حديدة الباب فقطعها . وخرج مع ابن سيفا هاربين إلى جانب  
حصن الأكراد .

فلما ذكر ذلك ابن سعد الدين لابن جانبلاذ أنكره ، وقال له : أتخلف  
على أن ابن سيفا ليس في دمشق ؟ فحلف له . فصدقه ، وغضب لذلك .  
وقال : أهلُ دمشق لو أرادوا السلامة مني ما مكثوا ابن سيفا من الخروج ،  
وهم يعرفون أنني ما وردت بلادهم إلا لأجله ، فإنه قد اشترى السفر عليّ  
من جانب السلطنة بخمسين ألف دينار من الذهب .

ونادى عند ذلك في السكبانية أن يذهبوا مع الدروز جماعة ابن معن  
لنهب دمشق . فوردت السكبانية والدروز أفواجا إلى خارج دمشق ،  
وشرعوا في نهب ما كان خارج دمشق من المحلات فأكثرُ النهب وقع في  
الصالحية ، وفي قبر عاتكة ، وفي الشوينكة ، وفي باب المصلي ،  
وفي القبيبات .

والقبيبات هي محلة ابن سعد الدين ، وهي محلة كبيرة يخرج منها  
ألف رجلٍ مسلح ، لكن ابن سعد الدين هذا أتى من عند ابن جانبلاذ  
برجلٍ يُقال له عقيل ليحرس بيته . فحرس بيته وأطلق البغاة على  
بيوت القبيبات . فنهبوا نهباً عاماً . وكان الشيخ المذكور سبباً لنهبها ،



لأنه قال لأهل الحملة المذكورين : مَنْ رفع يده بسلاحٍ قطعتمها .  
فألقمهم بيوتَ الفقراءِ والضعفاءِ ، وهيتاً لهم نهبها ليحفظ بيته .  
وهكذا كان ، فإن عقيلاً المذكور لم يأخذ للشيخ سوى فرسين عظيمين  
مثمنين وبغلة واحدة .

وأما الشاغوردُ فإنها محلاةٌ عظيمةٌ . وأهلها تَوَحَّلُوا وَحَمَّ أَنْفُسَهُمْ  
من الجلاية ، بل غنموا شيئاً من الثياب والأسلاب والسلاح . ولعمري  
إنَّ بعضَ الرعايا قد تَنَمَّرُوا وتَشَمَّرُوا ، وقد قتلوا من السكبانية  
والدروزِ ما قارب ألف رجل . وكانوا يُلْقُونَهم في أماكن الماء ، وفي  
بيوت الغائط ، ويقطعونهم ، ويغنمون أموالهم .

فلما اشتدَّ الكربُ والحربُ على المحلات الخارجةِ عن دمشق ، وتلاحم  
القتالُ ، وتزاحم الرجالُ ، وقامت الأبطالُ . خاف العقلاءُ في دمشق .  
فخرج جماعةٌ إلى ابن جانبلاذ وقالوا له : إن ابن سيفاً قد وضع لك  
عند قاضي الشام مئة ألف قرش من القروش الفضية الكبيرة ، فخذها  
وانصرف عنا .

فقال : زيدوها خمسة وعشرين ألف قرش أخرى .

فقالوا : سمعاً وطاعة .

وأخذوا المئة التي كان ابنُ سيفاً قد وضعها ، وتداركوا له خمسة  
وعشرين ألف قرش أخرى كما وقع عليه معه الاتفاق من مال بعض الأيتام  
التي كانت على طريق الأمانة في قلعة دمشق وبعد ذلك أدّاهما أيضاً ابنُ  
سيفاً كالمئة ألف الأولى .

فلما تكلم الناسُ في الصلح طلب ابن جانبلاذ المالَ الذي وقع عليه  
الصلح على يد حسن شوينزه الدفترى بدمشق ، وقال : إنَّ جاءني المالُ

في هذا الوقت رحلت فحملوا إليه مئة ألف قرش وخمسة وعشرين ألف قرش . وقادى بالرحيل عن المزة في اليوم الرابع من نزوله . واستمرّ النهب في أطراف دمشق ثلاثة أيام متوالية . وكانوا يأخذون الأموال والأولاد الذكور ، ولم يتعرضوا للنساء بوجه من الوجوه ، والحمد لله على ذلك . وكان ذلك بوصية ابن جانبلاذ .

وما أفحش في النهب إلاّ الدروز جماعة ابن معن ، ومن انضم إليهم من أهل البقاع ، وأهل وادي التيم ، قبحهم الله تعالى أجمعين . فإنهم كانوا يأخذون الغالي والرخيص ، ويكسرون الأواني بما فيها من المأكولات . بخلاف السكبانية الأروام فإنهم كانوا يأخذون الأولاد الذكور ، وما غلا من الأسباب والأمتعة ، وربما كانوا يظهرون الشفقة على بعض من يرونه من المساكين ، وربما كانوا يعطون بعض الدراهم إن يرونه جالساً عند مزارٍ من مزارات دمشق ، ويقولون لمن يرونه من الناس : ادعوا على عسكريكم فإنهم كانوا سبيّاً في نهبكم . نحن عرضنا الصلح فأبوا .

وبما اتفق من السكبانية أنّ رجلاً روميّاً من جماعة ابن جانبلاذ دخل في أيام النهب إلى بيت في محلة العقبية . وكان البيت لحسين چلي كاتب العسكر بدمشق . وكان حسين المذكور عند كاتب الحروف في بيتنا داخل دمشق في زقاق النحاسين . وكان بيته في محلة القيبة . وكان في بيته رجلٌ مغربي يحرسه . فلما دخل الرومي إلى بيت حسين المذكور أخذ منه ما قتل ، لأنه ما وجد من الخفيف اللطيف إلا قليلاً . لكنّه وجد خابية من الخمر العتيق مخنومة ، ووجد بالقرب من الخابية قدحاً من البلور . فلما رأى ذلك قال للمغربي : صاحب هذا البيت شاب أم شيخ ؟

فقال له : هو شاب صغير السن .

فقال للمغربي : قل له يسلم عليك فلان ، ويقول لك قد وهبك هذه الخابية وما بها من الخمرة ، ووهب لك هذا القدر فليتمتع بذلك سالماً غانماً هنيئاً مريئاً .

وترك ذلك بحاله وذهب عنه .

ولما قام ابن جانبلاذ من المزة بعد أن أخذ المال المذكور ارتفع النهب عن المدينة ، وفي الحقيقة قد عَفَّتْ نفسه عن مدينة دمشق ، إذ لو أرادها ، لأوصل نفسه مرادها ، لأنها ما كانت تحمل الحصار يوماً واحداً لقلته ما فيها من الزاد ، لأن أهل دمشق غالبهم فقراء ، وما رمى عليه نائب القلعة شيئاً أبداً لأنه كان يخاف من دخوله إلى المدينة ، وأنه يفتقم منه .

ولما فتحت أبواب المدينة في اليوم الرابع ازدحم الناس على الخروج منها أفواجاً أفواجاً ، ودخل إليها من نُهَيْبَتْ أسبابهم من المحلات الخارجة فكانوا لا يُعْرَفُونَ لتغيّر أسبابهم وتغير وجوههم . وكان الرحيم يراهم فيبكي عليهم . فكم من غني منهم أصبح فقيراً ، وكم من رفيع الرتبة أمسى مأموراً بعد أن كان أميراً وشرعت المساكين تتراجع إلى دمشق غير مباليين بما صدر منهم من الفضيحة ، والأفعال القبيحة ، التي توجب الدمار ، وتخرّب الديار . ولكن :

مَنْ يَهْنُ يَسْئَلِ الْهَوَانَ عَلَيْهِ مَا لِحَرْحٍ بِمَيْتٍ إِسْلَامُ

ولما فارق ابن جانبلاذ دمشق سار على طريق البقاع ، وفارق ابن معن هناك . فدخل ابن معن إلى جبله ، وسار ابن جانبلاذ إلى جبله . لكنه لما وصل إلى مقابلة حصن الأكراد أقام هناك ، وأرسل إلى ابن سيفا يقول له : إما أن تصالح وتصاهر ، وإما أن تُقَابِحَ وتصادر . وأنا لا أذهب من هذا المنزل إلا بأحد شيئين : إما بقتالك وإما بصالحك .

فدخل الناسُ بينهم . فأعطى ابنُ سيفا لابنَ جانبلاذ ما يقرب من ثلاثِ كرات كل كرة مئة ألف قرش . وزوج ابنَ جانبلاذ بنته ، وتزوج منه أخته لابنه حسين . ورحل ابنُ جانبلاذ من هناك إلى جانب حلب . وجاءته الرسلُ من جانب السلطنة تُقَبِّحُ عليه ما فعل في الشام من النهب والغارة فكان ثارةٌ يُحِبُّ بالإنكار ، وثارةٌ يُجِيلُ الأمرَ على عسكر الشام .

وشرع يسدُّ الطرقاتِ ، ويقتلُ مَنْ يعلم أنه سائرٌ إلى باب السلطنة لإبلاغ ما صدر منه ، حتى أنه أخاف العباد واستقل بملك البلاد . فكان حكمه نافذاً من آدنه إلى نواحي غزة . وكان ابنُ سيفا مُمتثِلاً لأمره ، غير تاركٍ مداراة السلطنة . واتفق مع ابن سيفا على أن تكون حصص تحت حكم ابن سيفا . وكانت حماة وما وراءها إلى الجانب الشمالي إلى آدنه في تعلق ملك ابن جانبلاذ . وانقطعت أحكامُ السلطنة عن البلاد المذكورة نحو سنتين كاملتين . ووقعت الوحشة وظلمة الظلم في البلاد المذكورة وانقطعت الطرقات ، وأظلمت الجهات .

وجاء من باب السلطان حاكمٌ لحلب يقال له حسين باشا . فلما وصل إلى آدنه أرسل ابنُ جانبلاذ إلى جمشيد الخائن الذي استولى على آدنه من غير طريق ان اجعل ضيافةً لحسين باشا ولأكابر جماعته واقتلهم وهم على الطعام . ففعل ما أمره به . وقتل الباشا المذكور وأكابر جماعته ، وزال اسمه ورسمه . واستولى ابن جانبلاذ على غالب القصبات من حماة إلى آدنه .

وتولى الوزارة رجلٌ من داخل بيت السلطان شهرته صارقجي مصطفى باشا . فكان خبيثاً لئيماً . فاطلع السلطانُ أحمد على خيائته فقتله .

ثم تولى وزيرٌ آخر يُقال له درويش باشا . وكان قريب العهد بالدخول إلى بيت السلطنة . وكان في الداخل خادماً لبستان السلطان فاستولى على

الوزارة العظمى . وكان باطنه خبيثاً . وكان يقتل من يرى عنده مالا كثيراً . فلما اطلع السلطان ، نصره الله تعالى ، على خيانتة ، قتله قتلته شائعة . وكان قد قتل قبل ذلك وزيراً يُقال له قاسم باشا . وهو الذي كان قد أجلسه على سرير السلطنة عند موت أبيه .

واستمر ابن جانبلاذ في حلب متحكماً متجبراً ، حتى أن الأمير أحمد بن ريشة الحباري لما مات أرسل ابن جانبلاذ إلى سلمية عسكرياً فضبطوها ، وأخذوا ما بها من الغلات والذخائر التركت للأمير أحمد المذكور . ولما استقر الأمر في الشام على رجوع عساكرها الذين كانوا قد هربوا من ابن جانبلاذ أرسلوا إلى باب السلطنة رجلاً من جماعته ومعه جماعة من عسكر دمشق . فذهبوا من طريق البحر ، ونزلوا من ساحل طرابلس ، واستمروا في قسطنطينية مدة طويلة ، إلى أن قدم الوزير الأعظم مراد باشا ، بلغه الله تعالى من الخير ما شاء ، من سفر الروم . وكان قد أصلح ما بين السلطان وبين سلاطين الحجر . فلما قدم الوزير المذكور عرضوا عليه ما معهم من الأوراق والمكاتيب والعروض من حكام دمشق وأكبرها . فعرضها على حضرة السلطان . فعين السلطان الوزير المذكور لدفع ابن جانبلاذ عن حلب ونواحيها ، ولدفع بقية الخوارج عن الخروج على السلطنة ، مثل العبد سعيد ومحمد الطويل الخارج في نواحي سيواس . فقدم الوزير المذكور ومعه من العساكر الرومية ما تزيد على ثلاث مئة ألف ، ما بين فارس وراجل . ولم يزل الوزير المذكور سائراً بالعساكر المذكورة ، فكان كلما مرّ بقومٍ من الخارجين يقتلهم ، حتى أزال السكبانة الخارجين ، ولم يبق سوى العبد سعيد والطويل محمد فإنها حادا عن طريقه ولم يستطع لحاقهما والاتباع لهما خوفاً من قوات الوقت ومهجوم الشتاء ، لأن الغرض الأعظم في إرساله إنما هو ابن جانبلاذ وتخليص حلب منه ، لأنه كان قد قارب أن يملك البلاد بالاستقلال .

فسار إلى أن وصل إلى آدنه وختلصها من يد جمشيد الخارجي ، وأعطاهما لبعض عبيد السلطان أحمد نصره الله تعالى وأبده ، وأدام مجده وأبده . ولما انفصل عن جسر المصيص إلى هذا الجانب تيقن ابن جانبلاذ أنه قاصده . وأما قبل ذلك فإنه كان شاكاً في وصوله إلى حلب . فلما تيقن قصد الوزير له ، أرسل إلى السكبانبة الذين كانوا مفترقين في البلاد فجمعهم ، وأرسل إلى الأمير فخر الدين ابن معن فأخذ من كانوا عنده من السكبانبة ، وكانوا نحو ثلاثة آلاف . وأرسل إلى الأمير يوسف بن سيفا فأخذ من كانوا عنده من السكبانبة وكانوا قريباً من ثلاثة آلاف . وكانوا يتسلطون إليه من كل حدب ، إلى حلب . فيقال إن العصاة الذين تجتمعوا عنده كانوا يزيدون على أربعين ألفاً .

ولما عرض عسكره بلفه أن الوزير قارب بلاد مرعش . فخرج من حلب بأبهة عظيمة ، وزينة جسيمة . وجزم بمقابلة الوزير المذكور ومقاتلته ، ومبارزته ، ومنازلته ، ومناضلته ومناصلته ، ومصابرة ومضاربتة . وكان الوزير في أثناء ذلك يرأسه بالكلمات الطيبة ، ويواصله بالسحائب المروية الصببة ، طمعاً في استصلاح أمره . وفراراً من جرأة من معه وصعوبة مكره . فما زاده استصلاح الوزير له إلا فساداً ، ولا أورثه إلا كبراً وعتواً وعناداً . فتزاحف الليل والنهار ، وتقاربت الظلمة والأنوار . فبرز عسكر ابن جانبلاذ إلى المقاتلة يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الآخرة فلم يصير بين الفريقين إلا القليل من المرافقة . وفي صباح الثلاثاء برز كل فريق إلى الآخر ، واستمر القتال إلى آخر النهار ، ولم يظهر الانكسار على أحد الفريقين ، بل تراجعاً متقاربين أو متساويين ، غير أن صولة البغاة كانت ظاهرة ، لكون فرقة السكبانبة في صنعة الحروب ماهرة . وفي يوم الأربعاء التحم القتال ، وزادت نار

الحرب في الاشتعال ، حتى كاد عسكر البغاة أن يكون غالباً ، ولكن كان حكم الله بالغاً ، وقهره للأعداء سلباً . فكان من اللطف الرباني أن في جملة الأمراء ، بل في أعيان الوزراء . وزير يقال له حسين باشا الترياقى رتب عسكر الإسلام وقال : قاتلوا البغاة إلى وقت الظهر ، فإذا حكم وقت الظهر فافترقوا فرقتين ، فرقة منكم قذهب لجهة اليمين وأخرى تكون في جهة الشمال ، واجعلوا عرصه القتال خالية للأعداء وحدهم . وكان قد أخفى المدافع الكبيرة في مقابلة العدو وملاها بالبارود . فلما افترق عسكر السلطان ، نصره الله تعالى ، فرقتين ، ظن المخدولون جماعة ابن جانبلاذ أن ذلك الافتراق كان عن هرب أو رهب . وما عرفوا أنه عن تدبير يكون سبباً لفتح حلب . فبالغوا في اتباع عساكر الإسلام إلى أن كادوا يخالطونهم . فلما قربوا وخلت لهم عرصه القتال ، ضربوا بالمدافع الثقيل . فأظلمت النواح ، وصاح عليهم جنود الحق أعظم صياح ، ولحقوهم بالسيوف القاطعة ، والأسنة اللامعة ، إلى أن أزاحوهم عن خيامهم ، وقطعوا أطعماهم عن مرامهم . وشرعوا يُفترقون بين الرؤوس والأبدان . ولم ينظر أحد منهم إلى ما وراءه حذراً من وقع السنان . وكحتلوا عيونهم بإثم الغبار ، وطبقت الأرض بالظلمة حتى كأن الليل جاوز النهار . وبالغ الأعداء في الهرب . وأكد جنود الإسلام فعل الطلب ، إلى أن حال بينهم الليل ، وجرت دماؤهم كالسيل . وفارقت النفوس ، هاتيك الأبدان بقطع الرؤوس وضاعت الصحراء يحشثهم التبيحة ، ولم يستفيدوا سوى عذاب النار والفضيحة .

وأما علي بك ابن جانبلاذ فإنه نجا برأس طمرة ولجام . وظن أن ما كان فيه من الدولة أضغاث أحلام . واستمر هارباً إلى مدينة حلب ، وقد شرب ما وضع من زرع الندامة وحلب . ولم يقر له بها قرار ،

بل دخل إليها قُبَيْلَ مَغِيبِ الشَّمْسِ وخرج بعد طلوع النهار . وقيل إنه جاء ليتحصن بالقلعة الشهباء . فما أشار عليه بذلك مَنْ هو صديقه من الأحياء . فوضع أهله وعياله ، وذخائره وأمواله ، في داخل هاتيك القلعة الحصينة . وظن أنها تحفظ له تلك الجواهر الثمينة . وخرج منها خائفاً يترقب ، وهو من عساكر الحق يتبعه ومن البغاة يتقرب . إلى أن أداه الحرب إلى مدينة ملطية . التي كان قد ضارها أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز حصناً للأمة الحمدية . فلعلها أن تكون شرّاً لأهل البغي والإشراك . وأن تصيدهم كما تقتنص الطيور الأثراك ، فيؤخذ منها أخذ القرى وهي ظالمة ، وتعود نفسه اللوامة عليه وهي نادمة .

وأما الوزير المنصور ، الذي أمدّه الله تعالى بمسكوه المجرور ، الذي انتصب على الفتح وليس بمكسور ، فإنه تتبّع مَنْ بقي من أعوانه ، واستخبر عن محبّيه وخيلانه فأبادهم قتلاً بالسيف المنتفض ، وصار وجودهم كالنعل المفروض . وجاء إلى حلب بالجنود الغالبة ، والأسود القاهرة السالبة فرأى القلعة الشهباء في أيدي بعض أعوان البغاة . فرام محاصرتها ومحاضرتها بالتدبير الذي قصده وبغاه ، ففتح من فيها أن كل محصور مأخوذ كما قيل . وكانوا يقولون : دخلنا عليكم بحق الخليل . لأن القلعة كانت سكناً له كما نُقِلَ في بعض الأقاويل . فأنزلهم الوزير بأمانه ، ولم يفدرهم لقوة إيمانه . فنزلوا من القلعة ، واتصفوا بالضعف بعد الرفعة . وكانوا نحو ألف رجل . وكان معهم نساء بني جانبلاذ . وكان أكبر الجماعة المذكورين أربعة من رؤوس السكبانية قطع الله رؤوسهم وأباد أرواحهم الخبيثة ونفوسهم . فلما نزلوا بأدروا إلى تقبيل يد الوزير وذبله . ووقفوا بمتثلين ما يظهر لهم من ميله . فأشار إلى النساء بالسكنى في مكان معلوم . وفرّق الرجال على أرباب المناصب كل منهم في مكان مفهوم . وطلع بنفسه النفيسة إلى القلعة الشاهقة . فرأى الفلك الأثير قد أعادها في العلو عاتقة . قلعة استعارت من طبقات الأفلاك طبقة . وحلّق نحوها النسر الطائر فرماه حارسها بسهم من كنانته ورأسه . فانحدر عنها إلى



مكانه . وعلم أن إيوانها فوق إيوانه . وأما متانتها فإنها لا توصفُ بلسان ، ولا بصورُها للخاطر إنسان . كيف وفي أساسها من العُمد الحجرية ثمانية آلاف ، كما نص على ذلك جمع من العلماء الأسلاف . واطلع الوزيرُ على ما بها من الأموال المجموعة . فرأى آلافها تقارب آلافه وجوعه . ورأى ما بها من التحف الغزيرة ، وما أُحرز فيها من الأعلاق الثمينة الحريزة . وضبط ذلك كله لبيت المال . ولم تمل نفسه الشريفة إلى درهمٍ من هاتيك الأموال . وقال : إن الله تعالى قد أغناني في دولة سيدي السلطان وأعطاني ما لم يخطر لي أن أذكره بلسان ، وأصوره بيجنان . فليس لي حاجة إلى أموالهم ، ولا بي ضرورة إلى مناهم ، أنا مُستغْنٍ بلفظ الله الجميل ، والله تعالى حسي ونعم الوكيل .

ثم شرع يتجسس في حلب على الأشقياء وأتباعهم . وينتقب عن الذين جاؤوا إلى السكبانية من ضياعهم . فقتل جملة من الأتباع ، ولم يُبق منهم فرداً بعد صحة الاطلاع .

وأما ابن جانبلاذ فإنه باقٍ على عصيانه ، مواظبٌ على طغيانه . ولم يمل قلبه للصلاح ، ولا جرتَه نفسه إلى الإصلاح . والمطلوب من لطف الله تعالى أن يتلفه ويرديه ، ويأخذه أخذةً رابيةً وفي الهوان يلقيه . ولما ثبت أنه لا يميل إلى الهداية ، ولا يقلع عن مواقع الغواية . ودخل فصل الشتاء ، وهجم البرد وأتى ، أرسل الوزير العساكر إلى الأطراف . وفرّقها على البلاد لتشتو بها إلى المصطاف ، ثم تعود للاعفاف . وترجع إلى مواقف المصاف . فجاء إلى دمشق طائفة من السباهية ؛ ونزلوا بيوت العسكرية ، لأن العسكر الدمشقي باقٍ في نواحي حلب . وما أجازهم الوزير بالرجوع ، ولا أعطى الطالب منهم ما طلب .

وفي هذا اليوم وهو يوم الجمعة الرابع من شعبان من سنة ست عشرة بعد الألف ، بلغني من لا أثق به أن جماعة من العسكر الشامي دخلوا إلى دمشق قافلين وما أدري هل ذلك صحيح أم لا ، وإذا تحرر شيء من ذلك كتبناه . وفي هذا الموضع رقتناه .

## ذكر من سافر إلى جانب الوزير

ليُعينه في قتال البُغاة بالحرب والتدبير

أمّا ابنُ مَعْنُ فإنَّ الوزيرَ طلبه مع كيوان البلوكباشي بدمشق الخوان . وأرسل إليه حكماً مؤكداً بأنه يصلُ إليه بجملةٍ من جماعته ، فتراخى وتباطأ وصارَ يعتذرُ وبكذب ، وقلبه مع الباغي ابن جانبلاذ . ولم يزل يتعمّلُ ويتغلبُ حتى يتبينَ له الغالب من المغلوب ، ويظهر له السالب من المسلوب . فكان يقول : إنَّ غلب الوزيرُ ذهبتُ إليه ، وإنَّ غلب الباغي القيتُ وجودي وموجودي بين يديه . وليس ما قلتُه هنا تخميناً ، وإنما رقتُه تحقيقاً ووقينا .

فلما غلب الوزير ، بعون الملك القدير ، علم أنَّ الباغي قد انفلتت جمعيتُه ، وانقضت دوليتُه ، فحينئذ أرسل ولده الأمير علي ، ومعه كيوان الخائن ، وهدية ، لحضرة الوزير العلي ، ومعها ثلاث مئة رجلٍ من أتباع ابن معن ، وما هم من رجال الضرب ولا الطعن .

وأما ابنُ سيفا فإنه أيضاً تعمّل كما تعمّل ابنُ معن ، وما أرسل ولده حسين باشا ، إلا بعد أن وقع الكسرُ على الباغي ابن جانبلاذ ، فعند ذلك جهّز ولده المذكور ، وأرسل معه هديةً وجمعاً من العسكر ليس بنزور .

وكانت بنتُ ابنِ سيفا زوجةُ ابن جانبلاذ ، في قلعة حلب مع بقية نسائه . فأنزلها الوزيرُ منزلاً مباركاً ، ولم يجعل لها فيه مقارناً ولا مشاركا . واستمرتُ إلى أن قدم أخوها حسين فتسلّمها بأمر الوزير مع الرعاية الكاملة ، والألطف الشاملة . وما عداها من نساء بني جانبلاذ فقد قيل إنهن أصيبنَ بالإهانة . وما صادفتهن إعانة . وما ندري هل ذاك صحيح أم لا .

واستمر ابن سيفا الكبير في عكّار . وقال : أنا رجلٌ كبيرٌ ، وما أنا قادر على الأسفار . وكلُّ ذلك تملّلتُ عن السفر السلطاني ، واعتيادُ للراحة عن السفر الخاقاني .

وأما ابنُ قانصوه أميرُ بلادِ عجلون وكركِ الشوبك فإنه قال : أنا بدويّ عربيّ ، وما عندي عسكرٌ يسافر إلى بلاد الروم ولكنه أرسل رجلاً من أولاد عمه ومعه هدية للوزير . وما ندري أمره إلى ماذا يصير . وكذلك فعلَ ابنُ طرباي أميرُ اللتجون ، وتعلّلتُ عن السفر وما سار ، ولكنه أرسل هديةً ورجلاً من جماعته إلى جانب الوزير .

وأما فريديون بك سنجق نابلس فإنه أيضاً تعلّلتُ بأنه أمير الحج وما سار ، فعزله الوزير ، وأعطى امارته في نابلس لمحمد بك ابن أخي عثمان باشا وسافر محمد بك إلى جانب حلب .

وأما فروخ سنجق القدس الشريف فإنه تعلّلتُ أيضاً بأن القدس يُخشى عليها من العرب وما سار إلى السفر . فيقال إن الوزير أعطى القدس لرجلٍ من مماليك السلطان ولكنه ما ظهر ذلك إلى يوم تاريخه .

وأما سنجق قنطرة إبراهيم باشا ابن طالو فإنه سافر وهو معزول ، عن تدمر وقد بلغنا أنها أُعيدت إليه بعد السفر . وهو رجلٌ قديم في الولاية ، وله إطاعةٌ كاملة ، ومكارم شامة فندسأل الله تعالى أن يهون عليه الأمور الصعاب ، وأن يفتح له من الخير خير باب .

وكانت حمصُ مع ابن سيفا ضميمةً إلى طرابلس وجبلنة واللاذقية ، وما يتبعُ من الحصون وقد قيل إن الوزير أعطاهما لرجلٍ من مماليك السلطان ولكن ما صحَّ ذلك إلى الآن . وقد شاع وذاع أن الوزير لا يتصرف في هذه المناصب إلا بعد أن يقع ابن جانبلا في قبضته ، وإذا تحرّر بعد ذلك شيء كتبناه والله الموفق والمعين وبه نستعين . م (١٩)

وبما تحرر بعد ذلك أن ابن جانبلاذ سار الى الطويل العاصي في نواحي بلاد أناطولي ، وأراد أن يتحد معه فأرسل اليه الطويل يقول له : أنت بالثغت في العصيان ، لأنك قابلت وقاتلت عسكر السلطان . وواجهت وزيره الأعظم بالحرب ، وأظهرت كمال المخالفة وذنبتك لا يُغفر وأما أنا وإن كنت مسمى باسم عاص لكنني ما وصلت في العصيان الى رقتك ، ولا فعلتُ مثل فعلتك . أنا رجلٌ أفتشُ على ما آكله أنا ومن معي ، ولا أعصي ولا أفابل ولا أفازل فرحل عنه بعد ثلاثة أيام وسار الى العاصي الباغي الذي يقال له قرا سعيد ، ومعه العاصي قلندر أوغلي .

ولما وصل إلى جمعية هؤلاء ( ١٧١ آ ) العصاة تلقوه ولاقوه ، وأهتوه وعظّموه وقالوا له فعلت مليحاً في لغائك هؤلاء الثامنة ، ولو كسروك فما عليك في ذلك ضرر ، وسيعود الأمر الى ما كان عليه . وأرادوا أن يجلوه عليهم رأساً ورئيساً فشرط عليهم شروطاً ، فما قبلوها فاطمان تلك الليلة الى أن آمد الليل رواقه ، وزرر في القباء الأسود أطواقه . فأخذ عمه حيدرأ وابن عمه مصطفى وابن عمه محمداً وخرج مع البازي عليه سواد . ولم يزل يطوي القلاع والوهاد ، حتى دخل بروسه مع الليل . ودخل الى حاكمها راجلاً بغير خيل . وقال له : أنا علي بن جانبلاذ العاصي . فتحيّر من ذلك الكلام عقله . ولما تحقق ذلك قال له : ما السبب في وقوعك في الشرك ؛ فقال : ضجرت من العصيان وما أنا ذاهب الى إطاعة السلطان فأرسلني إليه مريعاً . فأرسله إليه من طريق البحر فلما دخل دار السلطنة أُعِلم به السلطان فقال : أحضروه إليّ واعرضوه عليّ فلما حضر إليه ، وأقبل عليه ، قال له : ما سبب عصيانك الذي شاع ، وملا جميع البلاد والبقاع ؟ .

فقال له : أنا ما أنا عاصي ، ولا أنا ممن يُفضيَبُ مالك النواصي . وإنما اجتمعت عليّ فرق الأشقياء ، وما خلصت منهم إلا بأن القيتهم في فم جنودك

المنصورين وفررت إليك فرار المذنبين فإن عَفَوْتَ فأنت لذلك أهل ، وإن أخذت فحكمتك الأفوى ﴿ وإن تعفروا فهو أقرب للتقوي ﴾ فعفا وصفاء . وقال له : جئتَ اليّ طائماً فما لك عندي سوى العفو الصريح ، والأمن الصريح وأعطاه مدينة دِمَشوار في داخل بلاد الروم ، ونجا بذلك من التعب والهموم .

وأما مراد باشا الوزير فإنه جاءه من السلطان أحمد نصره الله تعالى أمرٌ يقول له فيه : قد فرقتَ جمعية ابن جانبلاذ ، وبقيتَ فرقةً من الأشقياء ومقدارهم عشرون ألفاً ، وكبيرهم العبدُ الأسود سعيد ، ومحمد الشهير بقلندر أرغلي فأذهبْ إليهم بخيلك ورجلكِ ولا تبتغي منهم باقية . ولقد خيم مراد باشا خارج حلب في صفر الخير من شهر سنة سبع عشرة بعد الألف وكنْتُ حينئذٍ بحباب المحروسة .

وكان السببُ في نهضتي إليها أن ابنَ جانبلاذ وابنَ معن لما دخلا إلى نواحي دمشق ونها وفتكا ، أرسل أهلُ دمشق الشيخ محمد بن سعد الدين والشيخ أحمد العيناري الشافعي والفقير أيضاً لعرض (١٧١ب) ما جرى على دمشق من المذكورين فذهبنا واجتمعنا بالوزير المذكور ، وهو بالخيم خارج حلب وعرضنا عليه الأمور ، فذكر أنه مشغولٌ بالعصاة المذكورين الذين أرسل إليهم السلطان في طلبهم ، ووعدنا بخير وكان ذهابه من حلب في أواسط شهر ربيع الأول من السنة المذكورة فإنه نهض من ميدان حلب إلى حيلان ، ومن حيلان إلى مرج دابق ، ومن مرج دابق إلى قل فار ، ومن قل فار إلى عينتاب .

والتقى بالعصاة في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني من السنة المذكورة فلما تقارب الفريقتان أرسل الوزير المذكور عسكر مصر وعسكر الشام وبعض عسكر الباب العالي وجعلهم جاليساً لعسكر العصاة

فاقتتلوا يومين وفي أثناء ذلك أرسل المسكر المذكور الى الوزير بأن أمر  
العصاة هتين ، وإن قدمت علينا بمن . معك أخذناهم في أول وقوفهم ،  
وخرقنا بحمد الله جنة صفوفهم . فسار الوزير إليهم فلما أحسوا بقدمه  
ثاروا إليه ، وعزم الشقي سعيد مع جماعة من شجعان العصاة نحو سبعين  
رجلا على أن يهجموا على الوزير في ، وقته هجمة واحدة كما قال شاعر كندة  
ابو الطيب المتبي :

ضربتُ بها التيه ضرب القها ر إِمَّا لهذا وإِما لذا

فَصَدَّعْتَهُمُ عَنِ الْقَصْدِ الْمَذْكُورِ عَسْكَرَ الرُّومِ . وَمَنْعَرَا الْمَلْعُونَ عَمَا يَرُومِ .  
وَاحْتَاطُوا بِالْوَزِيرِ كَالسَّوَارِ أَوْ السُّورِ وَقَالُوا لَهُ : اثْبَتْ فَإِنَّكَ مَنْصُورِ .  
وَصَاخَتِ الْبِنَادِقُ ، وَازْرَقَتِ السَّهَامُ الرُّوَاشِقُ ، وَقَدَاخَلَتِ الصَّفُوفِ ،  
وَقَمِيزَ الْخَالِصِ مِنَ الزِّيُوفِ وَنَادَى مَنَادِي الْإِيْمَانِ ، الزَّحْفُ الزَّحْفُ عَلَى أَهْلِ  
الطُّغْيَانِ ، وَخَفَّتْ أَصْرَاتُ الرِّجَالِ ، وَلَمْ يَبْقِ إِلَّا ضَرْبُ السَّيْفِ وَرَشَقُ  
النَّبَالِ . حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ الْإِصْفَرَارِ ، وَأَدْبَرَتِ صَفُوفَ الْبَغَاةِ لِلْفِرَارِ ،  
وَنَادَى مَنَادِي الْحَقِّ أَنْ اطْلُبُوا ، فَإِنَّ الْبَغَاةَ قَدْ هَرَبُوا .

فلما شاهد المسلمون إِدْبَارَ أَهْلِ الْإِدْبَارِ . وَفِرَارَ أَصْحَابِ الْبُورِ .  
تَبَهُوْا وَالسَّيْفُ فِي ظُهُورِهِمْ . وَتَحَقَّقُوا أَنَّهُ يَوْمُ اخْفَاءِهِمْ بَعْدَ ظُهُورِهِمْ . وَقَالُوا  
لَهُمْ : لَا خَلَاصَ ، وَلَا تَحِينَ مَنَاصَ مَنْ يَدْعِي الشُّجَاعَةَ كَيْفَ يَرْضَى  
بِالْهَرَبِ ؟ وَمَنْ يَقُولُ 'أَنَا الرَّاسُ وَالرَّئِيسُ' كَيْفَ يَرْجِعُ إِلَى الذَّنْبِ ؟ أَمْ كَيْفَ  
يُوصَفُ بِالرَّهْبِ ؟ فَمَا أَجَابُوا إِلَّا بِأَصْوَاتِ قَبِيحَةٍ (١١٢ آ) تَدْعُو إِلَى الْإِحْدَاثِ  
وَالْفُضِيحَةِ . خَرَجَتْ مِنْ أَدْبَارِهِمْ وَدَلَّتْ عَلَى إِدْبَارِهِمْ . وَعَلِمَ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ  
الْحَسْرَةَ لَا يَسُودُ . وَأَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِأَبْيَضٍ حَيْثُ كَانَ مِنَ الْقَوْمِ السُّودِ  
وَاسْتَمَرَ السَّيْفُ فِيهِمْ ، مِنْ قَوَادِمِهِمْ إِلَى خَوَافِهِمْ . حَتَّى لَمْ تَبْقَ مِنْهُمْ بَقِيَّةٌ .  
وَلَمْ يَثْرَكْ فِي نَفْسِهِمْ حَمِيَّةٌ ، وَأُخْصِي مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ فِي سَاحَةِ الْفِتَالِ

فكانوا نحو عشرين ألفاً من الأبطال . وجاءت بذلك البشائر الصادقة .  
على ألسن البشائر التي هي بشغور السطور ناطقة ، إلى دمشق المحروسة . دامت  
ربوعها المأنوسة .

وأخبرني فخرُ البوابين في باب السلطنة العليّة ، والمالك الأحمدية .  
بأخي آغا بن المرحوم أحمد لما قدم إلى دمشق في أوائل جمادى الآخرة ،  
بعد حضوره القتال المذكور بالذات ، وعلم ذلك بتفصيل الحال لا باجمال  
الروايات ، أن الذين 'مسكوا من البغاة يوم الحرب كانوا نحو اثني عشر  
ألفاً وقدّلتهم الجلائدُ بيده والوزيرُ ناظرٌ إليه وذلك ما عدا من قتل في  
ساحة القتال . فإن أولئك قد زادوا على العدد في ذلك المجال .

ثم إن الأخبار وصلت إلينا في مكاتيب من حضرة الوزير الأعظم المشار  
إليه سابقاً ، فإنه أرسل المكاتيب المذكورة إلى أعيان دمشق في يوم  
الثلاثاء ثاني شعبان المعظم من شهر سنة سبع عشرة . ووصل إلى الفقير كاتب  
الأحرف من ذلك كتابان . ومضمونها متقارب وحاصله أن ابن القلندر  
العاصي وقره سعيد وآغا جدن بيري والكل أكبر العصابة اجتمعوا بالقرب  
من مكان يقال له كوكسُون بضم الكاف الأولى وسكون الواو وسكون  
الكاف الثانية وضم السين . وتشاوروا وقالوا : آل عثمان لا يبقون على  
أحد منا إن قدرنا ومالنا مهرب ولا مذهب فالواجب أننا نقاتل جموع  
السلطنة المجتمعة مع الوزير . فإن أخذناهم كانت البلاد لنا ، وإلا فالقتل  
أمرٌ لا بُدَّ منه .

ثم تحزّبوا وتجمعوا فرقاً ، ولاقوا الوزير يوم الثلاثاء الثالث من شهر  
ربيع الثاني وما كان مراد الوزير القتال في ذلك اليوم ، لكونه يوم الثلاثاء  
فلما تقارب الجيشان ، وتقارن الفريقان ، أقدم جيش البغي ، وتقدم  
فلزم أن جيش الوزير ، يقابلهم ويقاومهم فوقع القتال بين جاليس العساكر

ولم يزل السيفُ ظاهراً بين الفريقين الى أن حال بينهم اللال ، وتراجع كلُّ فريقٍ الى مكانه ، الى أن أصبح الصباح ( ١٧٢ ب ) فعادوا الى الكفاح . ومالوا الى الصباح . ولم يزل السيف في الهامات واقماً الى أن ولى عسكر البغي منهزماً . وطاحت الهامات في الثرى ، وكحل الغبار جفون الأعداي فمبي لا تُرى . ولقد أخبرني من شاهد الواقعة أن عسكر البُغاة كان قاهراً . وما كان مكسوراً بل كان كاسراً . لكن استوت عليه الصدمات الربانية . والقواهر الالهية فصار مغلوباً ، وأصبح مسلوباً . وقطعت منهم الرؤوس ، وضاعت منهم النفوس . واستمر جيشُ السلطان لهم تابعاً . ودارت عليهم الدوائر وصار حكمُ الله لهم قامعاً .

والحاصل أن قره سعيد ، لا أسعده الله تعالى ، هرب مع محمد الشهير بابن قلندر الى أن دخل ملك شاه العجم وهو عباس بن خدای بنده محمد وكذلك الباغي الطاغي أخو الطويل محمد . فإن عسكر السلطان أحمد نصره الله تعالى وبلغه الأمانى ، لا زال يطردهم الى أن أخرجهم من الملك العثماني . وأدخلهم في ملك شاه قزلباش . وما ندري ماذا يفعل بهم بعد ذلك . وقد أخبرني مَنْ أثق به من عسكر السلطان أنه قُتل من الجلالية الباغين الطاغين ما يزيد على خمسين ألفاً ولم يُقتل من عسكر السلطان على كثيرتهم خمس مئة رجل أو أقل من ذلك .

وقد أمر الوزير الأعظم مراد باشا ، نصره الله تعالى ، العسكر الرومي بأن يشق في نواحي بلاد الشرق من أرض الروم ، ونواحي وان ، وجزيرة ابن عمر ، وأطراف أرض الكرج ، طلباً لاستفتاح باب الحرب مع شاه عباس في أوائل سنة ثمان عشرة بعد الألف من الهجرة النبوية لما صدرَ من الكسر على عسكر السلطان أحمد كما كان قائدَ العسكر سنان باشا



الشهير بابن جفال ، في سنة أربع عشرة بعد الألف وكانت الواقعة بالقرب من مدينة تبريز ، وحصل بها على عسكر السلطان ، كمال العجز والنقصان . وفي يوم الخميس ثامن عشر شعبان من شهور سنة سبع عشرة بعد الألف وردت العساكر الدمشقية ، ودخلت الى دمشق راجعة من سفر السلطان لأنها كانت مع الوزير الأعظم مراد باشا معينة لقتال الجلالية البغاة ، ودخلوا فرحين مستبشرين ، بالنصر البين ، من رب العالمين .

قلت : وقد ورد الخبر بأن حضرة الوزير الأعظم مراد باشا ، نصره الله تعالى ، طلبه حضرة السلطان أحمد الى دار السلطنة قسطنطينية المحمية ، وأنه قد توجه اليها وصحب معه بعض الوزراء الى جانب دار ( ١٧٣٢ ) السلطنة وكثيراً من العساكر ومراده أن يأخذ في طريقه رجلاً خارجياً يُقال له يوسف باشا ، قد نجم في نواحي كُوزلجه حصار وكان من توابع الوزير أويس باشا ولا ادري هل هو من مماليكه أو من أقاربه والله تعالى يُعين الوزير عليه ، ويجعله منتصراً عليه بلطفه وعونه ، وحمایته وصونه .

قلت : وفي آخر شوال من شهور سنة ست عشرة بعد الألف من الهجرة النبوية ورد الخبر بأن الخارجي الباغي علي بن أحمد بن جانبلاذ لما غلب وكسره الوزير الأعظم مراد باشا ذهب بنحو ثلاثة آلاف فارس الى العاصي الطويل محمد ليكون معه مستعيناً به على حرب الوزير المذكور . فقال له الطويل : اذهب عني ، فإنني أخاف أن يمستني ضررٌ منك فإنك قد أظهرت العصيان ، بمبارزة عساكر السلطان . كما تقدم ذكره آنفاً ، وفي هذا الخبر أنه قال له : نحن كلنا باغون طاغون ، غير أننا ما بالغنا في مجاوزة الحد بالعصيان ، ومبارزة وزراء السلطان . فذهب ابن جانبلاذ ولم يزل حتى أخذ عمه حيدر بك وابن عمه مصطفى بن حسين باشا وذهب الى باب السلطنة العلمية

الأحمدية . وجعل في عنقه حبلاً وسيفاً مسلولاً ، ونادى في ديوان السلطان :  
يامولانا السلطان ! أنا مظلوم . فجمهوه بحضرة السلطان ، وانزله السلطانُ  
وأكرم نزله .

وبعد فلك ورد الخبر إلى الشام بأن حضرة السلطان أراد أن يعطيه  
منصباً يحكم فيه من بلاد رَمَلِي ، فهجم على السلطان ، نصره الله تعالى  
العلماء والمدّرسون وقالوا : هاذا رجل قد فتح في سور الملك طاعة لا تُسَدُّ  
إلا برأسه . وأشاروا على السلطان بقتله . فيقال إنه قتله وقتل جميع أقاربه  
شر قتلة . والله اعلم بحقيقة الحال .

قلتُ : وقد صح بعد هاذا أن السلطان قبله ، وما قتله . كما تقدم .  
وقال : هاذا جاء بالأمان ، فيجب العفو عنه ، والعفو من شأن أهل الإيمان .  
وأعطاه حكومة ومشوار ، وأرسله إلى تلك الديار .

١٣٢

[١٧٣ب] علي أفندي الدفترى بدمشق الشام

سقا حياها صوب الغمام

وردَ من الديار الروميّة ، إلى مدينة دمشق المحمية (١) . مرّةً في سنة ستٍ وتسعين وتسع مئة ، وقماطى مصالح الدفتر على وجه حسنٍ مرضيٍّ ، ونزل في البيت المقابل للعادليّة الصُفُرى بدمشق ، بالقرب من المدرسة المناربة لقلعة دمشق ، وهي دارُ الحديث الأشرفيّة .

ثم سافر من دمشق وجاء إليها في سنةٍ عشرٍ بعد الألف تقريباً ، وورد في هذه المرة متكبيراً غشوماً ، متعظماً إلى الغاية (٢) ظلوماً . وسببُ ذلك أنه قد وردَ في هذه المرّة صاحبَ مالٍ عظيمٍ حصّله من ديار بكرٍ لما كان بها صاحبَ الدفاتر السلطانيّة . وكانت له مع ذلك فضيلةٌ تامّةٌ (٣) علميّة . يجاضر في سائر الفنون ، لاسيّما في المعقولات (٤) ، لأنه في الأصل كان قاضياً ببعض البلدان والقصبات (٥) . وخرجَ إلى طريقِ الدفترِ من طريقِ العلم . وكان ذا معرفةٍ بلسانِ الفارسيّةِ إلى الغاية .

(١) ب ، هـ « علي أفندي الدفترى بدمشق ، رجل وود من ديار الروم إلى دمشق

مرة في سنة ... » وقد سقط من ب « الشام سقاها صوب الغمام » .

(٢) قوله « متعظماً إلى الغاية » ساقط من ب ، هـ .

(٣) « تامّة » ساقطة من ب ، هـ .

(٤) قوله « يجاضر في سائر الفنون لاسيّما في المعقولات » ساقط من ب ، هـ .

(٥) قوله « ببعض البلدان والقصبات » ساقط من ب ، هـ .

وكانت لنا به معرفة في المرة الأولى واختلاط زائد<sup>١</sup>، ويُعاملنا بأنواع الرعاية<sup>(١)</sup>. فلما رجع متكبراً، مُتَّصِلاً<sup>(٢)</sup>. تتكثراً، جفوناه. وبالصدق عاملناه. وصدر بيننا وبينه مفاوضات كثيرة<sup>(٣)</sup>، [ومسامرات ادبيه]<sup>(٤)</sup> ومباحثات غزيرة. [وكانت له مشاركة في بعض العلوم]<sup>(٥)</sup>.

وقد عمر داراً بالقرب من جامع يَلْبَغُفا. مطلة على نهر بردى، في غاية الوُسْعَةِ واللطافة، والمائة والظرافة<sup>(٥)</sup>. وأوقف وفقاً وكُتباً على علماء دمشق الشام<sup>(٦)</sup>، وفضلاتها الكرام. والكتب المذكورة عظمة حسنة<sup>٥</sup>، وافرة مشهورة. قَلَّ مَنْ مَلَكَ مثلها، أو ظفر بثلمها، صانها الله تعالى عن أيدي الجهال الخائنين، وحماها من شراء أهل الضلال المبذلين. وجدد جامع تنكز بالقرب من الميدان الأخضر<sup>(٧)</sup>. وعمر [بلاط]<sup>(٨)</sup> طريق الصالحية، وهي حسنة مقبولة<sup>(٩)</sup>، بها يُذكر.

وقد ولي مراراً الدفتر دارية، وتفتت سهام تصرفه وسعيه في الدولة العثمانية<sup>(١٠)</sup>، وبلغ من الرفعة ما لا مزيد عليه، وحصل من الأموال

- 
- (١) قوله « واختلاط زائد ... حتى الرعاية » ساقط من ب، هـ .
  - (٢) ب، هـ « فلما رجع متكبراً متكثراً في التاريخ الثاني جفوناه ، إلا قليلاً لاجابة ، وصدر ... » .
  - (٣) ب، هـ « كلية » .
  - (٤) زيادة من ب، هـ .
  - (٥) قوله « وقد عمر داراً ... حتى الظرافة » لا يوجد في ب .
  - (٦) في ب « وافتى كياً نفيسة عظيمة غالية القيمة ، قل من جم مثلها ، وجمالها وفقاً على طلبة العلم بدمشق ، صانها الله عن أيدي الجهال ، وجدد جامع تنكز . . » .
  - (٧) قوله « بالقرب من الميدان الأخضر » ساقط من ب، هـ .
  - (٨) الزيادة من ب، هـ .
  - (٩) قوله « وهي حسنة مقبولة » ساقط من ب، هـ .
  - (١٠) قوله « وقد ولي مراراً . . العثمانية » ساقط من ب، هـ .

ما تقصر الأيدي عن التطاول إليه ، ثم صارت رتبته البكاربكية ، من قبل اللطنة العليّة . فصار يُدعى بين الأنام ، بعد الأفنديّة أمير الأمراء الكرام (١) .

توفي في نهار الأحد سادس شهر رجب المرجب (٢) الذي هو من شهور سنة ثمان عشرة وألف من الهجرة النبويّة ، على صاحبها ألف ألف صلاة وتحية . وصلّي عليه بجامع الصابونيّة ، ودُفن بمقبرة (١٧٤٢) بُنيّت له بباب الصغير عند سيدي بلال الحبشي . رحمة الله عليه كل صباح وعشّي (٣) .

- 
- (١) في ب ، هـ « وبلغ من التقدّم والرفعة ما لا مزيد عليه ، وصارت له رتبة بكاربكية ، وصار يُدعى بلي باشا بعد أن كان علي أفندي . وقد حج . وعمر داراً حسنة كبيرة ملاصقة لجامع بلنفا ، وجعل له أجزاء شريفة في الجامع المذكور . توفي ... »
- (٢) قوله « المرجب الذي هو من شهور » ساقط من ب ، هـ .
- (٣) في ب ، هـ « بالقرب من سيدي بلال الحبشي ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة » .

## ١٣٣

عمر باشا

حاكم بلاد الحبشة

وهو خَصِيٌّ له بيض ، وَرَدَ إلى دمشق الشام في نهار (١) الاثنين غرّة جمادى الآخرة الذي هو من شهور (٢) سنة ثمان عشرة بعد الألف . وكان ورودُه من مصر المحروسة (٣) بالجزائن السلطانية ، قاصداً بها الوصول إلى دارِ السلطنة العلية (٤) ، قسطنطينية الحميّة . وسلطانها سلطانُ الإسلام السلطان أحمد ابن المرحوم السلطان محمد ابن السلطان مراد العثماني أطال الله عمره ، وشرح صدره . وكان عددُ الأحمالِ الواردةٍ معه مئةً وسبعةً وسبعين حملاً ، ما بين ذهبٍ وفضةٍ . فأما الفضةُ فقيل إنها أربع مئة ألف قرش ، يعني أربع كرات كلُّ كرة منها مئة ألف قرش . وهي من خزائن اليمن . ومن خزائن اليمن أيضاً مئة ألف ذهباً ، وخمسون ألفاً ذهباً . كل ذلك من خزائن اليمن . وما عدا ذلك من الأحمالِ الباقية من خزائن مصر ، مرسله إلى حضرة السلطان أحمد خان المذكور . ومن جملة الخزائن الواردة من اليمن خمسة أحمال من الجواهر ، قيل إنها من متروكات حاكم اليمن الذي مات ، وهو حاكم بها ، وهو أميرُ الأمراء الكرام سنان باشا ، الذي كان قديماً كَتَبْنَا

(١) في ب « يوم » .

(٢) قوله « الذي هو من شهور » لا يوجد في ب .

(٣) « المحروسة » لا توجد في ب .

(٤) « العلية » لا توجد في ب .

المرحوم حسن باشا حاكم اليمن سابقاً . وكان مع الخزينة من العسكر  
المصري نحو خمس مئة فارس ، غالبها بالبندق . وقد أقاموا بدمشق خمسة  
أيام . ثم طلعوا من محروسة دمشق ، [ وودّعهم عسكر دمشق ] <sup>(١)</sup> وساروا  
إلى حلب الشهباء ، ومنها إلى قرمان <sup>(٢)</sup> ، ومنها إلى قسطنطينية . ودخلوا  
إليها سالمين غانمين . وفرح حضرة السلطان بوصولهم ، بالفين إلى مأمولهم .  
والله سبحانه يديم هاتيك الدولة العليّة الأحمدية ، ويُبقي تلك الصولة  
العثمانيّة ، باقية على الدوام إلى قيام الساعة وساعة القيام ، بجاه <sup>(٣)</sup> سيّد  
الأنام ، عليه من الله تعالى ألف ألف صلاة ، وألف ألف سلام .

---

(١) الزيادة من ب ، ه .

(٢) في ب ، ه « قران » .

(٣) قوله « بجاه ... » بجاه ... سلام « لا يوجد في ب ، ه .

## المرحوم الشيخ عماد الدين الحنفي

هو شيخنا شيخ الاسلام ، وَعَيْنُ العلماءِ الأعلام ، وواسطةُ عقد ( ١٧٤ ب ) الفضلاءِ في دمشق الشام . العمادُ بنُ العماد الحنفي رحم الله تعالى روحه ، ونورُ ضريحه .

وهو دمشقيُّ الأصل مولدُه دمشق ونشأ طالباً للعلوم ، باحثاً عما تضمنته من منطوقٍ ومفهوم . فطارَ صيتهُ في الأنظار . وقصدتهُ الطلبةُ من 'كلِّ الديار' (١) . قرأ على الشيخ الطيبي الكبير القراءات ، وعلى الشيخ أبي الفتح الشبستري العلوم العقلية . وقرأ على علاء الدين بن عماد الدين الشهير ، وعلى غيرهم من الفضلاء الذين انفردوا بغير نظير .

وكان ساكناً دينياً خيراً . ودرّس في دمشق بعدة مدارس . درّس بالحاتونية : وبالريحانية . ثم بالناصرية الجوانية . ومات وهو مدرس بها ودرّس بالجامع الأموي ، فكان يتأملُ المباحثَ ولايةً كالم في مَنبَحِ إباعد تحقيقه ، ولايحول في مُعضِلِ إباعد تدقيقه .

قرأ عليه جملة من فضلاء دمشق : منهم صاحبنا الشيخ عمر بن القاري ، وصاحبنا المرحوم التاج القَطَّان النحوي ، وصاحبنا الشيخ مصطفى بن المعجمي الحلبي الشاعر الأديب ، وصاحبنا الشيخ درويش (٢) محمد بن طالو ، وصاحبنا الشهاب أحمد النجموني الطرابلسي ، وصاحبنا المرحوم برهان الدين

(١) ب ، هـ « ديار » .

(٢) ب « علي » .



إبراهيم بن محمد ابن منصور بن محب الدين ، و كاتبُ الأحرار الفقير (١) الحسن البوريني .

فأما صاحبنا الشيخ عمر القاري فقرأ عليه غالب « شرح التلخيص المطول » للمولى سعد الدين التفتازاني . وأما التاج القطان فقد شهدته وقرأ عليه « مغني اللبيب » لابن هشام ، مع « حاشية الشمتي » . وأما صاحبنا الشيخ مصطفى بن المعجمي فقد أخبرني أنه قرأ عليه « شرح التوضيح » للشيخ خالد الأزهري . وأما الشيخ محمد درويش بن طالو فإنه قرأ عليه « الكافية في النحو » لابن الحاجب ، وأما ابن الجوزي فقد كان قرأ عليه « متن أوضح المسالك » إلى ألفية ابن مالك . بسماع صاحبنا الشيخ بدر لدين بن الموصلي وأما الشيخ أحمد النجموني الطرابلسي فقد كان يقرأ عليه « المطول » مع « حاشية » للسيد الشريف الجرجاني ، وللفاضل حسن چليبي العقادي وأما صاحبنا إبراهيم البرهاني ابن محب الدين فإنه قرأ عليه « الشرح المختصر على التلخيص » للمولى سعد الدين التفتازاني ( ١٧٥ آ ) وأما الفقير كاتب الحروف فقد قرأت عليه « شرح التلخيص » المختصر المذكور . وشرعت في « الشرح المطول » حتى وصلت فيه إلى أثناء مباحثات الفصل والوصل . فأدركتُه الوفاة في التاريخ الذي سيذكر .

وكان له شعرٌ حسن . وكانت يده طولى في النحو والعرف والمعاني والبيان ، وفي المنطق ، وفي الأصلين ، والعروض ، والنظم ، واللغة . وكان تقيده بالفتوى قليلا .

وقال لي مرة : أسفتُ على أن لم أحفظ القرآن ولم أتعلم لغة الفارسية . وسببُ اتصالي به والقراءة عليه أنه كان يوماً ماشياً في صحن الجامع

الأموي بين العشاءين . فتباحثنا مع بعض الفضلاء في إعراب شيء من كلام العرب ، واختلفنا في شيء من اصطلاحات الإعراب فتحاكمنا إليه وهو سائر بصحن الجامع المذكور فيما اختلفنا فيه من الإعراب وطال الكلام معه في تحقيق ذلك . فقال لي : أين مكانك ؟

فقلت : في الخانقاه الشميمصاتيّة .

فقال لي : إن أردت السُّكُنَى ، عندنا في الناصريّة الجوانية كُنْتَا في مُسَاعَدَتِكَ علماً ومعبشةً وغير ذلك . فأجبتُه إلى سؤاله ، وجئتُ إليه في اليوم الثاني إلى المدرسة الناصرية الجوانية فأخلا لي حجرة وهي الوسطى من الصفّ الشرقي ، وكَلِّسَهَا لي ، ففرشتُها وشرعتُ أقرأ عليه « الشرح المختصر » على « التلخيص » للمولى السعد التفتازاني ، بسماع صاحبنا المرحوم الملاّ علي الشيرازي الكاتب . ولم أزل أقرأ عليه الكتاب إلى أن أتممتُه بحمد الله تعالى . وكان إقامة في النصف من شعبان سنة أربع وثمانين وتسع مئة بالجامع الأموي وحضر الحتم المذكور طائفةً من الأفاضل .

ثم شرعتُ في غرّةٍ شوال في القراءة عليه من بداية خطبة « الشرح المطول » إلى أن وصلتُ إلى الكلام على قول الشاعر من شواهد الفصل والوصل . وقال قائلهم أرسلوا نزاولها فَحَتَفَ كُلُّ امرئٍ يجري بمقدارٍ

فاتفق انّ الشيخ المذكور خرج للزّهة إلى جانب الوادي الغربي بدمشق قبيل العصر ، وكنتُ في صحبته . وكان ولداه سيدي عبد الرحمن والمرحوم سيدي أحمد معه أيضاً . وكذلك الأمير أحمد بن شاهين السباهي بدمشق في صحبتنا أيضاً . ولما وصل إلى مقابلة العمارة السلمانية بالوادي المذكور التي عمرت مكان القصر الأبلق ، واثبّ لي تختطى ماء هناك . فلما وثب قال : آه آه ، قلبي قلبي فقلت له : ( ١٧٥ ب ) يا سيدي ما شأنك ؟ فقال : أتخيّلُ ان نياط قلبي قد قطع . ثم تصبر إلى أن أكل الأولادُ بعضَ شيء من العنب الزيّني ، مع بعض شيء من الخبز الكهاج مع قريشة . ولكن كان يتضوّج ويكثرُ التأوّه .

فقال الأمير أحمد بن شاهين له : نرسلُ إلى المدينة نأتيكم بفرس .  
فقال : لا بأس . فذهب عبدهُ فرج ليأتيه بالفرس . فلم يصبر إلى  
حضوره ، وقام وقمنا . وقد تَنَفَّصَ العيشُ بسبب ذلك .

فبينما نحن عند المؤتدية تحت القلعة وإذا بالفرس . فلم يركبها . وكان  
ذلك يوم الثلاثاء فوق ضعيفاً إلى ليلة الاثنين . وتوفي إلى رحمة الله تعالى في  
النصف الأخير من ليلة الاثنين ثامن عشر شعبان من شهر سنة ست وثمانين  
وتسع مئة . ودفن في غده عند قبرِ معاوية ، في تربة الباب الصغير . وكانت  
جنازته حافلة جداً ، حضرها قاضي القضاة الحسامُ الشيرُ ببن قره چلي  
وغيره ، وخلف الولدين المذكورين .

وكان قد أوصى بقراءتها عليّ . فقرأ عليّ .

فأما أحمد وهو الصغير فقد قرأ عليّ « مقدمة الصنهاجي المعروفة  
بالأجرومية » في النحو ، و « قواعد الاعراب الكبرى » ، وشرع في قراءة  
« ألفية ابن مالك » ، ثم أدركته الوفاة ولم يصل إلى عشرين عاماً .

وأما عبد الرحمن فإنه قد نشأ بحمد الله نشأة طيبة . وقرأ عليّ إلى أن  
وصل إلى الدرورة العلبيا وسافر . وله ترجمة عظيمة في هذا التاريخ إن  
شاء الله تعالى .

ولما توفي والده رحمه الله تعالى في التاريخ المذكور كان عمره حينئذ  
في ست أو سبع ، فيكون عمره في يوم تاريخه وهو يوم السبت ثاني شهر  
رمضان من شهر سنة ست عشرة بعد الألف ستاً أو سبعمائة وثلثين سنة . وهو  
الآن فريدُ دمشق فضلاً وديناً وسكوناً ولطيفاً ونظماً . وهو مُدرِّس  
أيضاً بالمدرسة الشيلية ، ويجامع بني أمية كما سنذكره إن شاء الله تعالى .  
نعودُ إلى ذكر والده صاحب الترجمة رحمه الله تعالى .

قلتُ : وكان لشينخنا العمادِ المذكورِ شمرٌ حَسَنٌ ، كاتبَ أدبائه  
زمانه وكتابه .

فمن ذلك ما كتب إليه صاحبنا الأديب ، وصديقهنا الأريب ، درويش  
أفندي الطالوي سبط آل طالو ، مفتي دمشق بموجب الحكم السلطاني هذه  
القصيدة الفريدة طالباً للجواب ، والله الموفق للصواب :

( ٢١٧٦ ) عهد السرور وريعاز الهوى النضرِ  
سقاك عهدُ الحيارِ قراقٍ مُنحدرِ  
وجاد ربك وسمي تكركره  
ريح الصبا بين منهلٍ ومنهجرِ  
وغرّدت برباك الورقُ وابتكرت  
بلحنٍ معبدٍ تتلو أطيبَ الخبرِ  
ولا برحتَ معاناً للحسانِ ولا  
رمتك أيدي النوى بالحادثِ الغرِ  
ولا أغبتك أرواحُ النسيمِ ولا  
عدت مغانيك أخلاقٍ من المطرِ  
كم لي بها وشبابي الغضُّ مُقتبلٌ  
من منزلِ أهلٍ بالشوقِ والذكرِ  
كم أجتليتُ بدوراً من مطالِعها  
من كل رُعبوبةٍ تهفو بمصطبري  
رودٍ كستها يدُ الأيامِ ثوبَ صبا  
هيفاءِ صب الصبا ماء الشبابِ على  
قامت تُعانقني عندَ الوداعِ وقد  
قلدتها من دموعي رائقِ الدرِ  
تقولُ والبينُ تغشاها ركائبه  
والدمعُ يقطرُ فوق الخد من حذرِ

لا تُعَيِّبِ الدَّهْرَ إِنْ حَالَتْ خِلَاتُكَهُ  
وَإِنْ تُرِدُ تَتَّقِي مِنْ صَرْفِهِ نُوبًا  
مَوْلَى حِمَاهُ غَدَا أَمِنْ المَرُوعِ كَذَا  
مَا زَالَ يَسْمُو إِلَى العُلِيَاءِ مَرْتَقِيًا  
حَتَّى امْتَطَى صَهَوَاتِ المَجْدِ سَامِيَةً  
بِهِمَّةٍ تَعْتَلِي كَاللَّيْثِ ذِي أَثْرِ  
مَا فَاضِلٌ قَطُّ جَارَاهُ إِلَى أَمَدٍ  
أَقْلَامُهُ السُّمْرِ فِي بَيْضِ الطَّرُوسِ إِذَا  
لَهُ سَجَايَا كَنَشْرِ الرُّوْضِ ذِي زَهْرِ  
يَلْقَاكَ طَلَقَ المَحْيَا وَهُوَ مُبْتَسِمٌ  
مَا الرُّوْضُ جَاءَتْ لَهُ الأَنْوَاءُ بِالبُكْرِ  
جَادَ الغَمَامُ لَهُ سَحَابًا بُوَابِهِ  
فَازْدَانَ بِالنُّورِ غِبَّ القَطْرِ فَهُوَ عَلَى  
تَحَالٍ زَهْرَ الأَقَاحِي فِي خِمَائِلِهِ  
تَشْدُو الحَمَامُ عَلَى أَغْصَانِهِ سَحْرًا  
يَوْمًا بِأَحْسَنِ مَرَأَى مِنْ خِلَاتُكَهُ  
فَصَفْوَرُ وَنَقَّةٍ لَمْ يَخْلُ مِنْ كَدْرِ  
فَالجَاءُ لِظَلِّ عِمَادِ الدِّينِ تَسْتَرِ  
جِنَابُهُ الرُّحْبَ مَاوَى الخَائِفِ الحَذِرِ  
بِسُودِ مَجْدِهِ سَامٍ عَلَى الزُّهْرِ  
تَحْتَالُ فِي حُلَالِ الأَوْضَاحِ وَالعُرْرِ  
وَعَزْمَةٍ كَمَضَاهِ الصَّارِمِ الذَّكْرِ  
فِي البَحْثِ إِلا انْثَى بِالعَيْيِ وَالحَصْرِ  
مَشَتْ أَرْتَكَ فِيعَالِ البَيْضِ وَالسُّمْرِ  
وَقَدْ تَوَشَّحَ بِالأَنْهَارِ وَالعُدْرِ  
بِمَنْطِقِ وَرْدِهِ أَحْلَا مِنْ الصَّدْرِ  
وَكَلَّمَتْ دَوْحَةَ المَخْضَلِ بِالزُّهْرِ  
وَأكْسَبَتْهُ الصَّبَا مِنْ رِقَّةِ السَّحْرِ  
نَهْرِ الأَبْلَةِ حَسَنًا رَاقٍ لِلنَّظْرِ  
زُهْرَ المَجْرَةِ صَيَّنَتْ عَنْ يَدِ الغَيْرِ  
فَتَبَعَتْ الشُّوقَ فِي أَحْشَاءِ مُسْتَعْرِ  
وَلَا بِأَذْكَى شَدَاً مِنْ طَيِّبِهَا العَطْرِ

يا عالماً كم جَلَّتْ أَبْكَارُ فِكْرَتِهِ  
يا ابن الكرامِ وَمَنْ شَادُوا بَعِزْمَهُمْ  
ويا عماداً لدينِ الفضلِ يرفَعُهُ  
إلى ذُرَاكِ انْتَمَتْ فَأَقْبَلَ عَلَى دَخْلِ  
لَا زِلْتَ فِي نِعَمٍ تَسْمُو بِسُوءِ دَهَاهَا  
مَا نَاحَ بِالْأَيْكِ قَمْرِي وَمَا سَجَعَتْ  
وَمَا وَشَى الطرسُ تُنْمِيقَ الْيِرَاعِ بِمَا  
غُرَّ الْمُعَانِي لَنَا فِي أَحْسَنِ الصُّورِ  
رُكْنَ الْعَلَا سَامِيَاً فِي سَالِفِ الْعُصْرِ  
وَكَادَ مِنْ ضَعْفِهِ يُلْفَى عَلَى خَطَرِ  
نَسِيجِهَا يَا رَيْسَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ  
هَامُ السَّامِكِينَ حَيْثُ النُّسْرُ لَمْ يَطِرْ  
وَرُقُّ الْحَمَائِمِ بِالْأَصَالِ وَالْبُكْرِ  
يَزْرِي بُوْشِي الرَّبِّي يَبْسِمُنْ عَنْ زَهْرِ

فكتب له الشيخ الجواب من وزنه ورويه :

أثغرُ حَوْرَاءَ أَمْ عَقْدٌ مِنَ الدَّرْرِ  
أَمْ الْحَبَابُ عَلَى رَاحٍ مُرَوِّقَةٍ  
أَمْ نَظْمٌ مِنْ بَهْرَتِ آيَاتِ مَنْطِقِهِ  
يَا نَافِثَ السَّحْرِ مِنْ فِيهِ بِمَعْجَزَةٍ  
وَيَا مُدِيرَا سُلَافًا مِنْ بِلَاغَتِهِ  
وَيَا ابْنَ طَالُو وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ فَمَا  
أَخَذْتَ دُرَّ الْمُعَانِي مِنْ مَعَادِنِهِ  
وَحَزْتَ جَمْعَ الْمَزَايَا وَانْفَرَدْتَ بِهَا  
أَمْ زَاهِرُ الزُّهْرِ أَمْ زَاهٍ مِنَ الزَّهْرِ  
أَمْ نَفْحَةُ السَّحْرِ لِي أَمْ نَسْمَةُ السَّحْرِ  
فَأَعْجَزْتَ كُلَّ ذِي نَظْمٍ وَمُنْتَشِرٍ  
عَقَدْتَ ألسُنَ أَهْلِ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ  
هَلَّا تَرَفَّقْتَ بِالْأَلْبَابِ وَالْفِكْرِ  
لَنَا بَلُوغٌ إِلَى عِلْمِكَ فَاقْتَصِرْ  
وُغِصْتَ فِي أْبْحَرِ الْآدَابِ لِلدَّرْرِ  
وَلَمْ تَدْعَ لِلسَّيْوَى شَأْوَاً وَلَمْ تَذِرْ

وجئت من كل معنى رائق بهج  
كأنه ضرب قد شابه شنب  
أهديت لي عادة جلت محاسنها  
لها انتساب إلى زهر ومرسلها  
حيث فأحيت بالفاظ منمقة  
وأسفرت عن سنا بركي، وعن شفق  
زارت على حين أشواق لبهجتها  
وضاع عرف شذاها عندما برزت  
سألتها قبلة أظفي بها حرقاً  
فأومأت لشتيت زانه شنب  
ونادمتني بليل قد سررت به  
وبت أنشد مدحاً في محاسنها  
يا نزهة النفس يا من فاق منطقها  
إني عجبت لمن أنشاك رائقه  
يا من له نسب كالشمس مشتهر  
خذاً إليك وإن كانت مقصرة

بكل ما قد حلا في الذوق والنظر  
أو عاتق عابق من ريجه العطر  
وقد تجلت لنا في أحسن الصور  
بحسن منطجه ينمي إلى مضر  
وغازلتنا بلطف الدل والحور  
وعن شهاب، وعن شمس، وعن قمر  
ومتعتنا بذاك المنظر النظر  
مسكاً وعطرت الأقطار بالقطر (١٧٧)  
شبت بقلب بنار الشوق مستعر  
وأنعمت بنعيم الورد والصدور  
لا كنه ساءني إذ مر بالقصر  
ما قاله شاعر في سالف العصر  
قس بن ساعدة المشهور في السير  
رقية كحلاء كيف لم يطر  
عن شأوه النسرو يروي أرفع الخمر  
فشأن مثلك ستر العيب بالستر

وإن تكن أوجزت في الوصف واختصرت  
فالعذب يهجر للإفراط في الخصر  
وإن تكن من بليغ القول عاطلة  
فقد تحلت بعقد من مديح سري  
فاعذر فإني تركت الشعر من زمن  
لشاغل عنه غشى مقلة الفكر  
لازلت تسمو على الأقران مرتدياً  
ثوب البلاغة في أمن من الحصر  
ماطرز الطرس تنميق اليراع بما  
يزهو على الروض وشتته يد المطر



## مولانا عبد الرحمن أفندي الفرفوري

هو عبد الرحمن ابن المرحوم قاضي القضاة وليّ الدين بن الفرفور .  
'همام' رضع ثديّ المعارف حافلاً ، ورتقى في مراتب المجد وأصبح لاديون  
المكارم كافلاً . وبيته في دمشق بيت القضاء والمعالي . وسلفه سلف الفضائل  
وما مضى من الليالي . قد رقت آيات فضلمهم في صفحات الايام ، وتليت  
سور مجدهم عالية على روس الأعلام .

مات والده القاضي وليّ الدين قاضي قضاة الشام ، مسموماً بقلعة دمشق  
ورلده عبد الرحمن هذا رضيع ، فتربى في بقايا العزّ الذي كان لوالده المذكور  
لأنه كان عزيز الدولتَيْن . ورئيس المذهبَيْن . وقرأ العلوم على ما هو  
المعتاد ، فبدأ بالعربية ، ثم بالمنطق ، ثم بالبلاغة ، ثم بالعلوم الشرعية الى أن  
وصل الى سنّ الثلاثين فصار خطيباً بالمهارة السليمانية التي بناها المرحوم  
السلطان الغازي سليمان بالمدان الأخضر بدمشق ، مكان القصر الأبلق ،  
ثم ترك الخطابة وطلب من السلطان ( ١٧٧ / ب ) المذكور علوفة الصندرق ،  
على قانون أولاد الموالي والقضاة في دولة آل عثمان . فأعطاه السلطان وأخاه  
القاضي ولي الدين نحر ثلاثين عثمانياً كل يوم في خزينة دمشق ، واستمرت  
العلوفة معها . فأما القاضي ولي الدين فاستمرت العلوفة معه الى أن مات .  
وأما القاضي عبد الرحمن فإنه لما أراد منصب القضاء أعرض عن العلوفة  
المذكورة ، لأنه لا يجمع بين العلوفة والقضاء في اصطلاح آل عثمان . وتولى

من المناصب قضاء شينزار ، وقضاء المتجدال ، وقضاء القنيطرة من نواحي دمشق . ثم إنه ترك ذلك كله ، وألقى عن كاهله كله . وجلس في بيته يكتب ويحمر ، ويذاكر في أنواع العلوم ويقرر ، وانفرد في بيته الكائن بالقرب من البادرانية ، في جوار بيت المرحوم السيد كمال الدين ابن حمزة .

كان لي به اجتماع كثير ، وكان له عليّ في ذلك الاجتماع لطفٌ غزير وكان مبدأ ذلك انه مرّ يوماً بالجامع الأموي ، وأنا أدرس الفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه عند شباك الكاملية بالحاظ الشاهلي ، فرقف لحظة يسمع إلقائي للدرس المذكور . فلما ذهب الى بيته قال لولده الفاضل المرحوم سيدي محمد والمرحوم سيدي الجمال جمال الدين : رأيتُ اليوم رجلاً يُدرّسُ في الجامع الأموي في فقه الشافعي ، وأظنه قدسيّاً مارأيتُ أفصح من لهجته ، ولا أبلغ من عبارته . فقالا له : نعم هذا فلان ، وهو من معارفنا .

فقال : فأرسلوا إليه أحداً يحضره اليها هنا حتى نتصاحب معه . فأرسلوا إليّ رجلاً من أتباعهم . فدخلتُ إلى بيتهم المذكور ، فوجدتُ القاضي وولديه جالسين . فلما دخلتُ استقبلوني وفي صدر المكان أجلسوني . فتذاكرنا معهم أنواع الدقائق ، وتجادبنا في حضرتهم أهداب الحقائق ، إلى أن رغب كل منا في أخيه ، وتعاقدا على عهد الأخوة محترزين عما ينافيه . وكنا في كل يوم نجتمع في دارهم المذكورة ، وهم يتفضلون بالمكارم التي ليست بمنزورة . ولم يكن بيننا سوى مذاكرة العلوم ، والتفحص عما تضمنته من منطوق ومفهوم . وكانت عندهم الكتب التي يعزّ وجودها الحسنة ، ( ١٧٨ / آ ) والآثار المستحسنة . واقد انتفعت بصحبتهم لوجوه مذاكرة العلوم . ومنها الاطلاع على ما عندهم من الكتب التي يعزّ وجودها على كل

أحد. ومنها أن القاضي عبد الرحمن المذكور كان بنوّه باعمي حيث كان ،  
ويثبتُ على فضائي أصدق البرهان . ومنها الاستغناء بها مع ما عندهم من  
الصيانة عن بعض الإخوان الذين ما (١) الحيانة . فرحم الله هاتيك  
الأجساد ، وأمطر عليها من سيب الرحمة عهد العهد ، فإنهم كانوا جمالاً للأبام ،  
وابتهاجاً لأبناء دمشق الشام . وقد أفردت لولديه المذكورين ترجمتين ستأتي  
كل واحدة في موضعها . ولقد دامت مصاحبتنا معهم أعواماً عديدة ، ومدة  
مديدة ، ليلاً ونهاراً . لا يجد أحد منا عن صاحبه اضطراباً . وباللّٰه ثم باللّٰه  
لقد كان القاضي عبد الرحمن المذكور يأتي المدرسة الناصرية الجوانية وهي  
يجوارهم عند بيتهم فيجلس عندي في حجرتي بالمدرسة المذكورة ويبث لي  
ما عنده من حوادث الزمان ، ومن نوائب الحدّثان . فإنه كان كثيراً ما يتكدر  
لأنه يرى مناصب آباءه في يد الغير وهو منها محروم . فكانت لذلك تعتربه  
المهوم ، وكان يخطر له ما لقي والده قاضي القضاة من تعصب الدهر وجفاه .  
وما أليه من التفتيش الذي أتى على غالب أملاكهم ، وفرّق بين عقود  
أسلاكهم ، فكان يتأوّه نارا ، ويقدح في تأوّه شرارا . وكان كثيراً  
ما ينشد قول القائل :

من يَتَمَنَّى العُمَرَ فَلْيَدْرِ عَ صَبْرًا على فَقْدِ أَحِبَّائِهِ  
وَمَنْ يُعَمَّرُ يَلْقَ في نَفْسِهِ ما يَتَمَنَّاهُ لأَعْدَائِهِ

وكان قد رأى في بعض التواريخ قول القائل :

الحمدُ لله على أنني لستُ بذِي مالٍ ولا ضَيْعَةٍ  
فالماءُ أفنى ماء دِيباجتي وصرتُ بالضَيْعَةِ في ضَيْعَةٍ

(١) ياض في جميع الأصول .

فكان يقول :

الحمدُ لله على أني أصبحتُ ذاملاً وذا ضيعه

فالماء أفنى ماءً ديباجتي وصرتُ بالضيعة في ضيعه

( ١٧٨ ب ) وبالجملة فقد كانت له مكارم أخلاق ما ملكها غيره من أبناء زمانه ، غير أنه كان مبتلى بالعمارة والتخريب ، وكان يعمر الشيء إلى أن يصل إلى حد الإتمام . ثم يعن له أن يغيّره فيخرجه بالتام . وهم جرّاء . وكان يضيع لذلك أموالاً كثيرة ولاكتفه مع ذلك يجد بالاشتغال بالبناء سلوة عن أحزانه . واشتغالا عن أبناء زمانه . وكان رحمه الله تعالى كاتباً شاعراً ، ناظماً ناثراً . فمن شعره ما أنشدنيه في بيته المذكور في سنة خمس وثمانين وتسعمائة :

ناهزتُ خمسين ولم أتّعظُ وشاب فوذي منذراً بالرحيل

ولم أقدم عملاً صالحاً فحسي الله ونعم الوكيل

ولما فات الحسين كان ينشد البيت هكذا جازت خمسين ولم أتعظ . وله أيضاً من قصيدة كتبها إلى قاضي العسكر مطلعها :

إنّ ابنَ فرفور على طردهِ عن بابكم باقٍ على عهدِهِ

داعٍ لكم مُثنٍ عليكم كما يعلمهُ السيّدُ من عبدهِ

ولما أنشدني قوله ناهزت خمسين إلى آخره أنشدته لي في ذلك ارتجالاً :

أذاقني الدهرُ صروفَ النوى وصرتُ من جورِ الليالي ذليلٌ

ولم أقدم عملاً صالحاً فحسي الله ونعم الوكيل

ولما مات ولده سيدي محمد في التاريخ المذكور في ترجمته في حرف الميم وَجَدَ عليه وجداً عظيماً ، وتأسف لفقده تأسفاً جسيماً . وانقطع

عن الناس انقطاعاً كاملاً ، وهجر الخلائق هجراً شاملاً ، اللهم إلا رجلاً  
يأنس به في حال انفراده ، ويبيت له من أوجاع الدهر ما في فؤاده . دخلت  
عليه مرة وهو من الدهر يتوجع ، وكبده من الحزن كادت تنقطع . وهو  
ينشد بصوت حزين ، قد مزجه بالوجد والأنين ، هذه الآبيات :

يا واحداً ما كان لي غيره      بعدك وآ قلة أنصاري  
يا مُشْتَكِي حُزْنِي وَيَأْمُنْتَهِي      سُؤْلِي وَيَا حَافِظَ أَسْرَارِي  
الدارُ من بعدك قد أصبحتُ      في وحشةٍ يأمؤنس الدارِ  
جارُك قلبي كيف أوحشتهُ      والله أوصى الجارَ بالجارِ

(T ١٧٩)

وكان رحمه الله تعالى عارفاً بالنعمة وباصطلاح الموسيقى ، حتى انه  
كان يخلو بنفسه ويدفع عنه الوحشة بصوته الحسن .

وكان قد قرأ على عدة مشايخ منهم الشيخ الصالح ، الولي الفالح ،  
الشيخ أبو الفتح الشبستري الذي كان قاطماً بالخانقاه الشميمصائية . جوار  
جامع بني أمية ، ومنهم الشيخ المحقق الشيخ أحمد القزويني الشير بالسعيدي  
الذي كان قاطناً بدمشق بحلة القيمرية ومنهم المولى العلامة الشيخ علاء  
الدين بن عماد الدين الشافعي ، وغيرهم من علماء عصره .

وتخرج به جماعة منهم ولداه المذكوران .

ولما مات دفن بجوار تربة القطب الرباني سيدي الشيخ أرسلان خفير  
دمشق ، في التربة التي كان والده قاضي القضاة ولي الدين ابتداء عمارتها  
هناك ، وهي موجودة الى الآن وكانت وفاته في سنة احدى وتسعين  
وتسع مئة وكنت نظمت قصيدة تعرضت فيها للقاضي عبد الرحمن المذكور  
بعد أن ذكرت شيخنا العماد المذكور في حرف العين . رحمه الله تعالى  
أجمعين .

المولى عبد الرحمن بن مرشد الحنفي<sup>(١)</sup>

هو من أهل مكة حرسها الله تعالى ومن السكان بها ومفتي السادة الحنفية بها زارني بالمخيم الشامي في باب المعلى ، وجلس عندي من أذان العصر إلى أن شارفت الشمس الغروب وقام فتمت له مودعاً ، وإلى محل ركوبه مشيتما . وهو الآن عين مكة وعالمها ، واليه يرجع محكومها وحاكمها ، وأرسل إليه قاضي مكة المولى صالح أفندي ابن المرحوم المولى الأعظم الأفخم الخواجا سعد الدين بن حسن جان بك مكتوباً يأمره فيه بأن يقوم مقامه في قضاء مكة ، فصدرت منه طفرة ، وهي أنه أرسل عند ورود المکتوب إليه إلى قاضي مكة السيد محمد بن السيد محمد المجنون ، وكان السيد المذكور متولياً قضاء مكة بالاستقلال ، بأني توليت القضاء لا بطريق النيابة بل بأمر السلطان إلى حين حضور صالح أفندي . فتزحج عن سنن الحكومة فصدر له ألم<sup>(٢)</sup> عظيم بذلك ، وصار السيد المذكور يشيع بأن الحكم الذي صدر له في النيابة المذكورة مزوراً ، وأنه صدر لغيره ، وصدر الاشتباه من اتفاق الامم ، فإن في مكة رجلاً [١٧٩/ب] يقال له عبد الرحمن وهو رومي يعظ بمكة ، وكان قد تولى النيابة بمكة عن أخي صالح المذكور وهو المولى محمد أفندي المفتي يومئذ

(١) هذه الترجمة في هـ ب وردت بعد ترجمة عبد الله بن الهادي . وفي هـ ، ب د الشيخ

عبد الرحمن بن مرشد المرشدي الحنفي ، مفتي الحنفية . اجتمعت به في مكة ، وهو

من أهلها ، ومن السكان بها زارني ... .

(٢) ب د أسر .

بقسطنطينية الحميّة . فقال السيد محمد المذكور وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُ : انما جاءت  
النيابة لعبد الرحمن الرومي الواعظ . فاشتبّه الحال بعبد الرحمن العربي المفي ،  
وصدر من السيد محمد المذكور تعصب على عبد الرحمن المرشدي المذكور بسبب  
النيابة المذكورة وكان يقول : أنا أُعزّلُ بمجرد قول رجلٍ من العرب ،  
ويقول بالتركية بره عرب .

فقلتُ له يوماً وقد استهان بالعرب كثيراً : يامولاي أنت إن صحّ نسبك  
فأنت أشدُّ الناسِ علاقةً بالعرب والعربية ، لأن بني هاشم هم صميم العرب  
ولبُّ العربية

فقال : لنا مدة تزيد على ست مئة سنة قد فارقنا العرب .

وبالجملة فالشيخ عبد الرحمن المذكور واسطة عقد الحنفية . بمكة  
الحميّة . واختبرته فرأيت عربيته ماكنة . ورأيت حركته في فهم العبادات  
ساكنة . وقد شرح « نظم متن التلخيص » للشيخ العلامة ، المجتهد الفهامة ،  
الشيخ الأسيوطي شرحاً لا بأس به . وله « إنشاء » لطيف .  
ولقد ودعني عند الرحيل من مكة الى باب مكة ، وأظهر محبة ومودة .  
سلمه الله تعالى .

وكان رحيلنا من مكة في اليوم الثامن والعشرين من ذي الحجة الحرام  
من شهور سنة عشرين بعد الألف من الهجرة النبوية ، على صاحبها ألف  
ألف صلاة وتحية ، ونزلنا بالقرب من حدود الحرم من الجانب الشمالي  
ودخلنا دمشق يوم الثلاثاء خامس عشر صفر الخير من سنة إحدى وعشرين  
من الهجرة النبوية . على صاحبها<sup>(١)</sup> ألف ألف سلام وتحية .

(١) ب ، « مهاجرها الف الف تحية » ، ه « على صاحبها الف الف تحية » .

### الشيخ عبد الرحمن العمادي

الشيخ الفاضل ، جامع أشتات الفضائل ، وارث العلم عن أصله . الذي عزّ وجود مثله ، هو (١) المفتي يومئذ بدمشق على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه الشيخ عبد الرحمن ابن أستاذنا الإمام الهمام ، شيخ مشايخ الاسلام ، فخر علماء الأنام ، المولى الأعظم العماد الحنفي . أجزاء الله تعالى على عوائد برّه الحفي .

تولى الشيخ عبد الرحمن المذكور تدريس المدرسة ( ١٨٠٠ ) السلطانية السلمية ، بصالحية دمشق الحمية (٢) . وبأمر التدريس بها في يوم الأحد ثالث ذي الحجة الحرام ، من شهور سنة ثلاث وعشرين بعد الألف من الهجرة النبوية ، على مهاجرها ألف ألف صلاة وسلام وتحية ، حيث كان قاضي دمشق حينئذ حضرة المخدم المسمى بشيخ محمد ابن شيخ الاسلام محمد أفندي ابن شيخ الاسلام المسمى بشيخ محمد بن إلياس الشهير بجوي زاده ، بلفه الله تعالى الحسنى وزيادة . وعلوفتها في كل يوم خمسون درهما عثمانيا . ومعيده فيها الشيخ لطفي بن يحيى بن الشمس المنقاري الحلبي « الأصل ، الدمشقي المولد والمنشأ . وفهب للتدريس بها في يوم الأحد المذكور أعلاه وكان كاتب الحروف الفقير الحقير ، المعترف

(١) « هو » ساقطة من ب ، ه .

(٢) في ب ه « الحمية ، وتولى تدريس المدرسة المذكورة في التاريخ المذكور أعلاه ،

حيث كان قاضي دمشق . . . »



بالمقصود والتقصير ، الحسن بن محمد البوريني حاضراً للدرس . وكان الكلام على قوله تعالى في سورة يس وجاء ﴿ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْتَعْتَى ﴾ (١) الى آخر الايات المتعلقة بقصة حبيب النجار . وكان حضور الدرس من فضلاء دمشق جماعة مستكثرين : منهم المعيد المذكور . ومنهم الشيخ يوسف ابن أبي الفتح حفيد شيخ المعارف المشهور ، الشيخ منصور ، الشهير بخطيب السقيفة . ومنهم الشيخ الصالح إمام المدرسة السلمية الشيخ أيوب المقرئ الفاضل . ومنهم الشيخ الفاضل الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ ابواهم الشهير بابن محب الدين وهو ابن خالة المدرّس المذكور . ومنهم الشيخ محمد بن علاء الدين الامام الطرابلسي الحنفي . وحضره أناس آخرون من الفضلاء والصلحاء وحضره أيضاً فخر الأضواء ، وذخر النبلاء ، عبد اللطيف چليبي ابن المرحوم محمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن قاضي القضاة وليّ الدين ابن قاضي قضاة مصر والشام الشهاب بن الفرغور .

ولما تمّ الدرس بعد أذان الظهر قرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى ، وصلينا الظهر ، وسرنا الى قصر القاضي أكمل الدين ابن مفلح الذي تمسكه بعده وزاد فيه زيادة حسنة القاضي يوسف بن يوسف بن كريم الدين ، رئيس الكتاب ، يومئذ بمحكمة الباب ، بدمشق المحميّة ، والقصر المذكور في مقابلة دار الحديث الأشرفية بالصالحية . وإنه الآن قصر عليه المحاسن . (١٨٠ ب) وجرى في نواحيه ماء غير آحين . يترآى منه الروض الأريض ، ويتمشى بين غصونه النسيم المريض . فأقمنا به بقية يومنا وكان يوماً مشهوداً ، وكان وفته بعون الله تعالى مسعوداً . ومدّ في القصر المذكور سماًطاً حافلاً ، وكان لنفائس الأطعمة كافلاً . وجلسنا للمذاكرة ، وتجادب أطراف المشاعرة .

فقلت ، وقد صعدت من سلم المكان المذكور وهو عالٍ الى الغاية ،  
كثير الدرج الى غير نهاية :

أصبحتُ شيخاً كبيراً لا أستطيع النهوضا  
فقال المدرس مولانا الشيخ عبد الرحمن مجيزاً :

وَقَدْ رَمَانِي زَمَانِي بِمَا يَذُودُ الْقَرِيضَا

أَلْقِي الْقَرِيضَ فَأَلْقَى دُونَ الْقَرِيضِ الْجَرِيضَا

فقال الشيخ يوسف المذكور أعلاه مجيزاً لذلك :

لَا يَطْبِينِي مَحَلٌّ لَوْ كَانَ رَوْضًا أَرِيضَا

مَا إِنْ تَمَنَيْتُ شَيْئًا إِلَّا وَجَدْتُ النَّقِيضَا

وقال الشيخ عبد الرحمن :

أَهَا لَبِيضٍ لِيَالٍ غَازَأْتُ فِيهِنَّ بِيضَا

فقلت بعد هذا البيت :

وَشِمْتُ أَجْفَانَ لَحْظٍ سَلَّتْ مِنْ السُّودِ بِيضَا

سُقِيًا لِأَيَّامٍ وَضَلِ وَرَدْتُ فِيهَا الْبَرِيضَا

فقال المدرس :

مَعَ كُلِّ يَوْسُفٍ حُسْنٍ قَدْ كُنْتُ فِيهِ حَرِيضَا

مَا لَاحَ لِلغَيْدِ إِلَّا وَجَدْنِي فِيهِ الْمَحِيضَا

فقال الشيخ يوسف :

آيام ماء ملامي من لاعج الوجد غيضا

وقال مولانا الشيخ عبد الرحمن :

كم زرتُ فيها حبيباً وقد عدتُ البغيضا

(٢١٨١) وكم يدُ الوصلِ فيها أسدتُ نداءً مُستفيضا

واهاً لها من ليالٍ لو أمكنتُ أن تؤوضا

أقضي بهن حقوقاً فانتُ وكانتُ قروضا

وقلتُ :

مذُ شمتُ بارقَ ثغري للدمع أضحي مفيضا

ركبتُ من خيلِ شوقي طرفاً من الدهر ريضا

أرجو لصحةِ جسمي طرفاً صحيحاً مريضا

فالعظمُ مما أُلقي أمسى كسيراً مهيضا

شاهدتُ من برقِ شبي عند الصباح وميضا

يا ربُّ لطفاً بعدِ يشكو زماناً ععضوا

وقال المدرّس :

أوهي عمادي وأبقي طرفَ اعتمادي غضيضا

وكم عوارض دهرٍ زادت لدي العروضا

أغرَّت عليّ ذوي الجهم — قَضَّهم والقضيضَا  
لما رأوني أُجَّي في المشكلات الغموضَا  
وإن أتوا بمقالٍ أظهرتُ فيه الدُحوضَا  
حباهمُ الدهرُ رفعاً وسامَ حظي حضيضَا  
لكن من الله أرجو نَصراً وجاهاً عريضَا  
فالله إن شاءَ أضرى على الأسودِ البعوضَا  
وفضلهُ فاضَ حتى عمَّ الأنامَ فيوضَا

وبما أنشدني المولى المدرّس المذكور من لفظه لنفسه هذه القصيدة  
الفريدة ، ومن خطه نقلتُ يوم الجمعة ثامن ذي القعدة الحرام من  
شهور سنة سبع عشرة بعد الألف :

سأطمس آثاراً هوائى آثارها  
وأنفضُ من ذيلِ الفؤادِ غبارها  
لقد آن صحوي من سلافِ صَبَابَةٍ  
فقد طال ما خامرت جَهلاً خمارها  
(١٨١ب) هجرتُ الهوى والزهرَ حتى اشتياقه  
وطيبَ ليالي اللهبِ حتى أدّ كارها  
وعفّيتُ سُبُلَ الهزلِ بالجدِ مقلعاً  
وعفّتُ مسرّاتُ جنيتُ ثمارها  
أنامُ كُفيتُ اليومَ بالتركِ شرّها  
لعلّ غداً في الحشرِ أ كفى شرارها  
قطفتُ أزاهيرَ الصَّبَابَةِ في الصبا  
وقد صار عاراً أن أشمّ عرارها

فلو صائدات القلب أقبلن كالمها  
وقد كنت أودعت الحجبى فاسترده  
وكان شبابي شب نار صبابي  
ترى شيبتي ما عذرها لشببتي  
تبسم ثغر الشعر فيها تعجباً  
فما زار وكر الشعر فيها غرابه  
عسى الآن عا قد عثرت إنابة  
عسى رحمة أو نظرة أو عناية  
عسى نفحة من نور نور معارف  
ويشرح صدري نور علم مقدس  
وأمنح الطافاً من الإنس أبتغي  
ويكشف عن عين البصيرة حجبتها  
فيظهر لي سر الحقيقة مشرقاً  
فأحظى بحالات من القرب لم ينل  
ولطف إلهي قطب دائرة المنى  
وقبلن رأسي ما قبلت مزارها  
إلى النفس شيب قد أعاد وقارها  
فمذ لاح نور الشيب أحمده نارها  
وقد سبقت قبل الكمال عذارها  
لها إذ رأى ليل السبال نهارها  
ولا دار حتى استوطن الباز دارها  
يقيل بها للنفس ربّي عذارها  
يتم سعودي في سعودي منارها  
تهب فتختار الفؤاد قرارها  
يريني أسرار العلوم جهارها  
خفاها فيأبى الوجد إلا اشتهارها  
بأنوار عرفان تزيح استتارها  
على ظلم الكون التي قد أنارها  
فتى باجتهاد فضلها وفخارها  
فإن عليه في الأمور مدارها

وله أيضاً في المعنى :

قد شابَ فَوْدِي حينَ تابَ فَوَّادِي      فكأنما كانا على ميعادِ  
حسنُ الخواتِمِ أرتجِي من مُحسِنِ      قد جادَ لي قدماً بحسنِ مبادِي  
وعماديَ التوحيدُ فهو وَسيلتي      في نَيْلِ ما أرجوه يومَ معادي  
إن قيلَ أيُّ سفينةٍ تجري بلا      ماءٍ وليس لأهلِها من زادِ  
قُلْ رحمةُ الرحمنِ منَ أنا عبدهُ      تسعُ العبادَ فَمَنْ هو ابنُ عمادِ

## ١٣٨

الشيخ عبد الله المصري الحنفي<sup>(١)</sup>

(٢١٨٢)

هو الشيخ الصالح الفاضل ، والعالم العامل الكامل ، عبد الله المصري الحنفي ثم الدمشقي . ورد الى دمشق في حدود سنة خمس وسبعين ، فسكن في صالحيتها بالمدرسة العمريّة . وكان يحفظ كلام الله تعالى ، غير أنه كان من الفقر في رقبة لا منتهى لها ، ولا أمد لمتهاها . وكان حال إقامته بالصالحية يتقوت بنخب المدرسة العمريّة . ولم يزل على ذلك إلى أن ورد إلى دمشق قاضي القضاة محمد بن سنان ، فلازمه وكاله ، وحادثه وباتمه ، وقال له : بلغني أنك مالكي المذهب ولست بحنفي . فقال له : ليتني كنت مالكياً ، فإن مذهبي لو كان مخالفاً لمذهبكم لما 'لستكم على عدم الالتفات إلي' ، ولكن جمعتم عليّ الإعراض والموافقة في المذهب . فضحك قاضي القضاة من كلامه . وعلم بذلك طريق اقدمه ، وسبيل مراده ، وميّز بين وداعه وسلامه .

وكانت له مهارة في علم النحو ، وفي بعض فقه الحنفية . وكان حسن الأخلاق . مطاوعاً لما تقول به الرفاق ، مثابراً على ما يكون به الارتفاق ، مؤثراً لما يكون سبباً للائتلاف والوفاق . وكان ضاحك السن بين أصحابه ، عادم الكلفة في معاشرته أحبابه .

سكن خارج دمشق في محلة القنوات وصار إماماً بالمدرسة الشاذبية . وكان مع ذلك يذاكر بعض الطلبة في تعليم بعض الفنون من العربية والفقه

(١) هذه الترجمة وردت في ب بد ترجمة الشيخ علي النكاوري ، .

وما أشبه ذلك ، وكان مع فقره لا يخلّ بضيافته من يمرّ به من الإخوان ، بل كان في الغالب يحضر له ما به ضياء العيون من قرى الخلائق . وتزوج بدمشق مرة بعد أخرى . وكان يظهر كمال التشوق إلى زيارة البيت الحرام ، والتثام ثرى النبر الشريف ، على جرهره الفرد الصلاة والسلام . وسمّيته يلهج بهذه الكلمات :

أرى نفسي بأشواق رهينته لقبرٍ قد ثوى وسط المدينة  
وللبيت الحرام وما حواه من الدرر المعظمة الشمينه  
فاتفق أنه حجّ سنة خمس وتسعين في ما أظن ، فتوفي بين الحرمين بعد أن حجّ وطاف ، وتشرف بتقبيل الشامة التي زينت وجه المطاف .  
قلت : ( ١٨٢ ب ) وقد اتفق مسيرنا إلى جهة القنوات من محلات دمشق المحروسة ، فأدركتنا صلاة الظهر بمدرسة شاذبك ، فصلينا هناك ، وإمامها يومئذ الشيخ عبد الله المصري المذكور . فلما سلّمنا عليه وتصافحنا نظم أبياتا يشير بها إلى الفقير كاتب الحروف حسن بن محمد البوريني ، ولم تكن الأبيات كلها قابلة لأن نودع في هذا الكتاب ، فكتبنا ما ينتظم في سلك النظام ، وحذفنا ما هو من قسم القتاد أو القتام .

وهي هذه :

يا عالمَ العصرِ وبجرّ النوالِ      لازلتَ ترقى في بروجِ الكمالِ  
ولا برحتَ الدهرَ في سؤددٍ      ممتعاً بالسعدِ في كلِّ حالِ  
شرفني في ساعةٍ أشرقتُ      أنوارها منكم بحسنِ الجمالِ



وأشار إلى طلب الجواب ، فكتبت معتمداً على لطف الملك الوهاب :

أقسمتُ ما لذةُ يومِ الوصالِ      ولا وفاءَ الوعدِ بعد المطالِ  
ولا ابتسامُ الزهرِ إذ جادهُ      جودُ السحابِ الهاطلاتِ الثقالِ  
ولا تثنى الغصنُ إذ هيمنتُ      أرواحُ نجدٍ من صَباً أو شمالِ  
ولا اجتماعُ الشمْلِ بعد النوى      في غفلةٍ من حادثاتِ الليالِ  
ولا ارتواءُ القلبِ من منهلِ      يروي صدى الظمآنِ مثلَ الزلالِ  
ولا الوفا بعدَ الجفاءِ، والهنا      بعد العنا<sup>(١)</sup> ، والميلُ بعد المللِ  
أحسن من أبياتكم إذ أتتُ      تهدي الشفا للقلبِ بعد اعتلالِ  
يا حُسْنَهَا لما أتتُ تنجلي      وتثنى كالخودِ عند الدلالِ  
مولاي عَبْدَ اللَّهِ يا مَنْ له      قدرٌ جليلٌ حلَّ فوق الهلالِ  
يا جامعَ الألفاظِ يا مَنْ غدا      بين البرايا مُفرداً بالكمالِ  
شرفتُ مَنْ أضحى إكم مُخلصاً      ولم تزلْ ربُّ الوفا والنوالِ  
قرَيْتَنَا نُمَّتْ أَقْرَيْتَنَا      جوداً وفضلاً فاتِ عَدَّ الرمالِ  
هاذا هو الفضلُ وهذا الصفا      هاذا هو المجدُ وحسنُ الخصالِ  
مَنْ رامَ أَنْ يُلحِقَكُم في الورى      فإنه في الدهرِ رامَ المحالِ  
حالتُ صروفُ الدهرِ دون اللقا      والودُّ ما زالَ ولا الحبُّ حالِ

[١٨٣] جيدُ المعالي عَطَّتْ قبلكم لاكن بكم عَطَلُ الليالي حوال  
يا فاضلاً أوصافُ أفضاله ما شأنها الدهرُ بوصفِ اختلال  
أبرزتها في لحظةٍ والحشا تُرمى من الغيد بوقعِ النبال  
حديقة أمطرت أرجاءها سحائب الأفكار عند انهمال  
فكرٌ ولاكن فاقَ حدَّ الظبا ونارُ فهمٍ قد عَلَتْ باشتعال  
ما ضرّها إلا قصورُ الورى ولم تُقدِّم في الليالي الخوال  
فأسلمَ وكنُ يا سيدي واصلاً إلى علوٍ ما له من زوال  
ما غرّدت في الدوح قمريةً أو حركَ الغصنَ هبوبُ الشمال

قلت : وقد خلف ولدين هما محمد وأحمد ، فأما أحمد فقد اعتنى بتعلم  
صنعة السروج ، ولعلته يكتسب منها كفايته ويسلك فيها ويروج . وأما محمد  
فإنه سلك طريق الطلب للملوم ، ولم يكتسب منها إلا القليل على قدر  
القرائح والفهوم . وقد قال الأديب : النجيبُ من النجيبِ عجيبُ .  
والله تعالى هو السميع المجيب ، وهو اللطيف القريب .

عبد الله المغربي<sup>(١)</sup>

هو عبد الله بن الهاني المغربي ، شيخ الركب الوارد إلى الحج من المغرب في سنة عشرين بعد الألف من الهجرة النبوية ، على صاحبها ألف الف سلام ونحية . صدفته خارج المدينة المنورة في أوائل المحرم افتتح سنة إحدى وعشرين بعد الألف ، وكنت مع الركب الشاميّ و اردأ إلى طَيْمَبَةَ وكان المذكور خارجاً من طَيْمَبَةَ ذاهباً إلى بلاده . وكان الاجتماع بين آبار المدينة ومقابر الشهداء على الطريق ، ونحن على ظهور الدواب ، فتصاحبتُ معه ، فرأيتُه عاقلاً ساكناً . وكان من كلامه أن قال صادقتنا بكم السلامة ، وقابلتنا بوجودكم الكرامة .

وسألته عن مسكنه فقال : أنا في الأصل من القيروان الغرب ، ومنزلي اليوم في تونس . وهاذه الخدمة التي أنا فيها من جانب حكام آل عثمان في ديار افريقية .

وصادفتُ معه رجلاً من علماء الغرب من مدينة جرجه يقال له أبو القاسم فقلت له : سمعتُ أن في بلدتك قوماً من الناصبيين المبغضين لعلي رضي الله تعالى عنه ، فهل بقي منهم أحد ؟ فقال : لا ( ١٨٣ ب ) وكان جوابه خفيفاً . وبحثتُ معه في المنطق ، وفي شيء من مقاصد البلاغة ، فرأيتُه متعنناً في الجواب . متحرفاً عن جهة الصواب ، وحققتُ أنه منحرف الاعتقاد . وأنه يظهر زَيْفُهُ عند الانتقاد ، وعلى الله تعالى الاعتماد .

(١) وردت هذه الترجمة في ب بعد ترجمة عبد الله المصري .

## ١٤٠

### الشيخ عمر القاري

أخونا هذا الشيخ عمر الشهير بابن القاري . سَلَفُهُ كَلَّمَهُمْ تِجَارَةً لَهُمْ  
أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ ، وَثَرَّةٌ غَزِيرَةٌ وَنَشَأَ الشَّيْخُ عُمَرُ هَذَا فَاضِلًّا ، قَرَأَ وَدَأَّبَ  
وَحَصَلَ الْعَرَبِيَّةَ بِإِتْقَانٍ ، وَالْمَعَانِي وَالْبَيَانَ ، وَنَظَرَ فِي الْأَصْلَيْنِ نَظْرًا  
كَامِلًا وَتَفَقَّهُ .

فَأَمَّا الْعَرَبِيَّةَ فَاسْتَاذَهُ فِيهَا وَفِي الْمَعَانِي وَالْبَيَانَ شَيْخُنَا الْعَلَمَةُ الْعَمَادُ الْحَنْفِيُّ .  
وَأَمَّا الْأَصُولَ فَقَدْ قَرَأَ « جَمْعَ الْجَوَامِعِ » لِلْسَّبْكِ ، مَعَ « شَرْحِهِ لِلْمَحَلِيِّ »  
عَلَى شَيْخُنَا الْعَلَمَةِ إِسْمَاعِيلِ النَّابِلِيِّ الشَّافِعِيِّ .  
وَأَمَّا الْفِقْهَ وَاللُّغَةَ فَقَدْ قَرَأَ فِيهِ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ الشَّيْخُ نُورُ الدِّينِ الْأَنْسَفِيُّ .  
وَكَتَبَ الْخَطَّ الْحَسَنَ عَلَى الشَّيْخِ الصَّالِحِ مُحَمَّدِ الْحُرْسْتَانِيِّ نَزِيلَ دِمَشْقَ ،  
وَبِالْجَمَلَةِ فَهُوَ مِنْ مَحَاسِنِ فَضْلِهِ الزَّمَانِ . وَلَهُ مَعَ ذَلِكَ شِعْرٌ لَطِيفٌ . وَنَثَرٌ  
نَظِيفٌ . وَنَشَأَ فِي نِعْمَةٍ وَافِرَةٍ ، وَخَيْرَاتٍ مَتَكَثِرَةٍ . وَأَبُوهُ مُحَمَّدُ الْقَارِي  
كَانَ صَالِحًا مَتَقَشِّفًا ، وَلَمْ يَكُنْ خَالِيًا مِنْ فَضِيلَةٍ .

حَضَرَتْ مَعَهُ عَلَى شَيْخُنَا الْأَسْتَاذِ الْعَالِمِ الْعَامِلِ لِلْعَمَادِ الْحَنْفِيِّ فِي الْمَدْرَسَةِ  
النَّاصِرِيَّةِ الْجَوَانِيَّةِ ، وَقَرَأَتْ الْمَعَانِي وَالْبَيَانَ عَلَى الشَّيْخِ الْمَذْكُورِ ، وَكَانَ قَارِنًا  
لِذَلِكَ الْعِلْمِ أَيْضًا .

وَاجْتَمَعْنَا أَيْضًا فِي قِرَاءَةِ « شَرْحِ الْمِفْتَاحِ » لِلْسَّيِّدِ الشَّرِيفِ الْجُرْجَانِيِّ

في مدوسة درويش باشا الكائنة خارج دمشق ، في محلة باب الجابية ، على شيخنا الأستاذ العالم الكامل إسماعيل النابلسي الشافعي .

وقرأ في آخر طلبه الحسابَ على الشيخ محمد التنوري الميداني .

وقرأ علمَ الهيئة على الشيخ محمد البغدادي نزيل دمشق .

وهو الآن يغلب عليه المكث في بيته بالقرب من مأذنة الشحم .

ودرّس بالجامع الأموي المعمور ، وبالمدرسة الشامية الجوانية . وهو

وجودٌ بين عَمدَين ، وَجَوهَر بين عَرَضَين . لأن والده لم يكن عالماً

كما ذكرنا ، وكذلك ولده لم يتبع والده ولم يرث طريفه ولا تالده .

والشيخ عمر المذكور مع فضيلته التامة ، وعلومه العائمة ، لم يربّ طالباً

( ١٨٤ آ ) يكون به مخصوصاً ، وذلك لميل نفسه الى الانفراد ، ولعمري

إنّ رأيه هو الرأي الذي عليه الاعتماد . أنشدني مرة في منزله لرجل

يقال له مكلبة المستنجدى وليس الشعر لمكلبة وإنما سمع المؤذن في آخر

الليل يقول :

يا رجالَ الليلِ جدّوا      وُبّ صوت لا يُردُّ

ما يقومُ الليلَ إلاَّ      مَنْ لَهُ عَزْمٌ وجدّ

قال لي فبكى مكلبة وقال للمؤذن زدني فأنشده :

قد مضى الليلُ وولّى      وحبّيبى قد تجلّى

قال : فصاح مكلبة ووقع ميتاً ، فأصبح الناس على باب داره معتقدين

وقطعوا كفته اعتقاداً .

قلت : ولما ذاكرني الشيخ عمر بهذه الأبيات قلت له : سمعتُ من  
مؤذنين أصله من مدينة بيروت ينشد في ركب الحجيج الشامي آخر الليل  
عند قيامنا عن منزلة خليص بين الحرمين هذين البيتين :

أقبل الصبحُ ضاحكاً يتجلى      جلّ ربّي جيشُ الظلامِ تَوَلَّى  
يا أهيلَ الحمى توضحوا فضاوا      أفلحَ اليومَ مَنْ تَرْضَى وصلّى  
وكان ذلك في جمادى الآخرة من سنة اثنتين وعشرين بعد الألف .

### الشيخ علاء الدين الطرابلسي

الشيخ الصالح ، البركة الفالح المقرئ المحدث ، الحافظ علاء الدين علي الطرابلسي ثم الدمشقي الحنفي ، إمام الجامع السليمي بالصالحية ، من نواحي دمشق الحمية .

كان من الصدر الأول ، ومن عليه في القراءات المعول . وكان أولاً تابعاً لمذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله تعالى عنه ، ثم انتقل الى تقليد الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ، وصحب قاضي القضاة ابن عبد الكريم ، وكان القاضي المذكور متعصباً على الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه فوافقته على مراده ، وتابعه على اعتقاده وقد اجتمعت به في الصالحية ، بدمشق الحمية يوم الخميس رابع المحرم الحرام ، افتتح شهور سنة سبع بعد الألف ، وذلك في منزل صاحبنا الشيخ محمد بن المرزقات الحنبلي . فنداكرنا شيئاً من التاريخ إلى أن أنجز الكلام الى ذكر الحسين رضي الله تعالى عنه وما يحين به ، (١٨٤ب) وما صار إليه مع مَنْ مَعَهُ من آل البيت النبوي على صاحبه ألف ألف تحية وألف ألف سلام .

فقال لي الشيخ علاء الدين المذكور رأيت في « ديوان المولد » الحافظ المحدث الشيخ ابراهيم الناجي هذه الأبيات فحفظتها ، وهي لبعض أهل العراق :

أحسينُ والمبعوثِ جَدُّكَ بِالهُدَى      قَسْماً يَكُونُ الْحَقُّ عَنْهُ سَائِلِي  
لو كُنْتُ شَاهِدَ كَرِّ بَلَا لَبَدَلْتُ فِي      تَنْفِيسِ كَرِّ بَكَ فَوْقَ جُهْدِ الْبَاذِلِ

وَسَقَيْتُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَعْدَائِكُمْ عَلَّامًا وَحَدُّ السَّمْعِيِّ الذَّابِلِ  
لَكُنِّي أُخْرْتُ عَنْكَ لِشَقْوَتِي فَبَلَّابِي بَيْنَ الْغَرِيِّ وَبَابِلِ  
هَبْنِي حُرْمَتُ الطَّعْنِ فِي أَعْدَائِكُمْ فَأَقْلُ مِنْ حُزْنٍ وَدَمْعِ سَائِلِ

وُلدَ (١) مولانا الشيخ علاء الدين المذكور على ما أخبرني به من لفظه  
في التاريخ المذكور في صبيحة نهار الجمعة مستهل شوال سنة خمسين وتسع  
مئة . وقرأ القرآن على مشايخ منهم والده الشيخ ناصر الدين الطرابلسي  
إمام الجامع الأموي ، وعلى شيخ الاسلام ولي الله تعالى الشيخ الشهاب  
الطبي الكبير ، وعلى الشيخ عبد الوهاب إمام الحنفية والشيخ شهاب  
الدين الأيدولي إمام الجامع الأموي على مذهب الشافعي رضي الله تعالى  
عنه ، وعلى الشهاب الفلوجي الإمام أيضا بالجامع الأموي على مذهب  
الإمام الشافعي رضي الله عنه . وجمع القراءات السبع ثم العشر أيضا  
على المشايخ المذكورين أعلاه وقرأ الفقه على مذهب الإمام الأعظم أبي  
حنيفة رضي الله تعالى عنه على الشيخ عبد الوهاب المذكور وأخبرني أنه قرأ  
عليه كتاب ( كنز الدقائق ) في الفقه بطرفه وقرأ ( صدر الشريعة ) بطرفه  
أيضا على شيخه وشيخنا الشيخ نجم الدين البهنسي خطيب الجامع الأموي  
ومفتي الحنفية بدمشق . وقرأ عليه أيضا ( شرح المنار ) في أصول فقه  
الحنفية ، وقرأ الفرائض على شيخها على الاطلاق الشيخ محمد النجدي  
الحنبلي الفرضي بالمدرسة العمرية بالصالحية ، وعلى الشهاب العلوي الملقب  
بشكاره والد الشيخ يوسف العلوي الشاعر المذكور في هذا المجموع .

(١) من هنا إلى قوله « قلت : واستمر الشيخ » لا يوجد في ب .



وقرأ علم الحساب والجبر والمقابلة مع الهندسة ( ١٨٥ آ ) على الشيخ عبد اللطيف بن الكيخال الموقت بالجامع الأموي وأخذ عنه كثيرا في علم الفلك ، وأخذ قواعد علم الفلك حتى مهتّر في الفن المذكور على الشيخ العلامة أبي بكر تقي الدين الصهبوني المذكور في تاريخنا هذا . وأخذ الحديث روايةً ودرايةً على شيخ الاسلام ، وبركة الأنام ، ملحق الأحفاد بالأجداد ، الشيخ البدر الغزي المذكور في تاريخنا هذا ، وهو الآن في دمشق واحدها في القراءات والفرائض والحساب والميقات والفلك وحسن الأداء للقراءات . وأخذ علوم العربية عن شيخنا شيخ الاسلام العماد الحنفي في تاريخنا ، وعن شيخنا شيخ الاسلام الشمس بن المنقار وعرض ألفية ابن مالك في النحو على شيخ مشايخنا شيخ الاسلام الشيخ علاء الدين بن عماد الدين الشافعي رحمه الله تعالى ، وشرح فرائض الكتاب المسمى ( بملتقى الأبحر ) وسماه ( سكب الأنهر على فرائض ملتقى الأبحر ) . والثف مقدمة في علم التجويد سماها ( المقدمة العلائية ، في تجويد النلاوة القرآنية ) ، ونظم أسئلة تتعلق ببعض المشكلات والألغاز في القراءات العشر وسماها ( الألغاز العلائية ) وعدة أبياتها مئة وستة وعشرون بيتا ، ولم يبحث عنها أحد إلى الآن هكذا أملاني في التاريخ المذكور أعلاه من لفظه ، وعمره يوم الإملاء المذكور سبع وستون سنة ، فسح الله تعالى في مدته . وليّ تدريس الدولعية بدمشق واليونسية بها أيضا ، والكوجانية ، والضيائية وتدرّس بقعة بجامع بني أمية . وهو إمام الحنفية بجامع بني أمية . وله به كرسي وعظ في الأشهر الثلاثة ، وغير ذلك من الوظائف الدينية . بارك الله تعالى في عمره ، كما بارك في قدره . قلت : واستمر الشيخ المذكور مقيماً بالصالحية إماماً في المدرسة السليمية . الى أن توفي في حدود سنة تسع بعد الألف تقريبا ، وكان ينظم الشعر الكثير ، ويرد من النظم موارد باردة في حرّ الهجير . فعليه رحمة الملك القدير ، ورحمنا معه إنه لطيف خبير .

القاضي علي الخفاجي <sup>(١)</sup>

هو علي بن محمد الخفاجي ولد بمكة المكرمة وسكن المدينة المنورة  
( ١٨٥ ب ) على ماكنها أفضل الصلاة وأتم السلام وهو يوم تاريخه  
بدمشق المحمية .

تولى القضاء بمدينة عدن باليمن وذلك في سنة عشر بعد الألف من  
الهجرة النبوية ، على صاحبها الف الف صلاة وسلام وتحيية . وكانت  
توليته من جانب سلطان الاسلام . حامي حى البيت الحرام ، السلطان أحمد  
خان . ابن المرحوم السلطان محمد ابن المرحوم السلطان مراد بن السلطان  
سليم العثماني ، مَلِكِ الأَرْضِ ، أطال الله تعالى عمره ، وأعزّه في دين  
الاسلام نصره .

اجتمعت به في دمشق بمنزلي في زقاق النحاسين على نهر بردى ،  
داخل باب الفراديس ، وأنشدني للامام الشافعي رضي الله تعالى عنه :

رِزْقِي تَشْتَتَ فِي الْبِلَادِ وَإِنِّي أَسْعَى لْجَمْعِ شَتَاتِهِ وَأَطُوفُ  
فَكَأَنِّي قَلَمٌ بِأَنْمُلِ كَاتِبٍ وَكَأَنَّ رِزْقِي فِي الْبِلَادِ حُرُوفُ  
وكان ذلك الانشاد والاجتماع في يوم الأربعاء خامس شهر ربيع  
الثاني من شهور سنة ثلاث وعشرين بعد الألف من الهجرة النبوية ، على مهاجرها  
ألف ألف صلاةٍ وألف ألف تحية .

(١) وردت هذه الترجمة في «ب» بعد ترجمة الشيخ عمر القاري ، ، وقبل ترجمة  
الشيخ علاء الدين الطرابلسي . وفيها اختلاف في اللفظ

١٤٣

الملاّ علي الكنكاوري (١)

هو علي الكنكاوري الشهير بعزمي . وكنكاور (٢) من توابع همدان .  
ورد دمشق الشام ، وبها قطن واقام . وكان كاتباً بقلم نسخ التعليق ،  
وخطه في ذلك حسن الى الغاية .  
ومن نظمه بلسان الفارسيّة (٣) :

چِهْ خُوشَسْتْ آزْ تُوْكَاهِي فَظَرِي بِنَازْ كَرْدَنْ (٤)  
بِرُخْ شِكْسْتَهْ حَالِي دَرِ قَيْضْ بَازْ كَرْدَنْ (٥)  
بِرَهْتْ چُوخَاكْ هَسْتَمْ زِ سَرَمْ عَنَانْ مَكْرَدَانْ (٦)  
نَسِرْدْ زِ خَاكْ رَاهِي دَمِي اِحْتِرَازْ كَرْدَنْ (٧)

(١) في الاصول « الكناوري » . وقد أفادني الدكتور محمد محمدي استاذ كرسي الأدب  
الفارسي بالجامعة البنائية أن الصواب « الكنكاوري » نسبة الى « كنكاور » بليدة  
بين همدان وكرمانشاه .

(٢) في الاصول « وناكاور » .

(٣) هذه الأبيات كان فيها تصحيف كثير . ضبطها لنا الدكتور محمدي وعقل لنا معناها  
الى العربية .

(٤) معناه : « ما أظف نظرة متدائلة منك ، من حين الى آخر »

(٥) معناه : « وفتح باب الفيض لوجه (عاشق) كسير الحاطر »

(٦) معناه : « أنا في طريقك تراب ، لانتحوّل العنان عني »

(٧) معناه : « لا ينبغي لحظة التجنب عن تراب الطريق » .

وله :

خَاكَمَ بِهَوَايِ طَوْفِ آن كُويِ دُنْبَالِ صَبَا دَوِيدَنِي دَاشْتُ<sup>(۱)</sup>

وله :

أَشَكَّ كَلَكُونِ كَهْ أَزْ رَوْنَقِ دَامَانِ مَنَّسْتُ<sup>(۲)</sup>

كُوهِ وَرَدَمَ مِنْ وَأَيْنِ لَا لِهِ وَنُعْمَانِ مَنَّسْتُ<sup>(۳)</sup>

وله :

دِلِ هَوَادَارِ غَمِ دُونَسْتِ شُدُوهمْ أَزْ دُونَسْتِ<sup>(۴)</sup>

هَرَدَمَ آيَدِ غَمِي أَزْ نُوْ بِهَوَادَارِي دُونَسْتِ<sup>(۴)</sup>

وُلد تقريباً في سنة اثنتين وسبعين وتسع مئة .

قلتُ : وقد عرض طاعونٌ عظيمٌ في سنة ثمانية عشر بعد الألف ، نسأل الله تعالى السلامة والعناية ، وإزالة ذلك بعبونه وعنايته ، ولطفه ورحمته . فاتفق أن الملاّ علي المذكور طعن في صباح يومٍ ، فما جاء مساؤه إلاّ وقد سلم الروح إلى معدنها الأوّل ودُفن في تربة مرج الدحداح بدمشق المحروسة .

وقد كان ساكناً في محلة القيمرية ببیت محمد أفندي السابقي صاحب دفاتر دمشق سابقاً . وكان صاحب الترجمة عديم النظر في خط النسخ التعليق ، وكان يكتب الدواوين اللطيفة الفارسية الرقيقة . وكان له فهم سليم في الشعر الفارسي المليح ، حسن الخُلُق ، ساكناً ساكتاً إلاّ وقت الضرورة . رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وَبَرَدَ بِمِياه الغفرانِ مضاجعه .

(۱) معناه : « كان لتراحي ركضٌ وراء نسيم الصباشوقاً لطواف حول ذلك الحمي »

(۲) معناه : « دمع الجبل الأحمر من رونق زبلي »

(۳) معناه : « فأنا جبل الورد وهذه سوسني وشقائقي »

(۴) ذكر لي الدكتور محمدي أن معنى هذين البيتين لا ينقل الى العربية بدقة ، وإنما

يدرك بالفارسية بسهولة .

### الشيخ عبد النافع الحموي الحنفي<sup>(١)</sup>

نشأ هذا الرجل بمدينة حماه ، ولم يكن شيء سوى الفضل قد صانه  
وحماه لأن والده كان من آحاد الناس ، ولم يكن منصفاً بشدة ولا نجدة  
ولا باس . ونشأ ولده هذا ذكياً لبيباً قد حاز من الفضل حظاً وافراً  
ونصيهاً . طبيعته تنظم الشعر الرقيق ، وتنتثر الدر الذي ينحور الخرائد  
يعجب ويذوق . وحصل من الفقه طرفاً صالحاً ، وكان طرف هجوه  
في ميدان القباحة جامعاً . ولم يكن الى غير السفاهة جانحاً . فلذلك لم  
يكن في عمره ناجحاً . وذلك أنه كان خامل الذكر في بداية أمره ، وكان  
ساقط الرتبة في أول عمره فخدم القاضي محمد بن الأعوج بإقراء أولاده  
القران ، فعماه في حماة عن أن تصل اليه يد العدوان . وجعله كاتباً في  
محكمة المدينة المذكورة . وألقى عليه أثواب القبول وشرف  
حججه المستورة .

ثم إنه ترقى (١٦٨ ب) الى أن أفق على مذهب النعمان ، وانفرد  
بالتقوى من حصص الى معرفة النعمان . وشاع ذكره في الأقطار . ونقل  
الناس بعض ما قاله من الأشعار ، لكن كان بذي اللسان ، لا يحفظ الإحسان  
بل لا يهجو في الغالب إلا من أحسن إليه ، ولا يخص بهجوه القبيح  
إلا من أمطر سحاب إحسانه عليه .

اجتمعت به في مدينة طرابلس الشام ، حين ساقني اليها الملك العلام  
وشاقني منها برقها البسام . وبعثني من دمشق اليها باعش الشوق والغرام

(١) وردت هذ الترجمة في ب بعد ترجمة الشيخ عبد الله المغربي .

فكان يصاني بالزيارة على الدوام . ولم تكن مصاحبته في الأكثر إلا غيبة الأنام . وكان المفتي في طرابلس حينئذٍ مصطفى العكاري ، فكان يحط عليه ويحاهر بالخاصة ولا يُداري . وصدرت بينهما مخاصمة ، أدت إلى المكالمة ، وكادت تصير إلى الملاكمة . وقد شرحت ما دار بينهما من الخطاب في هذا الكتاب . فانظره فإنه من العجب العجيب .

قال لي في طرابلس : كان القاضي عبد اللطيف ابن القاضي محب الدين الحموي نزيل دمشق قاضياً في حماه ، وكان أميرها الأمير حسن بن الأعوج . فتظاهرا ، وتناصرا ، وتماضدا وتساءدا . ووافق ذلك جفرة من القاضي المذكور الشيخ عبد النافع ، فكتب إلى الأمير حسن هذين البيتين مشيراً إلى مظاهرة القاضي ، وصدر الحال بينهما على التراضي :

تَحَدَّتْ وَلياً جَاهِلاً ذَا مَذَلَّةٍ      وَقَدْ كُنْتُ لَا تَرْضَى وَلِيّاً مِنَ الذُّلِّ  
وَمَنْ يَتَّخِذُ نَسْجَ الْعَنَاكِبِ دِرْعَهُ      فَسَهْمٌ مُعَادِيهِ غَنِيٌّ عَنِ النَّصْلِ

قال : وقعت بيني وبين عبد اللطيف المذكور محاوره ؛ أدت إلى مكابرة ؛ في أثناء مكابرة . فكان من قول عبد اللطيف له : وأنت أينشك ؟ يريد شتمه بالتركية . مخلوطة بالعربية . يعني أنت أي أشك وأشك بلفظ التركية الحمار . وقصد عبد اللطيف بذلك أن يُظهر أنه قاضٍ من جهة سلطان الروم فيريد أن يتكلم بلغتهم .

وقد نقلت مقاله مفصلاً في الرحلة التي سميتها « المنازل الأنسية ، في الرحلة الطرابلسية » ( ١٨٧ آ ) وقد مدحني عند لقائه لي في طرابلس بهذين البيتين :

نظر الله لهذا الزمن يسمي ابن الوصي الحسن  
اسمه والذات والفعل معاً حسن في حسن في حسن

واجتمع في طرابلس بعبد النافع المتصوف الجاهل الحمصي ، فكان ابن سيفا الأمير يوسف يوده هذا الحمصي أكثر من ذلك الحموي . فاتفق أن الأمير المذكور أرسل لعبد النافع الحموي مالا من مرتبه على صدقات السلطنة بطرابلس الشام ، فأخذها الرسول الى عبد النافع الحمصي لاشترائك الاسم . فلما وصل الخبر الى عبد النافع الحموي قصد الأمير المذكور ، وقال له : يا مولانا ! اشترائك الاسم قد يضره ، وهذه دراهمي ذهبت إلى عبد النافع الحمصي ، لذلك فلا بد من تمييز يكون سبب رفع الاشتباه بيننا . فقال له الأمير : أنظر وصفا تميزا .

فقال له يا مولانا ، أنا أكون عبد النافع الشاعر - يشير الى أن يكون ذاك عبد النافع المشعور ، لأنه حمصي ، والمشهور أن أهل حمص مشعورون في العقل لتقصانهم فيه .

قال فضحك الأمير الى الغاية ، وأرسل ماله الذي ذهب الى عبد النافع الحمصي .

كتب الي ، وأنا بطرابلس ، هذا اللغز في بدر ، وهو قوله :

أمولاي بدر الدين ذا العلم والعلی وشمس الملاء والفاضل الكامل البحر  
نحاكم فقير سائلاً كشف مشكل فمن كل عشر عند حضرتكم يسر  
عن اسم ثلاثي مسماه مفرد ولم يخل من آثاره أبداً قطر  
يهل بلا صوت ويولد راعياً ولم يلحق الام التي ولدت ضر

ومولده لم يَعدُ وقتاً معيَّناً ولكن تخطى أفاقه العصرُ والدهرُ  
ويبلغُ ثلثَ الأربعينِ أشدهُ ويهرمُ إذما زيد عن ثلثها العُشرُ  
يسيرُ بلا رجُلٍ ولم يعلُ مَرَكِباً وما فاتهُ في السَّيرِ برٌّ ولا بحرُ

فكتبت اليه الجواب ، ورسوله واقف بالباب :

أمولاي يا مَنْ وصفه المجدُ والفخرُ وَمَنْ جوده بحرٌ وجودُ الحيا قطرُ  
ويا مَنْ له في كُلِّ علمٍ غلامَةٌ ويا مَنْ له في المحفلِ القلبُ والصدرُ  
(١٨٧ ب) بعثتَ قريضاً بل أزاهيرَ روضةٍ غدا دونها زهرُ النجومِ أو البدرُ  
وشرفتَ قدرِي بالسؤالِ وإنما جبرتَ فؤاداً كان من وصفه الكسرُ  
ورأسلتني والقلبُ فيه حرارةٌ ومباحال قلبٌ كان في ضمِّه جمرُ  
ولكن ضياءَ الفضلِ لاح من الذي بعثتَ وإن المسكَ في طيه النشْرُ  
فصعدتُ طرفي في سماءِ كماله فقاباني من أفقِ إقباله بدرُ  
فيا بدرَ حُسنِ قدبدا في علوها يلوحُ لأبصارِ الانامِ ولاسترُ  
طلبناك في ليلِ السُّطورِ تشوقاً وفي الليلةِ الظلماءِ يُفتقدُ البدرُ  
على أنْ من أنشاك بدرٌ مُكَمَّلٌ ترقى له قدرٌ على مَنْ له قدرُ  
فلا زال يُحيي ميّتَ الفضلِ دائماً بلفظِ غدا من دون رُتبته الدرُ  
مدى الدهرِ ما لاحت بروقٌ من الحمى فهاجتُ محبباً ليس في قلبه صبرُ



قلت : وعبد النافع هذا لسانه صلّ ، وليس له وفاءٌ لصديقي ولا  
خِلّ ، يهجو أهلَ الإحسان ، ويمطر سحائب السُّمِّ من ذلك اللسان .  
قد تقرر أن بني الأعوج سبب استقامته في حماه ، وأنه لم يزل تحت ظلِّ  
والدم وحماه . فهجّاه بعد ما رجّاهم . فلزم أتاه ضاق عليه حمى حماه  
فرحل عنه الى طرابلس الشام وتعدّاه . وكان رحيله إلى طرابلس بعياله ،  
وبأقباعه وأمواله . وكان حاكمها يومئذٍ الأمير يوسف بن سيفا . فمدحه  
وتقرب الى ظاهر خاطره . وكان له ضيفاً فقبله ظاهرا ، وظنّته ظاهرا .  
فرأى منه ما لا يرى . وقال : هذا برّاه الله تعالى أثقلَ من برّاه .  
فمقته وعبدسّ في ملقاه ، وأظهر له التعبيس عندما يراه . وأخذ يتعدى على  
القاطنين بطرابلس الشام . ويتكلّم في حق ابن سيفا بكلمات تذوب منها  
ودائع الهام . فمنعه الأمير المذكور من الفتوى ، وأخذ يترصد له مواقع  
البلوى . الى أن قضى الله تعالى بنهوض علي بك ابن جانبلاذ الى نواحي  
طرابلس محارباً لابن سيفا ، جالياً له رُمحاً وسهّماً وسيفاً . وذلك  
لكون ابن سيفا ابتدأه بالعداوة والعدوان ، واشترى الإذن بالركوب  
عليه من حضرة السلطان . وجلب إليه العساكر ، ( ١٧٧٧ ) وجمع له  
الجواهر ، وتحارب معه على حماه ، فكسر الله تعالى ابن سيفا ومنّ عاونه  
في مناه . ورجع برأس طمرة والجسام . وانقلب بسوء منقلب  
ومرام . فتبعه ابن جانبولاذ الى نواحي بلاده . فترك له طرابلس الشام  
على مراده . وسار في البحر راكباً سفينه . واستصب معه أمتعته الثمينة .  
فدخل بعض أقارب ابن جانبولاذ الى طرابلس ناهباً لأموالها . مفترقاً  
رجالها عن عيالها . فكان عبد النافع المذكور عنده من أعوان الظلمة .  
وخاصم بسمايته كل من جارّ عليه وظلمته .

فلزم أن ابن سيفاً ، سارَ به البحرُ الى ساحل حيفا ، ورجع إلى بلاده بعد رحيل ابن جانبولاذ عنها ، وأخذ ما أخذه من أهلها ومنها . فلم يكن له هم سوى إهلاك عبد النافع . وإزالة ماله من الأموال والمنافع . فلم يظفر به لهربه ، بعد خوفه على روحه ورهبيه . وقد أخفته في محل الغائط امرأة شيطان عجوز . وقالت : هذا من أهل العلم فقتله لايحوز . وخرج من محل الخارج ، وغير صورته خوفاً أن يقتل كالخوارج وقتل رجل من أصحابه ، وصلب قريباً من بابه . وهو محمد البعلی المؤذن بطرابلس الشام . واستمر عبد النافع خارجاً من البلد عليه ظلام ، فوصل مستخفياً الى حلب . والى ابن جانبولاذ أداه الهرب . وبقيت عياله في طرابلس ، وأملاكه في حماه ، ووجهه في حلب . وأنشد فيه بعض الأفاضل متمثلاً :

في قري مضرَ جسمه ، والأصيحاحا ب شاماً ، والقلبُ في أجساد

فمات في حلب في إحدى الجماديين من شهور سنة ست عشرة بعد الألف . واستمرت أولاده في طرابلس مقيمين . والمقدّر واقع لا يفوت  
وما تدري نفسُ ماذا تكسبُ غداً ، وما تدري نفسُ بأي أرض تموتُ ﴿١﴾

## القاضي عبد اللطيف المحبّي

هو عبد اللطيف ابن المرحوم العلامة القاضي محب الدين ابن تقي الدين الحمويّ الأصل . قدم والدّه المذكور الى دمشق الشام واستوطنها ودرس أولا بالقصاعية الحنفية كما سيشرح<sup>(١)</sup> في ترجمته . وقد تزوج بنت المرحوم شيخنا الشيخ اسماعيل النابلسي الشافعي مفتي السادة ( ١٨٨ ب ) الشافعية . بدمشق المحميّة<sup>(٢)</sup> . والقاضي عبد اللطيف أمّه حموية .

قرأ على أبيه ، ثم على بعض موالى الروم ولازم مفتي الروم المولى شيخ الاسلام محمد أفندي الشهير بجوي زاده . وجاور بكة المكرمة ، ودرس بها ، ثم بعد ذلك سلك طريق القضاء إلى أن صار قاضياً بحماة ، ثم استوطن دمشق وصار قسّام العسكر مرارا ، وناب ما بين عن بعض الموالى . وقد حسنت سيرته في ذلك جداً .

وكان متعففاً متورعاً متصلقاً .

وبنى بيتاً ، وكان موضع البيت خاناً للخرفان بدمشق . وكان وقفاً على مكتب الأيتام بدمشق الشام ، فاشتراه وأعطى الثمن لمن أكله . والبيت المذكور في سوق السيور ، في قبلة باب الزيادة من جامع بني أمية ، وسكنه وما سكن فؤاده .

(١) ب « يشرح » وقوله « كما سيشرح في ترجمته » لا توجد في هـ

(٢) « المحمية » لا توجد في هـ

درس بالشامية البرانية مع أنه حنفي ، والمدرسة المذكورة مشروطة  
لأعلم علماء الشافعية . ولقد ابتدأ ذلك (١) والده ، وتبعه ولده (٢) . وقد  
أرسلت للفقير المدرسة الشامية البرانية ، من دار السلطنة العلية قسطنطينية  
وكان المرسل لها المولى أحمد أفندي ابن المرحوم القاضي عبد الغني  
أفندي ، لأنه كان قاضي العساكر في جانب أنطولي ، ودمشق داخلة  
فيها [ ولما وصلنا منشور المدرسة فتحنا بها باب الاغلاق ، وجمعنا الفضلاء  
على دروسها بعد الافتراق ] (٣) . ثم سمي فيها عبد اللطيف چلي  
المذكور بالمال . وبالله لقد أرسل إليّ بعض توابه 'مخاطبني على أن يدفع  
لي أربع مئة غرش وأفرغ له عن المدرسة ، فما قبأت ، مع علمي بأن  
الجاهل الاياشي قاضي مكة سابقاً يسمي له عليها ويأخذها ، وذلك لأنه  
حنفي . وما كنت أخذتها إلا بشرط واقفتها أنها لأعلم علماء الشافعية  
فلو فرغت لخالف قولي فعلي .

ثم ان عبد اللطيف چلي المذكور مات بعد مجيء المدرسة له بنحو  
أربعة أشهر ، وكنت بالطمع الأشعيّ أظن أن القاضي يرسل إليّ تقرير  
المدرسة لموت عبد اللطيف چلي ، فما فعل ذلك ، بل أعطى المدرسة  
لشباب حنفي من توابه يقال له علي چلي . فإن كان أهلاً لها فقد وقعت  
موقعها ، وإن لم يكن أهلاً لها فقد ظلمها وظلم أهلها الذي طابق  
وصفه شرط واقفتها .

(١) في « وولد ابتدأ هذه الخطيئة والده »

(٢) في « زيادة » . . . . . ولده وتردّي وراءه في واديه ويقوم يوم القيامة بجواب  
ذلك عند باريه ، ويجواب البيت الذي بناه ، وتحمل وزره في بناء » .

(٣) زيادة من »

كتب لصاحب الترجمة الأستاذ العارف ( ١٨٩١ ) بالله تعالى سيدي  
محمد البكري الصديقي لما بينه وبين أبيه من المحبة شعراً :

أنت عبداً للطفِ أطفُ عندِي      من صَبَأَ في صَبَاحِ رَوْضِ أَرِيضِ  
لك أهديت غير شيء ولكن      ربَّما زَانَهُ اليك قَرِيضِي

وكتبتُ أنا اليه بهذه الأبيات مع رسالة الإمام القشيري رضي الله  
تعالى عنه حين ردَّ دُتَّها اليه بعد استعارتها منه في شهر رمضان من سنة  
سبع عشرة بعد الألف :

يا مَنْ له صدقُ المقالة      أرسلتُ نحوكم الرِسالَةَ  
فَقَطَّفتُ من أزهارها      ما يُكسِبُ الطبعُ اعتداله  
وَجَنَيْتُ من ثمراتها      ما ليس تصحبه الملاله  
من لفظٍ كلُّه مكملٌ      ما شمت في الدنيا كماله  
ونصيحة من أهلها      يهوى الظلوم بها العداله  
هذي ثمارٌ أَيْنَعَتْ      مَنْ ذاقَ سكرها حلاله  
هدمي هدايةً من غدا      في الخلق يركب الضلاله  
فيها شمسٌ أشرقت      وتطلَّعتْ منها الغزاله  
فيها كرامٌ جودهم      في الدهر لن تلقى مثاله

يغدو بها ذا همّةٍ      مَنْ كَانَ يُوصَفُ بِالسَّفَالَةِ  
أَضْحَوْا نَزُولَ مَنَازِلِ      بَسَطَ النَّعِيمُ بِهَا ظِلَالَهُ  
وَأَمْتَدَّ فَوْقَ صَعِيدِهِمْ      حَلَّالَ تَرَقُّقِ بِهَا الْغِلَالَهُ  
مِنْ فَسْجِ كُلِّ خَمِيلَةٍ      أَبْدَى الرَّبِيعُ بِهَا كَمَالَهُ  
فَاسْلَمَ بِوَصْفِ سَعَادَةٍ      يَبْقَى وَلَا تَخْشَى زَوَالَهُ<sup>(١)</sup>

ثم إن<sup>(٢)</sup> القاضي المذكور في ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من صفر  
الحير لسنة ثلاث وعشرين بعد الألف خرج الى بستان له بقربة جوب بر على

(١) بعد هذه القصيدة في ب « ولما كان يوم الثلاثاء الثالث والعشرون من شهر ربيع  
الأول من سنة تسع بعد الألف ورد الخبر الى دمشق على يد ساع مغربي من  
دار السلطنة العظمى فسطنطينية الكبرى ، ومعه مرسوم شريف . واجب التعريف  
الى السيد محمد الشريف ، القاضي بدمشق بأنه عُزل عن قضاء دمشق ، وأعطى  
قضاء مكة المكرمة ، وأن قضاء دمشق قد أعطي للمولى نوح أفندي ابن المرحوم  
احمد أفندي ابن روح الله الأنصاري . وكان المولى نوح المذكور قاضياً بمدينة سنانيك  
(كندا) من بلاد روم ابلي ، وفي ذلك اليوم بعينه تحوّلت المحكمة الى مدرسة  
نور الدين الشهيد ، وناب في القضاء عن نوح أفندي المذكور عبد اللطيف جلبي  
مح عبد الدين أفندي صاحب الترجمة .

قلتُ : وقد مُدحت سيرة عبد اللطيف جلبي المذكورة جداً في قضاء البلد  
المعور ، والله تعالى هو الموفق والمعين ، وبه نستعين في جميع الأمور . اهـ  
(٢) في ب : « وفي ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من صفر الحير من سنة ثلاث  
وعشرين بعد الألف ، من الهجرة النبوية على مهاجرها ألف ألف تحية ، خرج  
القاضي عبد اللطيف المذكور ، نزل دمشق المحروسة ، دامت منارها المأنوسة  
الى بستان له . . . »

باب دمشق من الجهة الشرقية ، وأكل في البستان المذكور أكلة نفيسة  
وكان القاضي كمال الدين ابن الخطّاب القاضي المالكي خليفة بدمشق في  
باب القاضي الكبير في صحبته ، لأنه كان يألفه ، ورجعا قبيل الغروب من تلك  
الليلة . فصدفته قريبا من باب الحضراء راكبا وسلّم عليّ وكان بيننا برودة ،  
بسبب قدريس المدرسة المتقدم ذكرها ، وبمجرد دخوله الى بيته من  
تلك الليلة . مات فجأة الى رحمة الله تعالى . ونُقِلت أسبابه ودرامته  
الى بيوت متعددة ، وصارت بعد الاجتماع متبددة ، ودُفن من الغد في  
تربيته التي أنشأها بالقرب من جامع جراح بالجانب الشرقي من زاوية المغاربة  
ولله الحمد على أنه مات راضيا عنا ونحن عنه راضون ، بعد أمور مختلفة  
والى الله ترجعون . ( ١٨٩ ب ) .

الشيخ عبد اللطيف ابن شيخ الاسلام الشيخ أحمد

الشهير بابن أبي وفا الحنبلي

من بني مفلح الحنابلة المشهورين ، ووردوا في الأصل الى الصالحية من قرية رامين من وادي الشعير من توابع نابلس ، وتفرعوا بطوناً . فأما الشيخ أحمد هذا فهو من نسل نظام الدين ، وابن عمه القاضي أكمل الدين فهو من نسل ابراهيم ، والكل حنابلة ومن اولاد مفلح .

وأما الشيخ أحمد والد صاحب الترجمة فقد تقدم ذكره في حروف المهزة (١) ، وعبد اللطيف هذا سافر الى مصر في سنة خمس وعشرة بعد الألف تقريباً طلباً للعلم في مصر ، ولا سيما الفقه على مذهب الامام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه . فاجتهد وحصل ، وأجازه علماء مصر بالفتوى والتدريس . ورأيت كتابته على الفتوى وردت الى دمشق من مصر قبل قدومه اليها . ورجع الى دمشق في سنة سبع عشرة وألف ، واجتمعت به فرأيته وسط الحال ، وإن داوم على الاجتهاد ، يرجى أن يلحق بالآباء والأجداد .

وقد رأيت في يده كتاباً من تصانيف ابن طولون فيه « ذكر من كان بالصالحية من العلماء الأعلام » ، وفيهم ابراهيم بن عبد الواحد بن علي ابن سرور المقدمي ثم الدمشقي الصالح ، الفقيه الزاهد ، الشيخ عماد الدين أبو اسحاق وأبو اسماعيل أخو الحافظ عبد الغني . ولد بقرية جتماعيل



سنة ثلاث وأربعين وخمسة ، وماجر الى دمشق مع جماعتهم . قال  
سبط ابن الجوزي : حضرت جنازته ، ورأيتُ الناس الذين حضروها  
فكان أولُهم في جبل قاسيون عند مغارة الدم ، وآخرُهم في دمشق عند  
باب الفراديس . وقد نقلوا جنازته في الصباح فلم تصل الى محلِّ قبره  
عند الشيخ عمر ، رضي الله تعالى عنها ، إلا في آخرِ النهار . فخطر  
في بالي الأبيات التي أنشدها سفيان الثوريُّ في المنام وهي :

نظرتُ الى ربِّي كفاحاً فقال لي هنيئاً رضايَ عنك يا بن سعيدِ  
فقد كنتَ قوَّاماً إذا أقبلَ الدجى بعبرةٍ مُشتاقٍ وقلْبٍ عميدِ  
فدونك فاخترَ أيَّ قصرٍ أردتهُ ووزَّني فاني منك غيرُ بعيدِ

قال : فقلتُ أرجو أن أرى للشيخ عماد الدين وقد رأى ربَّه  
كما رآه ( ٢١٩٠ ) سفيان عند نزول حضرته ، ونمتُ فرأيتُ العمادَ في  
النوم ، وعليه حلةٌ خضراءُ وعمامة خضراءُ ، وهو في مكانٍ متَّسعٍ  
كأنه روضةٌ فهو يرقى في درجٍ مرتفعة . فقلتُ له : يا عماد الدين ! كيف  
بت ؟ فلاني والله نمتُ وأنا متفكرٌ فيك .

فنظر اليَّ وتبسَّم على عادته وقال :

رأيتُ إلهي حين أنزلتُ حُفرتي وفارقتُ أصحابي وأهلي وجيرتي

فقال: جُزيتَ الخيرَ عني فَأَني رَضيتُ فيها عَفوي لَدَيْكَ وَرَحمتي  
وَكنتَ زَماناً تَأملُ الفَوزَ والرَضى فُوقيتَ نيراني وَلُقيتَ جَنَّتِي

قال : فجلستُ مرعوباً ، وكتبتُ الأبيات المذكورة .

وقد صار صاحب الترجمة قاضي الحنابلة بمحكمة الكبرى أولاً ثم صار  
قاضي قضاة الحنبلية بمحكمة الباب ، وكان جريماً (?) في الحكومة ،  
وكان (١) الوالي وأعيان الشام يعاملوه ( كذا ) لأجل والده بالاكرام .

---

(١) في جميع الأصول « وكانوا »

الشيخ عبد الحق ابن الشيخ محمد الحمصي  
الشهير بالحجازي الشافعي

هو الشيخ الفاضل ، البارع ، الكامل ، كان شاعراً ماهراً ، ظريفاً لطيفاً  
عنيفاً منقطعاً عن الناس ، غير مخالط لهم في جمعية ولا استئناس .  
نظّم ونثر ، وقوي على البدهاة فيهما والنظر . وقد مدح المرحوم  
المولى أحمد أفندي الشهير بابن حسن بك حين كان قاضياً بدمشق الشام  
سقاها صوب الغمام ، في سنة أربع وتسعين وتسع مئة ، بقصيدة فريدة ،  
عقودها دُرَرٌ نضيدة . ومطلعها :

سقى الربح هَطَّالٌ من المزن ساكبُ  
وحيّاهُ وَسَمِيٌّ من الغيثِ مُمرِعٌ  
هديةٌ رَجَافِ العشيِّ كأنه  
وكلَّ صدوقِ البرقِ دانٍ ربّاهُ  
وجادَتْ عليه السارياتُ السواربُ  
يواصلُ في تسكّابهِ ويواصلُ  
كتائبُ تقفو إثرهنَّ كتائبُ  
تنوءُ فوَيْقَ الأرضِ منه الهياربُ  
ضروعَ عزِ إليه الصبا والحبائبُ  
ومحميُ بسقياهِ المحولُ اللواذبُ  
هديرُ قرومٍ هاجهنَّ الضرائبُ  
كانَ هديرَ الرعدِ في جنباته

(١٩٠ ب) كأن وميض البرق لمع قواضب  
يشق سنانه السحب شقاً كأنه  
كأن دموع المزن وهي سوائل  
فذاك الحيا لآزال في اربع الحيا  
فتصبح منه الأرض مخضرة الربا  
ويصبح منشوراً بهار يق الحيا  
خمائل فيها للظباء مسارح  
كأن رباها والرياض تحفها  
تغازلنا أزهارها وكأتما  
كأن ثغور النور وهي بواسم  
تهادي ظباء الوحش في عرصاتها  
وتبكي بها ورق الحائم مثلما  
وعهدي بها والآنسات خلالها  
فأضحت<sup>(٢)</sup> خلاء دارسات رسومها  
أحل بمغناهن بيض كواعب

إذا لمعت بين الصفوف القواضب  
كمي دعتة للقراع الضرائب  
دموع محب فارقتة الجباب  
سرياً نها<sup>(١)</sup> منه الزلال الخضارب  
مجللة بالروض فيها الأهاضب  
كما نثرت من جيدها السمط كاعب  
وفيهما لأذيال الرياح مساحب  
عرانس أبار عليها الجلابب  
تغازلنا فيها الحسان الربائب  
بأرجائها القصى نجوم ثواقب  
كما تهادي في القصور العواذب  
من البين تبكي المغولات النوادب  
تداعب في أرجائها وتلاعب  
تعقي عليها الراسيات<sup>(٣)</sup> الحواصب  
وحل بأقصاهن سود نواعب

(١) كذا ويلاحظ أن الوزن مضطرب في هذه الشطرة .

(٢) « فأصبحت » .

(٣) م « الراسيات » .

وأَوْحَشَنَ حَتَّى لَيْسَ فِيهِنَّ أَنْسٌ  
خَلَا أَنْ زُوَّارًا مِنَ الْوَحْشِ نُفْرًا  
كَأَنَّ الرُّسُومَ الدَّارِسَاتِ تَصْبُرِي  
كَأَنَّ ضُلُوعِي غَدُودَةَ الْبَيْنِ غَالِيَا  
أَلِيمٌ افْتِرَاقِي لِلجِلَادَةِ مَوْهِنٌ  
وَقَلْبٌ عَرَاهُ الْخَبْلُ حَتَّى كَأَنَّهُ  
فَوَّآ أَسْفِي لِالْقَلْبِ مِنْ سَكْرَةِ الْهَوَى  
فَمَنْ لِي بِحِفْظِ الْعَمَدِ مِنْ ذِي ضَبَابَةٍ  
يَهْبُ مَعِي مِنْ هَجْعَةِ الْفَجْرِ رَبِّمَا  
فَقَدْ تُدْرِكُ الْحَاجَاتُ وَهِيَ فَوَائِدُ  
(٢١٩١) وَمِنْهَا :

أَحْمَلُ<sup>(١)</sup> صَرِي لِلْأَذَى وَهُوَ مُؤَمٌّ  
وَأَبْدِي لِمَنْ يَبْغِي ضِرَارِي تَجَلَّدَا  
وَلَا أُخْشِي مِنْ قَاسِطِ سَوْرَةِ الْأَذَى  
وَكَيفَ وَفِي أَقْضَى الْقَضَاةِ كَفَايَةٌ  
يَرُدُّ بِمَاضِي عَزْمِهِ وَارِدَ الرَّدَى

وَإِنِّي بذكره لِأُنْسِي جالبُ  
هو الأهلُ إِمَّا خانَ عهدي الأقرابُ  
إِذَا لِيَمِ مَنْ شامتُ علاهُ الشوائبُ  
تَفْتَنُ فِيهَا لِلذَّهابِ مَذَاهِبُ  
وَتُظْهِرُ بِالإِعْرَابِ مِنْهُ الغرائبُ  
وَيُرْغَمُ أَنْفَ الخُطْبِ إِذْ هُوَ خاطِبُ  
جَموعُ عكاظٍ عِنْدَهُ وَالإِعْرَابُ  
مِنَ الفِضْلِ وَالْمَجْدِ الذُّرَى وَالغَوَارِبُ  
وَقَرَعَ بِهِيَ طابَ مِنْهُ المَناصِبُ  
مَحاولُها حَتَّى تُنالَ الكواكِبُ  
وَأوصافُ ذاتٍ لَمْ تُشْنِها المَعائبُ  
وَتَنكشِفُ البِباوِي وتُصَفِّو المِشارِبُ  
وَتُشْفِي بِشَمِّ التُّرْبِ مِنْها التُّرائبُ  
بِها حُمُرُ البِيداءِ وَهِيَ مَقانِبُ  
وَنُؤَلَّ سَمَّالٌ وَبُلُغَ طالِبُ

وَإِنِّي بِنِعْماءِ لِبُؤْسِي زاجِرُ  
هو الصَّحْبُ إِمَّا خامَ عني صِحابِي  
هو الأحمَدُ المَحمودُ في كَلِّ موطنِ  
وَجامِعُ أَشْتاتِ العُلومِ بَعِيدَ ما  
تَبِيهُ المَعانِي مِنْ بَدِيعِ بَيانِهِ  
وَيُغْنِي عَنِ الخَطِيئِ فِي الرُّوعِ خَطَّهُ  
وَيُجْبَلُ نَظَمَ الدُّرِّ مَنْطِقَهُ فَمَا  
نَمَّاهُ إِلَى العِلياءِ قَلْبُ أَقْلِهِ  
نِجارُ ذَكِيِّ أَيْنَعَتِ عَذابَتُهُ  
لَهُ الشَّيْمُ الشَّمُّ الَّتِي لا يَنالُها  
غَوادِي هِباتٍ ما يَغِبُ سَكوبُها  
بِها تَنجِلي الظَّلْمِ وَيَنْتَقِعُ الصِّدى  
وَيَسْهُلُ حَزَنُ الأَرْضِ إِما ثَوى بِها  
أَتَى<sup>(١)</sup> الشَّامَ لِمَا سَتَأَسَدَ لِهِمُّ وَاَعْتَدَتْ  
فَعَدَلُ مِيالُ وُقُومَ زائِغِ<sup>(٢)</sup>

(١) . . . . . أتى إلى الشام . . .

(٢) . . . . . راينغ . . .

وَأَنْقَذَ أَهْلِيهَا مِنَ الْجَوْرِ بَعْدَمَا  
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَعْصِمًا بِجَنَابِهِ  
أَمْوَلَايَ يَا رُكْنًا تَلُوذُ بِهِ الْعُلَا  
وَيَا حَرَمًا يُلْفَى بِهِ الْأَمْنُ قَاطِنًا  
وَيَا هَيْصَمًا يَعْنُو<sup>(٢)</sup> لَهُ كُلُّ هَيْصَمٍ<sup>(٣)</sup>  
إِلَيْكَ أَتَتْ غُرُّ الْقَوَافِي كَأَنَّهَا  
عِذَابٌ بِأَفْوَاهِ الرُّوَاةِ بِدَائِعِ  
قَوَافِ كَأَزْهَارِ الرِّيَاضِ نَضَارَةً  
يُجَجَلُّ مُنْشِيهَا بِهَا كُلُّ مُدَّعٍ  
قَسِيٌّ مَعَانٍ لَا تَطِيشُ سَهَامُهَا  
وَلِأَلَاءِهِ لَمْ تُزْهَرْ رِيَاضُ قَرَائِحِ  
وَلَا مَعَتْ لِي فِي الْمَعَانِي بَوَارِقُ  
وَمِنْ زَنْدِكَ الْوَارِي<sup>(٤)</sup> اقْتَدَحَتْ فُضَائِلِي

سَقَّتَهُمْ حَمِيَّتَاهَا الْخُتُوفُ الصَّوَابُ  
فَلِلذَّلِّ مِنْهُ لَا مَحَالَةَ جَانِبُ  
وَيَا غُصْنَ مَجْدٍ مِنْهُ تُجْنِي الْمُنَاقِبُ  
وَيَلْقَى بِهِ الْحَرَّ<sup>(١)</sup> الزَّمَانُ الْمُحَارِبُ  
وَيَا أَخْشِبًا تَنْدُكُ مِنْهُ الْأَخَاشِبُ (١٩١ ب)  
لَأَلَى إِلَّا أَنْهَنْ عَجَائِبُ  
حِسَانٌ بِالْبَابِ الرِّجَالِ لَوَاعِبُ  
وَلَكِنَّهَا بَيْنَ الْأَنَامِ كَوَاكِبُ  
وَرَأَيْ سَدِيدًا أَنْ يُجَجَلُّ كَاذِبُ  
وَأَسِيَّافُ فَضْلٍ لَمْ تُخْنِهَا الْمُضَارِبُ  
وَلَا انْبَجَسَتْ مِنْهَا الْمِيَاهُ النَّوَاضِبُ  
وَلَا نَشَأَتْ لِي فِي الْقَوَافِي سَحَائِبُ  
وَمِنْ نَوْرِكَ السَّمَاءُ أَنْجَلَتْ لِي النِّعْيَابُ

(١) م « الذخر » .

(٢) م « يملو » .

(٣) م « هيصمًا .. هيصم » .

(٤) ساقطة من « ه » .

وَإِنَّكَ بَدْرٌ فِي سَمَا الْفَضْلِ زَاهِرٌ      وَإِنَّكَ نَجْمٌ فِي دُجَى اللَّيْلِ ثَاقِبٌ  
أَرَيْتَ الْوَرَى سُبُلَ<sup>(١)</sup> الْمَكَارِمِ بَعْدَمَا      عَفَارِسُهَا وَأَنْعَجَ<sup>(٢)</sup> مِنْهَا الْوَأَجِبُ  
حُبَيْتَ مَقَامِي يَوْشَعِ وَابْنِ مَرْيَمِ      غَدَاةَ ثَوْتٍ فِي عَقْوَتَيْكَ الْمَنَاصِبُ  
فَعَادَتِ لِأَبْنَاءِ الزَّمَانِ حَيَاتُهُمْ      وَرُدَّتْ شَمُوسُ الْمَكْرَمَاتِ الْغَوَارِبُ  
أَلَا هَكَذَا فَلِيحْرَزَ الْمَجْدَ مُحْرَزٌ      أَلَا هَكَذَا فَلِيكْسِبَ الْحَمْدَ كَاسِبٌ  
مَكَارِمٌ تَبْقَى وَاللَّيَالِي نَوَافِدٌ      وَتَخْلُدُ وَالْأَيَّامُ عَنْهَا ذَوَاهِبُ  
مَاثِرٌ لَا اللَّيْثُ الْهَضُومُ بِجَاشِعِ      جَوَاهِرُهَا وَلَا الْقَرْمُ الْخَضْمُ مُحَارِبُ  
هَنِيئًا لَعِيدٍ أَنْتَ فِي الدَّهْرِ عِيدُهُ      مُوَافٍ قَدُومًا أَنْتَ فِيهِ مُصَاحِبُ  
قَدُومٌ أَتَى تَارِيخُهُ خَيْرَ مَقْدَمِ      وَعِيدٌ بِهِ عَادَ السَّرُورُ الْمُجَانِبُ<sup>(٣)</sup>  
قَدُمٌ وَاحِدَ الدُّنْيَا عِيَاذًا لِأَهْلِهَا      إِذَا مَا عَدَاهَا الْفَادِحُ الْمُتَنَابِرُ  
سَجَايَاكَ لِلسَّارِينَ زُهْرٌ ثَوَاقِبٌ      وَأَيْدِيكَ لِلْعَافِينَ سُحْبٌ سَوَاكِبُ  
يَغْصُ<sup>(٤)</sup> لَدَيْكَ الْبَدْرُ وَالْبَدْرُ زَاهِرٌ      وَيَجْجَلُ مِنْكَ الْبَحْرُ وَالْبَحْرُ ثَاقِبُ  
فَأَنْتَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مَوْلَى وَمَوْئِلٌ      وَأَنْتَ لَوَجْهِ الدَّهْرِ عَيْنٌ وَحَاجِبُ

(١) « بسل » .

(٢) « وانعجى » .

(٣) هذا البيت ساقط من .

(٤) « يغص » .



وهي من عُررِ قصائده المشهورة الطنانة ، وبدائعه التي زينت من الشعر مضاره وميدانه .

وقد تخرّج في مبادئه بالرحوم صاحبنا الشيخ محمد بن فواز ، الآتي ذكره إن شاء تعالى في حرف الميم . وكان له صديقاً ومن (١٩٢٢) بداية أمره رفيقاً . كتب اليه يعتب عليه :

يا غائباً والذنبُ ذَنْبُكَ مَتَّعْتَباً اللهُ رَبَّكَ<sup>(١)</sup>  
لا تَبْعِدَنَّ فَإِنَّمَا أَمَلِي مِنَ الْأَيَّامِ قُرْبُكَ  
فَلأَصْبِرَنَّ وَأَرْضِيَنَّ بِمَا قَضَاهُ اللهُ رَبَّكَ

وبالجملة فقد كان صاحب الترجمة من محاسن دهره . ونوادير عصره ، وموته سبباً لتذكّر الممات من غير مرض ، ووقوع الحمام بغتةً بغير عرض . فإنه لما توفي والده ، وجاء إليه طارفه وتالده ، جمع قلامه أبيه وأظهر لهم نواضعه مع تأبّيته . ووعدهم بالجميل . وأن يخصّ كلّا منهم بنوع من التبجيل . فما أعطاه الزمان فرصة ، ولا خلا به من غصّة . الى غصّة . ولحق والده عن قريب ، ولعمري أنه الولد النجيب .

وللاشيخ عبد الحق هذا ولد صغير ، ما فات سن الاحتلام بكثير . وقد أعطاه قاضي دمشق الشام حصّةً وافرةً من جهاته . وخصّته بجميل عداته . ولعله يصل الى وصف النجابة ، وأن يفتح الدهر له من الخير أبوابه . وإن قالوا النجيب من النجيب عجيب . فلعل لطف مولاه أن يخصّه من لطفه بنصيب .

قلتُ : وكنتُ سافرتُ من دمشق الى طرابلس الشام في أواخر  
سنة ثمانٍ بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل  
الصلاة والسلام . فلما رجعتُ إلى دمشق حضرتُ علماءها للسلام عليّ  
فتأخر صاحب الترجمة لمرض كان له قد عرض فكتب اليّ هذين البيتين  
من نظمه ، الدال على صحيح فهمه :

أَعَدْتُمْ إِلَيْنَا بِهَجَّةٍ أَدِيبَةٍ      بِهَا افْتَرَّتْ نَعْرُ الْفَضْلِ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ  
وَأَحْيَيْتُمْ وَاذِي دِمَشْقٍ بَعُودَةٍ      أَضَاءَ بِهَا فِيهِ مُصَلَّى وَمَسْجِدُ

وكتبَ اليّ أيضاً هذه القصيدة الغراء وهي من أبنكار أشعاره :

أيا سافرَ الوجهَ الذي يُجْجِلُ البدرَا      ويا ناعسَ الطَّرْفِ الذي أُودِعَ السحرا  
ويا مَنْ له قَدْ إِذَا ماسَ وَأَنْثَى      رأيتَ قلوبَ العاشقين له أُسْرَى  
ويا مَنْ له خَطُّ عَلَى الحَدِّ كُلِّمَا      بدى لي أقولُ الليلُ في البدرِ قد أُسْرَى  
متى يشتفي من طولِ هجرِكَ مُغْرَمٌ      مدامعه تُتْرَى وانفاسه حَرَى  
إِذَا قالَ هذِي ليلَةُ الهجرِ قد مضت      أَتَتْهُ لِيالٍ من جفاكَ له أُخْرَى  
لقد كان ذا صبري يعينُ على الجفا      و مِنْ طوْلِ هَذَا الهجرِ قد فَقدَ الصِّبْرَا  
فدَيْتُكَ يَا رَبَّ المِلاحةِ والبها      أَمَا أَنَا يَا مولايَ أَنْ تتركَ الهَجْرَا  
يُرْجِيكَ صَبُّ النَحْلِ البينِ جِسمَه      تَعَطَّفَ عَلَيْهِ ساعةً وَأَغْنَمَ الأَجْرَا  
يحييتك ما غنى على الدوحِ ساجعٌ      وَمادامَ عبدُ الحقِّ يعلو الورى قَدْرَا

إمام علا حتى تجاوزَ صاعداً  
أبي الله إلا أن يدومَ مُبَجَّلاً  
وما هو إلا البحرُ أصبحَ فائضاً  
فضلٌ الذي قد جاءَ يَبْغِي محلهُ  
إذا ما دجى ليلٌ لِشِكالِ مَبْحَثِ  
غداً خاطباً بكرِ المعالي فناها  
إذا ما سخا بالبحرِ من فيضِ فضله  
وما مدحُ المداحِ تحصرُ فضله  
ولو أن ألفاً ينظمون مديحه  
ومن أمه يَبْغِي نوالَ يمينه  
فضائله قد علمتني امتداحه  
وهاك أخا الأفضالِ دُرّاً نظمته  
وأرسلته عقداً من الدرِّ مثنياً  
تصفحتُ أبناءَ الزمانِ فلم أجد  
تَهَنُّ بادرِكِ المطالبِ دائماً  
ودمٌ مدركِ الآمالِ مُتَسِعِ العطا

مقامَ الثُربا والسماكين والنسرا  
تخافُ الليالي منه بَطْشَتَهُ الكُبْرَى  
ألسنَ تراه للورى يبذلُ الدرّاً  
دَعِ البغي ياهاذا فمن يبلغ البدرأ  
بصيرُهُ من ضوهِ فِكْرَتِهِ ظُهرًا<sup>(١)</sup>  
وعيرَ جودِ الكفِّ منه لها مهرا  
فَدَعِ عنك سُجبا جهدها تمطرُ القَطْرأ  
وقطرُ الغواصي من يطيقُ له حَصْرأ؟  
لما بلغوا من بعضِ أفضالِ العُشْرأ  
تَبَدَّلَ بعد العسرِ من جوده يُسْرأ  
فلولا ندى كفيه لم أنظم الشعْرأ  
تمنى الغواني أن يمِسَّ لها نحرأ  
ولا عجبٌ للدرِّ إن قارن البحرأ  
سواك له أهلاً فصرتَ به أُخرى  
فهذا لسانُ الحالِ أعلنُ بالبشرى  
تجيدُ لك الأيامُ من لفظها شكراً

مدى الدهر ما غنى على الدوح ساجع<sup>١</sup> وما بكت الأنواء مضحكة زهرا

فكتبت له الجواب ، بعناية الملك الرواب :

أعرت خدود الغيد من مهجتي جمرا وعلقن في الأبياد من مدمعي ذرا

(١٩٣) وأنسأرن في قلبي ريسر صباية وغادرن في خدي من أدمعي غدرا

وبي حزن يعتادني ويحشه بكاء حمام يصدع<sup>(١)</sup> القلب والصدرا

يعني بأفنان الأراك مغردا وينشق من ذيل الصبا الطيب والنشرا

ومعرك حرب في فؤادي آثاره من الشوق جيش لا يحاط به خبرا

على هدف الأحشاء وقع سهامه يفوقها للقلب فتاكة عذرا

وقالوا تصبر قلت شي جهلته وكيف يطيق الصبر من يجهل الصبرا

خليلي عوجا بارك الله فيكما وحشا المطايا وأقصد الرند والسدرا

فلي فيه خود بالصدود تسربلت وقد تحذت سمر الرياح لها خدرا

ريبيبة ألوت بعزم تجلدي وأزكت على الأحشاء من نارها جمرا

أبي القلب إلا أن يكون معذبا<sup>(٢)</sup> ومذأعلنت<sup>(٣)</sup> شوقي العدا أخذت حذرا

وكم حذر تني من هواها عواذلي ولا أحسب التحذير إلا بها أغرا

(١) • • • • • يصدح • • •

(٢) ساقطة من من • • • • •

(٣) ب • • • • • أظنت • • •

أيا عادةً ما كان أطيبَ عيشها  
ألا أيها القلبُ الذي لجَّ في الهوى  
فهذي دواعي الشيب تدعو إلى الهدى  
وقد شاب كبدي قبل رأسي ولمتي  
وما كان شيبني من تطاول إربتي<sup>(١)</sup>  
وليلِ كيومِ الحشرِ من فرطِ طولِهِ  
أبيتُ به والحادثاتُ تنوشني  
سهاًمُ خطوبٍ من لحاظِ نوابِ  
أرتني ونجماً للمنيمة كالحأ  
ولي نفسٌ حرٌّ لم تخف غائل الردى  
ولولاك بدر الدين ما راق خاطري  
ولكنني صادفتُ مدحك واجباً  
أتت منك أبياتٌ تحمّلتُ بدرها  
فقلتُ أطل الله عمرك دائماً  
ولا زلتَ شمساً في سماء فضائلِ

ترى هل يعودُ الوصلُ لي مرةً أُخرى  
إلى مَ الوفا، والغيدُ أزمعتِ الغدرا  
وقد زجرتني عن دواعي الصبا زجراً  
فحتى مَ قلبي لا يفيقُ بهم سُكراً  
ولكنني لا قيتُ منْ دهري النُكراً  
ظننتُ بأنَّ الله لم يخلقِ الفجراً  
فلا غلّتي تشفى ولا سقمي يبرأ  
يسمن الحشا ضراً ويلحظنني شزراً  
وأودعتِ الأحزانِ في كبدي الحرّى  
ولم تخش من ذالدهر بطشته الكبرى  
لنظمٍ ولا حرّرتُ في مدحه سطرأ  
وما كنتُ يا مولاي أعصي لكم أمراً  
صفتاني، كروضٍ قد غدا كله زهراً  
وأعلى لكم بين الورى أبدأ ذكراً  
تُنورُ من لألاءِ غرّتك البدوا (١٩٣ب)

فيا حسناً في ذاته وصفاته  
أتني عقود من بديع جواهر  
معانٍ على أعلا المجرّة قد علّت  
أرى الدهر لا يوفيك ما تستحقّه  
على أي حال أنتم بالعلی أحرأ  
تخال سناً لألائها الأنجم الزهرا  
ونظم قوافٍ شعرها نيط بالشعري  
وما عرف الدهر الخؤون لكم قدراً  
وعذراً فأنتم خير من يقبل العذراً  
فلا تعتبه ما على الدهر معتب

## ١٤٨

الشيخ عيسى ابن الشيخ محمد ابن الشيخ  
سعد الدين الجباوي السعدي

قد كان ذهب إلى مصر المحروسة مُغاضباً لأبيه ، بسبب منافسة صدرت بين الشيخ عيسى المذكور وزوجة أبيه بنت الخواجا الجقوير لأمرها . وكان الشيخ محمد المذكور ترضى ولده المذكور ليملك في دمشق ويترك السير إلى مصر ، فلم يقبل من أبيه ، وأرجعه غضبان ، فتكلم أهل دمشق بأنه لا يجد خيراً في سفره . فكان سفره قائداً إلى أجمله ، باعثاً على بقاء الناس على عدله . فكان ورود خبر وفاته في يوم السبت الحادي والعشرين من شهر رجب من سنة تسع عشرة بعد الألف ، وذهب أهل دمشق قاطبة إلى تعزية الشيخ محمد المذكور عن ولده ، وقطعة كبده ، وكان يبكي ، ولواقعة ولده يحكي . فيسبكي العيون ، وينكي الفؤاد المهزون ، لكونه أصيب في أيام شبيه بواحد وعضده وعاضده ، والدهر أبو العجائب ولا تزال حاملته واضحة للفرائب .

الليالي من الزمان جبالٍ مثقلات يَلِدْنَ كُلَّ غريبة

وتحور أن وفاته بالقاهرة في يوم الخميس الثامن والعشرين من جمادى الآخرة ، من شهور سنة تسع عشرة بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها ألف ألف تحية .

وفي أواسط صفر الخير من سنة عشرين بعد الألف أخذ الضعف يتزايد في ذات الشيخ محمد ابن المرحوم الشيخ سعد الدين الجباوي والد الشيخ عيسى المذكور في هذه الصحيفة ، ولم يزل يتزايد السقم به حتى أنه ثقل

ضعفه جداً وكانت عيلته الشوصة . فلما [ ١٩٤ آ ] ثقل جسمه ، وتمنذر جسمه ، ذهب أهل دمشق إليه ارسالا ، وانقطعت منه الأَطْمَاع ، وكان للآمال مآلا . فمات إلى رحمة الله تعالى يوم الثلاثاء السابع والعشرين من صفر الخير سنة عشرين بعد الألف ، وأصبح الناس يطلبونه فلا يجدون ، ويحجون إلى كعبة جوده فيُحرّمون ولا يُحرّمون . هنالك أثقال أهل دمشق إلى بابه هرعون ، وإلى عزيز جنابه يتعمّتون . أن الموت فاته وأنه لم يُعيّن له ميقاته ، ولعمري لقد كان حاتم زمانه ، وخاتم كرماء أوانه . يعطي ولا يبطي ، وبصيب ولا يخطي .



### الشيخ عمر العرضي

هو شيخ الإسلام ومفتي الشافعية بحلب المحمية . ولما حصلت معه المراسلة  
واقصت بيننا وبينه المواصلات ، أهدى لنا ثوباً رفيعاً موصلياً لطيفاً ظريفاً ،  
وكتب معه هذه الكلمات بخطه ، المزين بضبطه وهي قوله :  
« مولانا علامة الزمان ، أدام الله مجدك ما اختلف الملوان ،  
وآكثر الجديدان .

قد علم المولى أن قبول الهدية أمرٌ محبوب ، وأنه مسنون مطلوب .  
وقد وقع الاجماعُ على أنه مقبول ، ولذلك كان من سنة الرسول ،  
وقد أرسلنا على سبيل الهدية مع الاعتذار ، هذا الثوب الموصليّ مُعلنين  
في التقصير بالإقرار . والمطلوبُ قبوله ، فإنه مطلوب الحقيق ومأمولُه .  
وذلك هو المطلوب كما يشهد بذلك عتلام الغيوب . والسلام عليكم أولاً  
وآخرآ ، وباطناً وظاهراً . والسلام .

## الشيخ عبد القادر المصري الكاتب

إمام الجامع الصابوني بدمشق الشام ، سقاها صوب القيام .  
كتب رقعه يتشفع فيها برجلٍ من أصحابه ، ويطلب له قضاءَ أربٍ  
من أربابه . وفي صدر الرقعة المذكورة هذان البيتان . وهما قوله :  
من بَعْدِ إهداءِ السلامِ الذي فاقَ شذاه المسكَ والعنبرِ  
وبثَّ أشواقٍ نَمَّتْ كَثْرَةً وفاقَتِ الحدَّ فلن تحصوا  
نهدي ذلك لدى مولانا العلامة ، والحبر البعر الفهامة . أسبغ الله تعالى  
انعامه عليه . ونظر بعين عنايته ورعايته إليه . فالمعروض لدى الحضرة  
( ١٩٤ ب ) العلية . والشيم الحسنة السنية . أن حاملها من الداعين  
لجزابكم الكريم ، لا زال محروساً بعناية الله الملك الرحيم . وهو مع ذلك  
من المنسويين إلى الحقير ، الداعي على الدوام بغير تقصير . فالمرجو شموله  
بشريف الأنظار ، ولكم المنة والنداء آتاء الليل وأطراف النهار .  
والسلام على الدوام .

## علي جاويش ابن الحارة الدمشقي

أحد الجاويشية بديوان دمشق الشام المحميّة .

وهو الذي أرسل طلبه حضرة السلطان سليم الثاني ، ابن المرحوم السلطان سليمان العثماني . وذلك لوجود جماله ، وحسن صورته وكاله . وقد اجتمع بالسلطان ، وحضر مجالسه الرفيعة الشأن ، ثم أنعم عليه بتيجار بنواحي الشام . واستمر يتصرفُ به إلى هذه الأيام .

كان حسن الخلق والأخلاق ، وقد اشتهر حسنه في جميع الآفاق . بحيث أنه خطب من هذه الديار لخدمة حضرة الخنكار . وكانت وفاته في نهار الخميس وقت الضحى ، وصلتي عليه بجامع الأموي بعد صلاة الظهر ، ودُفن بمقبرة مرج الدحداح . رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وغفر لنا وله واسائر المسلمين . آمين .

## ١٥٢

### عبد الغني ابن الدويدار

وهو من أبناء السلف الماضين الذين لهم أوقاف . فطلع إلى وادي التيمّم لتحصيل بهض حصّة في قرية يقال لها كفر مشكا . فنزل عند رجلٍ من أهل القرية المذكورة ، والرجل أخرس أطرش . فيقال إنه قام بالليل لقضاء حاجة له فعثر في الأخرس المذكور فظنه الأخرسُ دابّاً عليه . ويقال انه مارد بغير ذقن ، فقام إليه وضربه بخنجر ، فوقع في مذبجه فقتله بعد أربعة أيام ، فدفن في القرية المذكورة ويقالُ أنه أوصى لولده أن لا يتعرض بدعوى على القاتل ، وأن يبقي الدعوى إلى أن يقف مع قاتله بين يديّ الله تعالى ، وصدرت هذه القصة في شهر رجب من سنة إحدى وعشرين بعد الألف .

## الشيخ عبد الغني ابن شيخنا الشيخ اسماعيل

عجيبة : مُدَرِّسٌ يقرأ على تائبه في درسه . وذلك ان الشيخ اسماعيل النابلسي بن أحمد الشافعي رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة منقلبه ومثواه ( ١٩٥٠ آ ) لما توفي إلى رحمة الله تعالى في أوائل سنة اثنتين وتسعين أو ثلاث وتسعين وتسع مئة ، انحلت عنه المدرسة الدرويشية الشافعية ، في التاريخ المذكور . فطلبته من قاضي قضاة دمشق وهو المولى مصطفى أفندي الشهير بابن بستان . فوجت بها إلى مع كثرة الطالبين لها . ولم أزل ألقى بها الدرس . وكان ذلك الكتاب الذي يُقرأ هناك عندي « شرح المنهاج » للمحقق جلال المحلي . فلما مضى من التاريخ المذكور خمس سنين أو أقل قليلا ، كبر ابن الشيخ إسماعيل النابلسي المذكور سِنًا لا عِلْمًا . فقال لي قاضي القضاة ابن بستان المذكور : أما يجوز أنك تُسامح هذا الشاب وهو ولد الشيخ إسماعيل في التدريس المذكور ، فإنه ابن شيخك ، والتدريس المذكور له بشرط الواقف . فقلت له : نعم . لكن شرط الواقف مقيد بأن يكون أولاد الشيخ اسماعيل متأهلين للدرس ، وابن الشيخ هذا ليس أهلا للتدريس . فقال القاضي المذكور : هو فقير جداً . فوَقعتِ المسامحة . فأعطى القاضي التدريس لابن الشيخ هذا وكان ذلك مني صادراً بين الرضا والغضب .

فلما صار التدريس لعبد الغني ولد الشيخ اسماعيل استتاب فيه الشيخ

أحمد بن أبي الوفا الحنبلي ، وصار المدرس بنفسه يقرأ في متن الأجروميّة ،  
في علم العربية . وهذا من العجائب فسيحان الدائم الباقي :

وكم قائلٍ مالي رأيتك راجلاً      فقلتُ له من أجلِ أنك فارسُ

ولقد خطر لي أن أنشد هذه الأبيات الأربعة وهي أبيات أنشدها الشيخ  
الإمام ، الفاضل الهمام ، الشيخ علاء الدين بن عماد الدين الشهير بين أولاد العرب  
بالشيخ علاء الدين الأحذب . وهو عند الأروام كحك ملاً . وسبب إنشائه  
لهذه الأبيات أنه كان مدرساً بالعادية الصغرى ، فأعطوه بدّلها التّقويّة ،  
وأعطوا العادية الصغرى للشيخ الطيبي الكبير . فأنشد عند ذلك الشيخ  
علاء الدين هذه الأبيات مرتجلاً في شأن عزله ، وأخذ العادية منه مع  
غزارة فضله . وهي :

(١٩٥) تقولُ العاديةُ وهي تشكو      أليمٌ سُقوطُها بعد العروجِ  
أحراقُ الشهابِ وفقدُ فضلِ      ومنعٌ للعلاء عن الولوجِ  
وتفريقُ الأفاضلِ عن دروسِ      وجمعٌ للأراذلِ في بروجِ  
فقلْ للأعورِ الدجالِ هذا      زمانك إن عَزَمْتَ على الخروجِ

بيت :

على أنها الأيامُ قد صرّنَ كُها      عجائبَ حتى ليس فيها عجائبُ

عمر جلي

ابن جمال الدين ابن عبد الرحمن ابن قاضي القضاة ولي الدين ابن قاضي  
مصر والشام شهاب الدين ابن القاضي محمود من بني قُرْفُور ، بضم الفاءين .  
اجتمعتُ به بمنزلي نهار التاسع والعشرين من شوال سنة إحدى وعشرين  
بعد الألف ، فرأيتُ معه بَعْضَ أوراقٍ من خطبة والده جمال الدين  
المذكور . وكان ذا خَطِّ نسيب ، وفضل عجيب . فرأيتُ منها ورقةً  
قد كتبتُ هذه القصيدةُ فيها ، وهي قولُ عبد المحسن بن محمود الحلبي  
جعل الله عاقبته محمودة في العقبى ، فكتبتُها وهي هذه :

توالت مَسَرَّاتُ الصَّبَا ثم وَاكَّتِ      وفي رانُ حزنِ القلبِ بالشَّيبِ شَبَّتِ  
حَلَّتْ لِي أَيَّامِي بِشَرِّخِ شَبِيبَتِي      زماناً ولكن حين مرّت أمرتِ  
سقى اللهُ أَيَّامَ التَّصَابِي صَوَائِباً      إذا ابتسمتُ منها الرياضُ أَكْفَهَرَّتِ  
فكم رَوْضَةٌ مَرْضَى إِذَا القَطْرُ بَلَّهَا      ومرّت بها رِيحُ الشَّمالِ أَبَلَّتِ  
شربتُ بها راحاً تُرِيحُ مِنَ الأَسَى      حراماً إِذا حَلَّتْ بِمِثْلِي أَحَلَّتِ<sup>(١)</sup>  
وكم غَمَّةٍ يَرْدِي النِّفوسَ حَلُولُهَا      إِذا ما تجلّت للنَّفوسِ تجلَّتِ

(١) هذا البيت لا يوجد في ه .

وكم رزئت نفسُ الفتى برزِيّةٍ      وسالت لديه في البواطي تسلت  
وخمارةٌ تُغلي الشَّبَابَ<sup>(١)</sup> فإن هي اسـ      تَقَلَّتْ دنانير الرجالِ استقلتِ  
نزلتُ بها في فتيةٍ من صحابي      فلما رأتنا هَلَلَتْ واستَهَلَّتِ  
ومنتَ علينا بالمدام وبالقرى      ثلاثاً فقوتُ مُنتي منذُ منتِ  
تُدِيرُ<sup>(٢)</sup> علينا الكأسَ في الديرِ غادةً      وتُغني عن القيناتِ إن هي غنتِ  
أقمنا لديها أربعاً وثمانياً      فما زالتِ الحُسنَى ولاهي زلتِ  
وملنا إليها في أمورٍ كثيرة      فما أن مَلَلْنَاها ولاهي مَلَّتِ  
سأثني ولا أثنى عناني عن الذي      به بدأتُ في حُسنِ فعلٍ وثنتِ

(١) وردت هذه الكلمة هكذا « الشبا » ووردت في نسخة أخرى « الشبا » ونرى

أن تكون الكلمة « الشبا » وبها يستقيم الوزن والمعنى .

(٢) في الأصل : يدِير .



## عبد الرحيم ابن الخواجا الأجل تاج الدين

ابن الخواجا الأجل الأجدد أحمد الشهير بابن محاسن الدمشقي .  
حفظه الله تعالى وحرسه من أعين الحساد ، وجعله من الفضلاء الأجداد .  
وعبد الرحيم هذا سبط كاتب الأحرف الفقير الحسن بن محمد البوريني ،  
وقد تربى عندي . وكانت ولادته عندي في منزلي بزقاق النحاسين بدمشق ،  
بالقرب من منزل السادات بني حمزة الحسينيين ، في منزل على بودي .  
وشرع يقرأ في العربية على الفقير كاتب الحروف ، فابتدأ في قراءة  
« الأجر وميئة » في أوائل سنة اثنتين وعشرين بعد الألف ، وختمها بحمد  
الله تعالى . ثم قرأها ثانياً وختمها بحمد الله تعالى . والحمد لله ثم الحمد لله  
على أنه فهمها فهماً حسناً .

وقد اتفق أننا مرنا إلى بستان في الجانب الغربي من دمشق ، وكان  
السبط الكريم في صحبتنا ، فدخل رجل من أصحابنا إلى البستان وقصد  
مجلسنا وفي يده جلتارة فوق قامة خضراء . فقال السبط المذكور  
مرتبلاً :

وَجَلَّتْنا رِ قَدْ بَدَا فِي غَصْنِهِ لِمَنْ رَمَقَ  
كَأَنَّهُ مِنْ لَطْفِهِ فِي أُفُقِ الدَّوْحِ شَفَقَ

وقال في ذلك أخونا التقويّ تقيّ الدين الجوهري ، ولد المرحوم  
العارف الشيخ أحمد الجوهري ، وكان في المجلس مع الإخوان ، فقال  
مخالفاً لمن أتى بالفنن والجلنارة ، وأجاد :

وجلنارٍ قد حكى      توريدَ خذكَ الندي

شبهته لما بدا      على الغصونِ الميدي

كأساً عقيقاً صيغَ في      عُصنٍ من الزبرجدِ

والمطلوب من الله تعالى له التوفيق على كلِّ حال .

---

انتهى الجزء الثاني من كتاب تراجم الأعيان

ويليه الجزء الثالث وأوله باب الفاء

إن شاء الله

# فهرس الأعلام

فب المآز الأناى من كتاب تراجم الأعلام

الصفحة	رقم الترجمة	الاسم
٣	٧٨	ابراهيم بن محب الدين الدمشقي
١٣	٧٩	ابراهيم بن أبي اليمى الحلبي
١٤	٨٠	ابراهيم الحلبي الشهير بابن الملا
٣٠	٨١	ابراهيم بن كسباي العمادي المقرئ
٣٤	٨٢	أسد الدين بن معين الدين التبريزي
٤٩	٨٣	أسعد بن سعد الدين التبريزي
٥٢	٨٤	أشرف الملقب بميزا
٥٧	٨٥	اسماعيل بن طهاسب بن حيدر
٦١	٨٦	اسماعيل النابلسي الشافعي
٨٠	٨٧	اسحاق بن سراج الدين عمر بن شمس الدين
٨٢	٨٨	أمين الدين الصالحى الدمشقي
٨٤	٨٩	أسد الدين بن محمد الصفدي
٨٦	٩٠	ادريس بن حسن بن بركات الحسيني
٨٩	٩١	أويس الرومي

الصفحة	رقم الترجمة	الاسم
٩١	٩٢	ادريس انواعظ
٩٣	٩٣	أبو البركات الفزي
١٠٦	٩٤	البدر بن حامد الصفدي
١٠٨	٩٥	تقي الدين بن شرف الدين بن يونس
١١١	٩٦	تاج الدين القطان المحوي
١١٣	٩٧	تاج الدين القرعوني
١١٥	٩٨	تقي الدين الزهيري
١١٨	٩٩	ملاّ توفيق
١٢٠	١٠٠	تاج الدين محمد الرومي البرسوي
١٢١	١٠١	جمال الدين شلي الفرفوري
١٢٧	١٠٢	جار الله المقدسي
١٢٩	١٠٣	جلال الدين الصفوري
١٣٣	١٠٤	جلال الدين شلي التركاني
١٣٨	١٠٥	حسن القطناني الرفاعي
١٤١	١٠٦	حسن باشا بن محمد باشا
١٦٢	١٠٧	حسن المجذوب المكاشف
١٦٥	١٠٨	الحسين الحافظ التبريزي
١٧٠	١٠٩	الملاّ حسين بن قنبر
١٧٦	١١٠	حسين بن القاسم المغربي
١٧٨	١١١	الحسين بن عبد النبي الشعاع
١٩٥	١١٢	حسين بن أحمد بن محمد

الصفحة	رقم الترجمة	الاسم
١٩٧	١١٣	حبيب جاويش بن محمود النخجواني
١٩٨	١١٤	درويش محمد قاضي القدس
٢٠١	١١٥	درويش محمد الشير بان طالو
٢٢٢	١١٦	درويش ولي المستاري
٢٢٣	١١٧	درويش آغا
٢٢٤	١١٨	رشيد بن نعيم
٢٢٦	١١٩	زين نقيب الأشراف بعلبك
٢٢٧	١٢٠	زكريا بن خضر البقاعي العيتيني
٢٢٨	١٢١	سنان باشا المعروف بكجك باشا
٢٣٥	١٢٢	سعد الدين بن سعد الدين
٢٣٧	١٢٣	شرف الدين الحسيني التبريزي
٢٣٨	١٢٤	شرف الدين بن يونس الحكيم
٢٣٩	١٢٥	شديد بن الأمير أحمد
٢٤١	١٢٦	شاهين الشاطر
٢٤٣	١٢٧	صلاح الدين الكوراني الحلبي
٢٥٤	١٢٨	صالح السفاحي
٢٥٦	١٢٩	صالح المصري
٢٥٩	١٣٠	عبد الحليم اليازجي
٢٧١	١٣١	علي بك ابن جانبلاد الكردي
٢٩٧	١٣٢	علي الدفكري
٣٠٠	١٣٣	عمر باشا حاكم بلاد الحبشة
٣٠٢	١٣٤	عماد الدين الحنفي

الصفحة	رقم الترجمة	الاسم
٣١١	١٣٥	عبد الرحمن الفرفوري
٣١٦	١٣٦	عبد الرحمن بن مرشد الحنفي
٣١٨	١٣٧	عبد الرحمن العمادي
٣٢٥	١٣٨	عبد الله المصري الحنفي
٣٢٩	١٣٩	عبد الله المغربي
٣٣٠	١٤٠	عمر القاري
٣٣٣	١٤١	علاء الدين الطرابلسي
٣٣٦	١٣٢	علي بن محمد الخفاجي
٣٣٧	١٤٣	الملا علي الكنكاوري
٣٣٩	١٤٤	عبد النافع الحموي
٣٤٥	١٤٥	عبد اللطيف بن محب الدين المحيي
٣٥٠	١٤٦	عبد اللطيف بن احمد ابن أبي الوفا
٣٥٣	١٤٧	عبد الحق بن محمد الحجازي
٣٦٥	١٤٨	عيسى بن محمد الجباوي
٣٦٧	١٤٩	عمر العرضي
٣٦٨	١٥٠	عبد القادر المصري الكاتب
٣٦٩	١٥١	علي الجاويش ابن الحارة الدمشقي
٣٧٠	١٥٢	عبد الغني ابن الدويدار
٣٧١	١٥٣	عبد الغني بن اسماعيل النابلسي
٣٧٣	١٥٤	عمر بن جمال الدين شلي
٣٧٥	١٥٥	عبد الرحيم ابن تاج الدين



يشكر محقق الكتاب الأستاذ أحمد الجندي

لتلطفه بتصحيح تجارب الطبع

وقد انتهى طبع هذا الجزء في

تشرين الأول من عام ١٩٦٦



